# قوانين حِكَم الإشراق

## إلى كافّة الصُّوفيّة بجميع الآفاق

تأليف

الشيخ جمال الدين أبي المواهب محمد بن أحمد بن محمد
التونسي الشاذلي الوفائي المالكي
المعروف بابن زغدان
المتوفى ١٨١ هـ

تخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم العليم، الرؤوف الرحيم، الذي أودع قلوب أوليائه طرائف الحِكم، ورفع عنها كثائف أستار الظلم، وأنارها بنور معارف قدسه، وفاتحها بفتح خطابه وأُنسه، لذلك كانت علومهم من فيض المواهب لا من تعنت البحث وتعب المكاسب.

فسبحان من وهب في لمحة من شاء كيف شاء، لأنه تعالى إذا شاء أنشأ، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

أحمده على ما وهب من إفضاله، وأشكره على جزيل نواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله جواد غمر بجوده جميع الكائنات، وعمَّر بسره السرائر فكانت به أوسع من الأرضين والسموات.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله بحر المعارف الربانية ومنبع العلوم اللدنية.

صلى الله عليه وآله صلاة أزليَّة ذاتية، تليق بقدس كماله الأقدس، وتصلح لكبير مقام جلاله الأنفس، وتتحف قائلها بشهود جماله الأنس، بمعارف تفوق أُنس ظباء الحي في المكنس.

ورضي الله عن أصحابه سيوف الحق وعيون الحقائق، وعقود الطرق ونجوم الطرائق، وعن التابعين لهم في التخلق والموافقين للأخلاق ما اكتسب مكتسب ووهب ذلك الخلاَّق.

**أما بعد ...**

فهذه حكم على طريق القوم طرق خاطرها في اليقظة والنوم.

أردت إثباتها في هذه الأوراق، لأنها اشتملت على ما رق وراق.

تُشير إلى المعارف بألطف إشارة، وتلغز المعنى بأرشق عبارة، يعشق الذائق معناها، وينعش الناشق شذاها ومغناها وتؤنس السالك في البداية، وتوصله إن شاء الله إلى الهداية.

روح معناها مع صورة لفظها قد سلم من التكلف، ونور إشراق بدرها لم يطرأ

عليه خسف ولا تكلف لأن شمس معارفها لم تزل في مقابلة التوجه وعدم الغروب، ومرسوم إذنها قد برز بالإمارة والأمان من السلوب.

عطايا كرامٍ أمنوا المنَّ في العطا ولم يسلبوا الموهوب لو كان لا يُعطى

فاسمع بأُذن قلبك ما انطوت عليه من التحقيق، وما حوته من فنون أحكام الطريق، ولئن كانت الخمرة تفعل بالأشباح فهذه مغناطيس الأرواح.

كلام يفوق الدر نثر نظامه به تسكر الأرواح من خمرة المعنى

وقد رتبت قوانين هذه الحكم حكم الإشراق على مقدمة وأربعة عشر قانونًا بأنواع المعارف والأذواق.

وذلك لأجل كمال نور بدرها في دورها، وما تفوق به إن شاء الله تعالى من نفعها على نوعها.

**القانون الأول:**

قانون التأييد، في مقام التوحيد وفيه حقائق ودقائق، تعرف المريد السالك على أسهل المسالك.

**القانون الثاني:**

قانون التوبة، بمعاني الأوبة وفيه تقرير، وتحذير يمنعان من الغرور، والوقوع في الشرور.

**القانون الثالث:**

قانون الإخلاص، وفيه علامات ودلالات يميز صاحبها بين الأقوال والأفعال.

**القانون الرابع:**

قانون الصدق، وفيه مقامات وحالات، يفرق بها بين المقام والحال.

**القانون الخامس:**

قانون المراقبة وفيه لوائح وسوانح يحصل بها أُنس المقام في المقام.

**القانون السادس:**

قانون المحبة، وفيه نفحات ولمحات تعشق المشاهد في تلك المشاهد.

**القانون السابع:**

قانون الزهد، وفيه تنوير وتحرير، يمتاز بهما الزاهد هنالك، عمن يشاركه في ذلك.

**القانون الثامن:**

قانون الفقر. وفيه تحقيق وتدقيق يظهر به الفرق بين الحالين مقام التقديس، وحالة التدنيس.

**القانون التاسع:**

قانون الرياء. وفيه ترويق وترقيق ينفضح بذلك المرائي إذا تأمله البصير الرائي.

**القانون العاشر:**

**قانون المعرفة:**

وفيه مشاهد وشواهد أي شواهد حال العارف، يشهد له بسني المعارف.

**القانون الحادي عشر:**

قانون الفناء. وفيه منازع ومشارع تصحح لصاحبها دعواه إذا أعرب عن غريب فناه.

**القانون الثاني عشر:**

قانون البقاء. وفيه قواعد وفوائد على قواعده تأسس أحكام الطريق، وبفوائده تتضح معارف التحقيق.

**القانون الثالث عشر:**

قانون الولاية العامة، وفيه ضوابط وروابط بهما يمشي صاحبهما على صراط الاستقامة، فإن زلَّ أدركته الندامة والملامة.

**القانون الرابع عشر:**

قانون الولاية الخاصة. وفيه فتح طلسم الكنوز، وحل معمي الرموز بطراوة العبارة الأنيقة، وحلاوة الإشارة الرشيقة بحيث تصل إلى الأسماع، وتخرق الطباع.

ثم أختم هذه القوانين بكتاب جامع لأنواع الحكم، ثم بوصية ناصح تكون خاتمة لأنواع الإشارات، ثم بتضرع فيه تذلل بلذيذ الرغبة والمناجاة.

وبعد فراغي من تأصيلها على قواعدها وأصولها سميتها: «قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق».

ومن الله سبحانه وتعالى أسأل القبول، وبلوغ المنى والمأمول، وأن يعيذني برحمة فضله من غضب عدله، وبرأفة حلمه من أحكام علمه.. آمين استجب لنا آمين.

## المقدمة

وتشمل على معنى الحكمة عند الحكماء، ومعناها عند أهل الظاهر، ومعناها عند أهل الباطن.

أمَّا معناها همد الحكماء فقالوا:

صناعة نظرية يستفيد منها الطالب تحصيل ما عليه الوجود بما ينبغي أن يكسبه بعلمه.

**أمَّا معناها عند أهل الظاهر**: فيريدون بها معرفة الشريعة المطهَّرة المحكمة.

**وأمَّا معناها عند أهل الباطن**: فيريدون بها على الإطلاق معنى الحكمة المطلقة التي تعم حقيقتها كل شيء من واجب وممكن، وما نحن بصدده نوع من جنسها، فإذا حصل هذا الوصف الموصوف به كان الحكيم المطلق، وسموه الرجل الكامل والمكمل وارث الحكمة المحمدية، بمقام الأحمدية، المنشور ذكره بالثناء عليه في البرية، لما انطوى عليه من الصفات الحكمية.

شعر:

**يقولـون ذِكْـرَ المـرءِ يبقـى بنسـلِه ... وليس له ذِكْرُ إذا لـم يكـنْ نَسْـلُ**

**فقلـتُ لـه نَسـلي بـدائعُ حكمتـي ... فمَـن سـرَّه نسـلٌ فإنَّـا بِـذا نَسْـلو**

❁❁❁

## القانون الأوَّل

## قانون التأييد بمقامات التوحيد

قال الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد:19]:

**حقيقة:** أحدية الذَّات غيب في الأزل ووحدانيتها ظهور في الأبد[1]، والواحد القديم ما لا أول له ولا آخر.

**دقيقة:** عمَلُ التوحيد علْمُه، وعلمه عمَله، لذلك مَن علمه عَمَلٌ، ومَن عَمَل، ومَن عَمِل به عَلِم.

ومَـا عَمَـلُ التوحيـدِ عنـد محقِّـقِ ســوى فــافهم لحكمــةٍ وحــدةٍ
تُشــاهدُ أنــوارَ تلــوح وتجتلــي وكثرتهـا تبـدو مِـن الفـردِ فأثبـت

**حقيقة:** توحيد هو تعداد، وتوحيد أنا إفراد[2].

---

(1) اعلم أن الأحديَّة والواحديَّة ولو كانتا ذاتين لوحدة الذات، ولكن أحديتها مقام انقطاع الكثرة الوهمية، والنسب العلمية جملةً واحدةً، وفيضها بذاتها لذاتها أقدس من أن يتوهم فيها الغير.

وأمَّا واحديتها وإن انتفت الكثرة الوجوديَّة، ولكن الكثرة العلمية والنسب الوهميَّة حاصلة لا محالة، وفيضها بذاتها لذاتها لكن بتوهم الغير فهو مُقدَّس عن وجود الغير لا عن توهمه، فافهم بل الواحد أول العدد في تفصيل مراتب الأعداد فحضرة الأحدية هي حضرة الذات وحضرة الواحديَّة هي الأسماء، فإذا عرفت هذا فاعلم أنه ﷺ يقول: تنزُّلي بالحكم بطريق أحديَّة الذات ولها المقام الأقدم فهي عين الذات لا بطريق الواحديَّة القديمة؛ كما صرَّح بذلك الشيخ الأكبر في الفصوص.

فإن قيل: إن التجلِّي من الأحدية لا يصح؛ لأن الأحدية لا تقبل المثاني.

قلنا: صدقت إن الأحدية لا تقبل المثاني: أي الثاني الذي غيره، ونحن ذهبنا إلى أن القابل في الأحدية إنما هو نور الحق، فقبل التجلِّي الحق بالحق لا غير ولا ثاني، فافهم.

فالتجلي الذي من الأحدية بقبل الفيض الأقدس لكمال قُدسه عن شائبة الكثرة كما فهمته، بل هو أقدس من المقدس، والتجلِّي الذي هو من الواحديَّة بقبل الفيض المقدس وفيه الكثرة الوهمية الاعتبارية العلمية.

(2) التوحيد: هو حقيقةٌ لا تنقسم، في وحدةٍ لا تتعدد، في عددٍ لا يتناهى، وحقيقته: معنًى لا تحدده القلوب، ولا تتصوره العقول، ولا يوصله بلاغة العبارة بالمقول، وغايته: نفي كل غيرٍ، مع وجود شهوده كل غيرٍ، الناطق عنه مقرٌّ بالخبر، والشاهد ذاهلٌ، والغائب عنه جاهلٌ، والمدَّعي له مبطلٌ، والعاجز عنه متخلفٌ، فإنه وراء كل غايةٍ يُنتهى إليها، فكل واحدٍ يُجازى فيه بقدر ظنه؛ لأن شرط العلم الإحاطة، وهو =

فإنْ أردت أنْ تستغرق في بحر الإفراد، وتقف على الساحل مع الأفراد، فاجعل توحيدك هو بلا هو، فهناك تذهب بينونة البين، برفع نقطة الغين عن العين بلا أين، في حضرة الغيب والحضور، ويقابل البطون الظهور[1].

=

معنًى يستحيل دخوله تحت الإحاطة؛ فلا علم، ووجوده مُكَنَةٌ تستلزم ما لا يُقدر عليه، والمخصوص به هو المعجوز عمَّا حصل له اهـ.

(1) ليس التوحيد حكمك وعلمك بالوحدانية أي: بأنه هو لا أنت ولا نفي الأغيار وإثبات الواحد القهار مع بقاء وجودك وشعورك بهذا، ولا نفي وجودك، وإثبات الذَّات المقدسة مع الحلول والاتِّحاد، بل التوحيد نفي الغيرية، وإثبات العينية في الغيرية بلا حلول واتحاد.

كما أشار إليه الشيخ الأكبر قدس سره بقوله: (التوحيد فناؤك أيُّها الموجود وحدك، وبقاؤه فيك وبعدك) أي: التوحيد الذي هو نهاية أن تفنى عن وجودك أيُّها المدَّعي بأنك موجود حال كونك منفردًا عن هذا الفناء أي: ترى نفي وجودك فيك الثابت بزعمك، وترى بقاء الحق ثابتًا فيك، وترى بُعدك عنه؛ لأنك عدم وهو وجود وبينهما بون بعيد فتعرف بقاؤه فيك بلا دخول ولا خروج، ولا اتِّصال ولا انفصال؛ لأن الوجود لا يدخل في العدم ولو دخل لوجد، ولا يخرج عنه ولو خرج لما ظهر، وقد ظهر وكذا الاتِّصال والانفصال، وهذا لا يكون إلا بتجريد القلب عن الغيرية، ورؤية الإثنينية في العينية، والعينية في الإثنينية فحقًا لا تحجبه الكثرة عن الوحدة، ولا الوحدة عن الكثرة، وحاصل التوحيد أن يثبت معنى مطلقًا منزهًا عن الإطلاق، وهو ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مجزأ ولا مركب ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل ولا منزه ولا مشبه ولا مطلق ولا مقيد، وهذه المعاني كلها مراتبه فظهر بالصور والمعاني كلها فتقع عليه العبارات كلها، ومنزه عنها كلها، ومنزه في بعض، ومشبه في بعض، فهو الواحد الأحد الموصوف بالوحدانية، وهو المتعدد الموصوف بالإثنينية والغيرية، فأنت أيها العبد لست بموجود بوجود زائد عن وجود الحق تعالى، وأنت موجود من حيث هوية الحق لا من حيث أنك أنت فافنِ أنانتيك في حقيتك تكن موحدًا وعبدًا لربك، وتكون مُنزهًا له عن كلِّ خلقه، وتنسحب عبادتك من هنا على جميع عبادة عبدها أحد من الخلق إلى حين وجودك.

ومن هنا قال الشيخ قدس سره: «من عبد الاسم فهو كافر، ومن عبد المسمَّى فهو مشرك، ومن عبد المعني فهو منزه للحق عن جميع الخلق».

فما سوى الحق اسم والحق المطلق المنزه عن القيود مسمَّى، والمطلق عن هذا الإطلاق المقابل للتقييد معنى فافهمه فإنه لطيف فإذا أوعيت هذا فهذا التوحيد هو الذي يقول به المحققون الكاملون الواصلون بعد =

=

التمكين إلا برد اليقين عندهم الحق بديهي ضروري، ولا حاجة للكسب والفكر والمجاهدة، فليس أحد من الوجودين يوحد الله بهذا التوحيد سواهم فإنهم المجبولون على الدين الخالص، المؤيدون بتأييد الحكيم الخبير، المتصفون بصفات المولّى القدير فعلموا بهذا التوحيد بعلم الله أو بالله أو بإعلام الله على اختلاف درجاتهم.

وهذا غير التوحيد الذي أمر به العبد فإنه مركَّب مخلوق، ولا يصدر عن المخلوق إلا المخلوق وذات كانت منزهة في نفس الأمر لا بتنزيه المنزه، وهو كان بهذا الوصف ولا أنت، والآن كما كان فتوحيده الذي وحَّد به ذاته المعرى عن الغير، والواسطة الذي هو عبارة عن عِلمه بنفسه لنفسه في نفسه لا يعلم بعلم ولا دليل ولا برهان، ولا يزاحمه عقل ولافهم، ولا إدراك ولا إشارة، فسبحان الله عما يصفون، فالعارف بمعرفة نفسه من غير تعريف الله له إياه، ويزعم أنه عارف بالله وتوحيده، فهو مشرك بالله لإثباته نفسه مع الله وهو غير ومعدوم مع الله في توحيده إيَّاه؛ لأن ميدان الوحدة ماحية لما سوى الله، فالعارف بعرفانه مُشرك بالله، ولا شعور له به، ويظن أنه موحد وليس بموحد، فهو كمن دخل على السلطان فهو في قصر عظيم فقال: وعزتك ما في القصر غيرك ولم يدر أن وجوده يكذبه.

فاجتهد غاية الاجتهاد قبل يوم الميعاد في خلاصك عن الشرك، وتدبر مِن أي وجهة تقع فيه ولا تخلص أنت من الشرك، ولا تعرف التوحيد المذكور إلا إذا لم تر نفسًا، ولا وجودًا، ولا صفة، ولا ذاتًا إلا بنفسه وجوده وصفته وذاته، ولا ترى هذه الرؤية فليس في الدارين ولا يرى فيهما إلا هو، والغير عينه بلا غيرية الغير، فهو الذي قال بعض الأكابر:

ذات لا ترى عين ما يرى، فبطونها كنز لا يرى، وظهورها عين ما يرى فلا يعرف الله إلا الله؛ لأن ذاته منزهة عن معرفة العارف لكونها غير معلومة لسواها من جميع الوجوه قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:28 ].

وقال ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله».

وقال أيضًا في جواب من سأل عن رؤية الرب:

«ويحك نورًا أني أراه، وإني للعبد» أي: كيف أرى؟.

وإن كان بكسر الهمزة فمعناه (إني أراه) بالله لا بنفسي، فهذا لا ينافي ما مرَّ فهو تعالى لا يُشاهد إلا في الصورة من نفس العبد أو غيره.

فأعلم العلماء العارفين اعترف بأنه عرفه حق المعرفة.

=

**دقيقة:** ليس بتوحيدك يتوحَّد الواحد؛ بل هو على كل حال واحد، كما أن العالم عالم كذلك[1].

=

وقال الصديق ﷺ: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، فدلَّ على أن ثَمَّة أمر يُعجز عن إدراكه، وإن التوحيد هي الوحدة الحقيقية التي لا يُزاد عليها شيء لا من حيث الظهور، ولا من حيث البطون؛ لأنه تعالى من حيث إطلاقه المنزه عن الإطلاق، والتقييد، والتشبيه والتنزيه غير الظهور والبطون، وأفراد العالم كلها مع أنه ليس بخارج منها، ولا داخل، ولا مُتصل، ولا منفصل ظاهرًا وباطنًا؛ إذ لا يجوز أن يكون معه شيء زائد؛ لأن ذاته غنية عن العالمين، وقال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»، فالآن كما كان؛ لأن كان وجودية لا زمانية ففيه معنى الدوام والثبوت، فمن هذه الحيثية لا يصح أن يحكم عليها بنفي ولا إثبات.

ومن هذا قال بعض العارفين: من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مُلحد، ومن عرَّفه فهو مشرك، ومن لم يعرف ذلك فهو كافر يعني التوحيد لا يحصل بالطلب والسعي والحيلة، فلا يمكن تحصيله، وطلب المحال مُحال، والجواب عنه ميل وعدَّل عن حقيقة الأمر؛ لأنه لا يدخل تحت حيطة العبادة مع أنه مجهول للنفوس البشرية، فكل من تكلم فيه فقد تكلم بالمحال بغير دراية الحال، فإنه ليس بالقيل والقال.

قال أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**[1]»، وكذا جميع الأنبياء والأولياء.

وقال سيد الطائفتين الجنيد البغدادي قُدِّس سرَّه: «والله، ثم والله، ثم والله ما عرف الله سوى الله».

وكل من يقول: أنا عارف بالتوحيد فهو مشرك بعرفانه بالله؛ لأن الذات المطلقة تأبى عن مشاركة العرفان لها وعن كلِّ مشارك، ومن لم يعرف بأن الحق تعالى له هذا التوحيد مثل ما مرَّ، وأنه تعين بهذه التعينات كلها فهو كافر ساتر لما هو الأمر عليه. وانظر: شرح الحكم الأكبرية للباني (ص259) .

(1) لا يعرف الموحد إلا بمعرفة التوحيد فعرفه الشيخ الأكبر بقوله: (التوحيد نفي الإثنينية، وإثبات العينيَّة): والتوحيد في اللغة مصدر وحده أي: أفرده، وفي القاموس التوحيد والإيمان متلازمان، وقيل: إن الإيمان اختياري، والتوحيد اضطراري، والمراد هنا الذوقي الشهودي المعتبر عند القوم أي: التوحيد الحقيقي الذوقي الشهودي المعتبر عند أهله المنسوب إلى العبد، أن تنفي الإثنينية بين الحق والخلق، وتثبت العينية لهما بأن تثبت أنهما عين واحدة، ولا تمايز إلا بالإطلاق والتقييد والوجوب والإمكان، ولا تقل: إنهما من عين واحدة؛ لأن فيه توهم الإثنينية فليس بتوحيد، بل المراد أن تعرف أن كلاً من الحق والخلق هو العين الواحدة باعتبار ارتفاع النِّسَب الاعتبارية من البين، وأيضًا هو العين الكثيرة إذا اعتبرت تلك النِّسَب و لوحظت أحكامها، فإذا نفى العبد الإثنينية من كل شيء، وأثبت العينية في كلِّ شيءٍ فهو موحد، والنفي والإثبات المذكوران توحيد.

ما وحَّد الأحَدَ أحد، سبحانك من حيث أنت ما وحَّدك حقيقة إلا أنت، سبحانك لا نحصي ثناء عليك كل ذلك منك وإليك.

راحَ الموحَّـدُ والتوحيـدُ حـين فَـنى وصـفُ الموحَّـدِ والتوحيـدِ بالأحـدِ

**حقيقة:** توحيد الذات في الأزل بشهود الأَحدية.

لا تشهد حقيقة بمشاهد أبد الواحدية؛ لأن بالأَحدية كان التجلِّي الأوَّل في حضرة أَحدية الجمع، وبالواحدية كان التجلِّي الثاني في تعين فرقها؛ لذلك اختلف الشهود لتباين المشهود.

**دقيقة:** التجلِّي الذَّاتي غير التجلِّي الصفاتي؛ لهذا كان في أحكام التجريد لكل حقيقة ما يخصها من التوحيد.

**حقيقة:** وجوب الذَّات، هو وجوب الصفات، وتعدادها لا يوجب تعديد الذات بذوات، نعم لا هي عْينُها، ولا هي غيرها، فقد اتحد المسمَّى، وتعددت الأسماء.

مَـا فى التَّكثـرِ في الأوصـافِ مِـن بلْ كونها عبنها مع ماترى عجبَ

**دقيقة:** تعداد الأسماء يدل على تنزيه المسمَّى، حيث تكثر أسماؤه في حضرات سبحانه، وهو موحد في غيب قدس ذاته.

**حقيقة:** تجلِّي ذات الحق تمحق الكائنات، وتجلِّي صفاته توجب لها الثبات؛ لذلك لم تُطَقْ رؤية الذات بالأبصار، ولا يدرك كنهها بالعقول والأفكار، كيف وأنَّى لجائز حادث سقيم أن يثبت لوجوب الوجود القديم؟!

كـلُ المعـارفِ والعـوارفِ أغرقـت في بحـرِ إجـلالِ الوجـوبِ الأولِ
يـــا طالبـــا لجـــوازِهِ بحـــوازه هـذا الجـوازُ قـد اسـتحال بمعـزِلِ

**دقيقة:** القديم غير الحادث، فإذا اختلفت الحقائق، فقد تعسرت الطرائق.

كيـفَ الوصـولَ إلى سـعادِ ودونِهـا قـنن الجبـالِ ودونِهـن حتـوفٌ
الرجْـلُ حافيـة ومـا ليَ مرْكـب والكـفُّ صـفرٌ والطريـقُ مَخُـوفٌ

لكن إذا أراد وصولك إليه أفناك عنك، فتراه به كما هو حقيقة يراك.

ومخطوبـــةُ الحسْـــنِ محجوبـــةٌ فـــلا تـــألفَنَّ سِـــوىَ ألفهـــا

إذا مَـا تجلَّـت علـى عاشـق وأهـدت إليـه شـذى عرفَهـا
تغيـب الصـفاتُ وتُغـني الـذواتُ بمـا أبـرزَ الحُسْـنُ مِـن لُطفِهـا
فـإنْ رام عاشـقُها نظـرةً لمْ يسـتطع إذ عـلا وصـفها
أعارتـه طرفًـا رآهـا بـه فكـان البصـيرُ لهـا طرفهـا

**حقيقة:** لما تنزَّه الواحد بكل وجه عن النهاية انتفى الضدُّ والندُّ عند الغاية.

لا تنتهـي فيـه النُّهـى لنهايـةِ مَن شَاء يُطنبُ فيه أو لا يُطنب

**دقيقة:** نفي السلوب وإثبات الوجوب هما حضرة التنزيه[1]، فيما عليه سبحانه استحال

(1) قال الشيخ الأكبر قُدِّس سرَّه: (**من عرف**) الحق تعالى بصفاته معرفة كائنة على حسب استعداده (**وصف**) الحق تعالى على قدر معرفته فالمنزه يوصفه بالتنزيه فقط، والمشبه يوصفه بالتشبيه فقط، والكامل معرفة يوصفه بهما وينزهه عنهما كما هو كمال التنزيه؛ لأنه التنزيه عن الانحصار في التنزيه.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:180] أي: نزّه ربك تنزيهًا نفسه عما وصفوه بعقولهم؛ لأن براهينها لا تنتج إلا التنزيه الصِّرف المقابل للتشبيه، فإذا قال العارف: سبحان الله يقصد به تنزيهه تعالى عن الإطلاق المقابل للتقييد عن التنزيه المقابل للتشبيه، فإن الحق عنده معنى جامع لجميع المعاني حميدة أو ذميمة فتقع عليه جميع العبارات من وجه ولا تفي به من وجوه متعددة، كذا قاله الشيخ الكامل الجبيلي في: الإنسان الكامل قدس الله تعالى أسراره، فالعارف يصف الحق بجميع الأوصاف التنزيهية والتشبيهية؛ لأن الحق تعالى وصف نفسه بالكلِّ إمَّا صراحة وإمَّا قياسًا، فوصف نفسه بالاستواء والفوقية والجوع والمرض، وأثبت لنفسه السمع والبصر واليد وغير ذلك مما وردت به الشرائع والبواقي يقاس عليها فما فيه وجه الاستواء يقاس على الاستواء، وما فيه وجه الفوقية يقاس على الفوقية وعلى هذا القياس، ويجوز أن يكون عرف ووصف على البناء للمفعول أي: من عرف بأن يكون معروفًا عند الناس بشيءٍ وصف بما عرف، فالصالح المعروف يوصف عند الناس بالصلاح، والفاسق يوصف بالفسق، والسخي بالسخاء، والبخيل بالبخل وهكذا، والمعروف عند الناس هو المعروف عند الله وملائكته؛ لأنه أولاً يكون معروفًا عند الله بشيءٍ، ثم عند الملائكة بإعلام من الله، ثم عند الناس بإعلام الملائكة وتحت هذا الكلام بهذا المعنى فوائد كثيرة لمن يَفهم المعاني والوجوه. وانظر: شرح الحكم الأكبرية (ص411) .

من جائزات المحال.

**حقيقة:** توحيد الهوية، لا يدرك كُنه الماهية، فوحَّده من حيث هو بما هو على ما هو تكن ممن وَحَّد، ولا في الحقيقة ألْحد.

**دقيقة:** إشارة هو في التوحيد خاص للخواص، كما أنَّ الإثبات بعد النفي عام للعوام؛ لذلك كانت تلك الإشارة في حضرة محاضر العيان، وهذه العبارة في مقام الدليل والبرهان.

**حقيقة:** الواقف مع رتبة الدليل بالكائنات محجوب عن عيان المشاهدات قانع بالقشر عن اللباب وإن كان من أولي الألباب.

ألا ترى أنه شتان بين واقف بالباب وبين من هو أهل لكرامة فحوى الخِطاب.

وما البحثُ في الآثارِ إلا مبعد عن المقصِد الأسْنى مِن الغايةِ

فلا تقنعنْ بالقشرِ دون لبابه ولا تحتجب بالبابَ عن حضرةٍ

**دقيقة:** شقاشق أبحاث الجِدال أوهام في مهامه الخيال لا تفيد صاحبها غير قعقعة اللسان، مع خلو من الجنان مَن قنع بها زلَّت به القدم، ومَن وقف معها أورثته الندم.

لعمرى لقد طفتُ المعاهدَ كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالِم

فلمْ أرَ إلاَّ واضعًا كف حائرٌ على ذقنه أو قارعًا سنَّ نادمِ

**حقيقة:** كل حقيقة أخذتها عن الغير، ودلتك على سواء في السير فهي لك حجاب في الحال والمآل هذا، وإن دققت أفكار الأنظار فطيْر العناء في جو الخيبة بك قد طار، فاترك العقل المعقول، وكثرة الأبحاث والفضول.

عقلُ عقلك بالأوهامِ معقولُ قد قلَّب القلبُ منك القال والقيل

تهِيمُ في مهمه الأوهامُ من ولهٍ أفاده فيك معقولٌ ومقولُ

نحت بالفكرِ معبُودًا وقلت به وذاك عقد بكفِّ الحقِّ محلولُ

قد عشتَ مثلك دهرًا في مكابدةِ ولي فؤاد بهذا الداءِ معلولُ

**دقيقة:** ما شهد الحقَّ من استدلَّ عليه، وما وصل إليه من زعمَ أنه يسير إليه؛ إذ لو شهده لكان برؤيته في طرب، ولو وصل إليه لزال عنه التعب.

**حقيقة**: الموحِّد من فنيت رسومه في حضرات التوحيد، وأنسَ بالواحد في مقامات التفريد غلب عليه الشهود بمرايا الكائنات، وجلَّى ما تجلَّى له فيها من حقائق الأسماء، والصفات، فأنشأ لسان تحقيقه في مسالك طريقه[1].

(1) قال أبو يعزى شيخ مدين: «إذا نظرت إلى نفسي لم أَرَ إلا الله، وإذا نظرت إلى الله لم أَرَ سواي».
وقال أبو الحسن الخولي: «مَن لا وجود لذاته مِن ذاته فوجوده لولاه مُحال».
وقال سيدي عمر بن الفارض:

ومَـــا هـــي إلا إن بَـــدَتْ بِمَظَـــاهِرِ فَظَنُّـــوا سِـــوَاهَا وهـــي فِـــيهم تَجَلَّـــتْ

وقال السيد قطب الدين بن سبعين: «الله في كلِّ شيءٍ بكلِّه، وليس فيه الكل والبعض، فهو لا شك ظاهر وباطن، أول وآخر، وهو بادٍ وملتم لا تقل: كيف لي به؟ فيه عنه تفهم».
فهذه الأقوال شاهدة بأنه لا وجود سواه، بل هو الشاهد مِن الشاهد، والمشهود من المشهود.
وقال الشيخ الكامل المحقق محمد المدِّعو بدمرداش المحمدي الصوفي: «هو الاسم والمسمَّى، والأول بلا أولية، والآخر بلا آخرية، والظاهر بلا ظاهرية، والباطن بلا باطنية، فلا أول، ولا آخر، ولا ظاهر، ولا باطن إلا هو لا هو في شيءٍ، ولا شيء فيه، ولا هو داخل، ولا هو خارج، وينبغي أن تعرفه بهذه المعرفة لا بالعقل، ولا بالفهم، ولا بالوهم، ولا بالحس، ولا بالعين الظاهر، ولا الباطن، ولا يعلم ما هو إلا هو بنفسه يرى نفسه، وبذاته يعلم ذاته لا يراه غيره، ولا يُدركه سواه لا نبي مُرسل، ولا ولي مُقرب» انتهى.
شعر:

جَمَالَـــك في كـــلِّ الحقـــائقِ ســـائرِ وَلَـــيس لَـــهُ إلا جَلالُـــكَ سَـــاترُ

كيف لا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17].
وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115].
وقال: ﴿مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:56].
وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:4].
وقال أيضًا على لسان رسوله: «من عرفني طلبني ومن طلبني وجدني ومن وجدني أحبني ومن أحبني قتلته ومن قتلته كانت عليّ ديته ومن كانت عليّ ديته فأنا ديته».
وقال كذلك: « أنا جليس من ذكرني».
ولم يكتف بذلك حتى أخبر عن نفسه بأنه عين حقائقنا، وقوانا الظاهرة في حديث: «**كنت سمعه وبصره**».
وقال تعالى أيضًا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88]، فلا يخلوا شيء من وجه الله، وإلا ما كان إلهًا، وكان العالم مستقلاً بنفسه وهو محال، فَخُلُوا العالم من وجه الحق، أو خلوا وجه الحق من العالم مُحال. شعر :
=

هـذا الوجـودُ وإن تعـدَّد ظـاهرًا وحيـاتكم مـا فيـه إلا أنـتم

**دقيقة:** علامة الموحِّد يا قوم وجدانه في اليقظة والنوم.

جمالُـك في مُخيلـتي وطـرفي مقـيم لـيس يخفـى بعـد كشـف

إذا استيقظت كـان بـك ابتـدائي وإنْ أغفيـت كـان عليـك وقفـي

**حقيقة:** وجود المعارف في أهل العوارف تكسبهم إدراك لحقائق الذوقية، بل العنايات الكشفية وغيرهم ليس له هذا الاتِّصاف ولا خلق الإنصاف.

لـو شـئتَ أنصـفت والإنصـاف عنـد الرجـالِ بنـورِ الحـقِّ كـالقبس

باشـرْ بعقلـك هـذا الأمـر مجتليًـا منـه حقيقـة حـق غـير ملتـبسٍ

**دقيقة:** شهِدت شواهد التوحيد لمن استدلَّ به عليه، وانجلت حضرات التغريد لمن إليه، فطوبى لمن رُفعت عنه الأستار، واستغنى عن الجدال والانتظار.

رفعـت لنـا عـن وجههـا الخِبـاَ أهـلاً وسـهلاً بالحبيـبِ ومرحبَـا

**حقيقة:** غلبة نور الظهور هو الذي أوجد الستور: أيْ ستور النور بالنور.

ومـا احتجبـت إلا برفـع حجابهـا ومـن عجـب أنَّ الظهـور تسـترُ

**دقيقة:** ما من شيء إلا دلّك عليه لكنك لا تدري كيف تسير إليه دلت مصنوعاته على وحدانيته، وبرهنت آياته على فردانيته.

وفي كـلِ شـيءٍ لَـه آيـة تـدلُّ علـى أنَّـه الواحـدُ

---

=

ظَنَنـتَ ظُنُونًـا بِأَنَّـكَ أَنْتَـا وثَـانِي اثنـين دعْ مَـا ظَنَنتَـا

فَـإِن ظَننـتَ جهـلاً بِأَنَّـكَ أَنتَـا فَـاعلمْ بِأَنَّـكَ مَـاقطَّ كُنتَـا

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فإذا عرفت هذا فهو الغاية القصوى، والفائدة العظمى لا خير لمن لم يحصله، ولا كمال لمن لم يعرفه، فماذا وجد من فقده؟ وماذا فقد من وجده؟ فمن وجده وجد كلَّ الخير، ومن فقده فقد كل الخير.

**حقيقة:** قيام القيومية بالمخلوقات هو الذي أوجد لها قيام الصفات، فلو انمحى من عينيك خبال الخيال شهدت في الكون من لم يزل ولا يزال.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[1]

**دقيقة:** إذا عظم نور المشهود عزَّ إدراكه في الشهود.

ألا تـــرى الخفـــاشَ في الحـــسِّ لا يطيـــقُ رؤيـــةَ الشـــمسِ

مثـل النهـارُ يزيـد أبصـار الـورى نـــورًا ويعمـــي أعـــين الخفـــاشِ

**حقيقة:** ظهور تجلِّي الحقيقة الإلهية، إذا تجلى للحقيقة الإنسانية محا منها ثنوية الناسوت، وأثبت فيها فردانية اللاهوت.

تجلَّـــى لي الـــرحمنُ في كـــلِ ذرةٍ مِن العالِم العلوي إلى العالِم السفلي

وقـال كمـالي حـيَّر النـاسَ جملـةً وأعجـز مَـن ينشـي الكتابـةَ أو يملي

فإيـــاك لا تشـــهدُ لغـــير جمالـــه وقُدسـه إجـلالاً عـن البعـدِ والقبـلِ

**دقيقة:** صنعة الفنا هي التي أوجبت لبعضهم النطق بأنا.

**حقيقة:** تجلِّي وصفه الباقي أوجب فناء العالم والمعالم، ولسان فردانيته في الإفراد حيَّر المتعلم والعالم.

**دقيقة:** من الفاعل بالاختيار كانت البداية، وبوصف قيوميته قامت الأكوان إلى غاية لها ونهاية.

فالحظْ بنظر بصيرتك أيها الملحوظ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾ [البروج:22,21,20].

**حقيقة:** حيطة حضرة ذاته محيط بصفاته، وحيطة صفاته محيطة بسبحات أسمائه، وأسمائه فعالة في الكائنات بما أودعها من بدائع التجلِّيات.

**دقيقة:** من حكمته ستر ظهور الذَّات بحجاب مظاهر الصِّفات، واختفي بما به ظهر من الكائنات، وغاب بما به حضر، وحاضر من التعرفات.

**حقيقة:** حضور العبد حضور العجز عن محاضرته في حظيرة مشاهدته، ومطالعته هو

(1) **رواه البخاري (1935/3)، مسلم (1768/4)، والترمذي (140/5)، وأحمد (248/2)**.

نهاية من اعترف وذاق الشراب واغترف[1].

والعجـزُ عـن درِكِ الإدراكِ شمـسٌ  جرت بها فـوق جـو الشـكِ أفـلاكُ

**دقيقة**: العجز سلب، والإدراك وجود، فكيف جعل الصديق ذلك غاية المقصود؟!

نعم تفهمه إذا أدركت حقيقة الفنا، وتتحقق به إذا تجلَّت به لك الحسنى بأسمائها الحسنى.

**حقيقة**: تجلِّي الحقيقة الإلهية للأكوان يتفاوت بحسب الاستعداد والإمكان، لذلك من القوم من يملك الحال، ومنهم من يملك المقام، ومن يملك المقام؛ يثبت له التجلِّي على الدوام.

**دقيقة**: لما تجردت الحقيقة الذاتية عن الاتِّصاف تكون معناها في القابل لها من الأوصاف، لون الماء لون إنائه، يسقي بماء واحد ونُفضل بعضها على بعض في الأكل.

على قـدرِكِ الصـهباءُ تعطيـك نشـوةً  ولسـت على قـدرِ السـلاف تُصـابُ

ولـو أنهـا تعطيـك يومًـا بقـدرِ مـا  لضـاقت بـك الأكـوانُ وهـي رحـابُ

**حقيقة**: تجلي الحال في المشَاهد بحسب ما أعِطَى المشاهد، فالعوام لا يشهدون غير مشهد حسن الصورة الحسية، والخواص رفع لهم الستر عن صورة الحسّ المعنوية. التي تجلَّى بها اسمه تعالى الظاهر في جميع الأكوان بكل المظاهر.

تـراه إن غـاب عـني كـل جارحـة  في كـل معـنى لطيـفٍ رائـقٍ بهـجِ

في نغمـةِ العـودِ والنـاي الـرخيمِ إذا  تألَّفـا بـين ألحـانِ مِـن الهـزجِ

وفي مسـارحِ غُـزلانِ الخائـلِ في  بـردِ الأصـائلِ والإصـباحِ في البلجِ

**دقيقة**: المزاحم على برقشة الجمال السفلي محجوب عن شهود الجمال العلوي[1]، فاترك المضايقة في طريق المركز الأدنى، وارق بهمتك إلى الأوج الأعلى.

---

(1) **وقال بعضهم أيضًا**:

العجـزُ عـنْ درِكِ الإدراكِ معرفـةٌ  كـذا هـو الحكـم فيه عند مَن عَقِلاَ

وما نحنُ إلا خطوط وقعت على نقطةِ وقعٍ مستوفزٍ
محيطُ العوالمِ أولى بنا فماذا التزاحمُ في المركزِ

## القانون الثاني

## قانون التوبة بمعنى: الأوبة[2]

=

(1) تقول الست عجم: إن الجمال بعد الأرواح تنزل مناسب بحيث ذكر أرواحاً متعددة والتعدد لائق بالجمال لأن الله تعالى لما أوجد الخلق متكثراً متمايزاً أظهر بالجميل لئلاً يقع النفور من البعض عن البعض، وكذلك في عالم الأرواح، فلما أدرك هذا الشاهد رضوان الله عليه أرواحاً متعددة لحظ الجمال الناشئ بينهم لعدم النفور وهذه القابلية في هذا المحل قد كانت شديدة الصقال، والناظر فيها نافذ النظر حتى شهده صورة الموصوف والأوصاف، لأن الجمال صفة خافية وهمية فلا يدركها إلا من اتصف في حال شهوده بهذه الأوصاف.

(2) إن كل من تاب، وندم على ما مضى مع دوامه على ما صفى، ولكن يكون من نفسه بأن يكون لنفسه حظًا في التوبة فقصدها بنفسه لا بالله نقض العهد بالرجوع إلى ما مضى وتاب منه، ولا يثبت على التوبة، ولا يمكث فيها؛ لأن قصد التوبة حقًّا يكون بهوى النفس، وهي لا تطلب إلا الشرّ أو ما هو من جهته لكونها مجبولة على ضدِّ الخير، فلا يثقل عليها إلا الحق، فلا يطلب إلا الناقص، أو ما لحقته العلل والأغراض، وهو وإن كان حقًا وخيرًا، لكن بسبب العلل والأغراض يصير باطلاً وشرًّا؛ إذ بالعوارض ينتقلُ الخير إلى الشرِّ والشر إلى الخير، كما مرَّ في أول الكتاب بعد تمام الديباجة، فكل ما أنت فيه مصحوب بالالتفات والقصد فلا يتم لك، ولو تم ينقطع التفاتك وغرضك، فكل من تاب من نفسه وإن كانت التوبة باب الأبواب للدخول في الحضرة الإلهية، فلا يستقيم عليها فينقضها فيجب عليه التوبة إمَّا على السِّعة، أو على الضيقة وهو الأصح؛ إذ التوبة فورية على المعتمد من نقض التوبة.

ولهذا قال الشيخ كما مرَّ في أول الكتاب: (خف من كل مالك فيه نية، ولو كان طاعة) بخلاف ما إذا كان مقهورًا في التوبة، ولا يكون له قصد من النفس فيها فإنه حقًا تاب الله عليه، فلا يكون فاعلاً لما هو طالبه، بل هو فاعل لما هو مطلوب منه فيتم أمره، ويثبت على توبته ولا ينقضها، ويمكث فيها أبدًا وهو موجب للمكث والخلود في الجنة قال الله: ﴿وَيُبَشِّرَ المؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ **[الكهف:3،2 ]**.

والأجر الحسن الجنة بدليل قوله: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ [الكهف:3 ].

فانس أيها التائب قصدك وهوى نفسك؛ لأنه تعالى أعرف بمصالحك من توبتك وعدم توبتك وغير ذلك من سائر الأفعال، فلا تعمل إلا به ولا تريد إلا بإرادته، والمقصود أن تفنى عنك وتبقى بالله حتى تتقرب =

قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: 31].

**تقدير**: شروط التوبة عند الجماعة بالإجماع دون أهل الزيغ والابتداع، الندم على ما فعله العبد من المخالفات، والإقلاع في الوقت فورًا بلا تأنٍ ولا التفات، والعزم على ألا يعود لفعله فيما يستقبله من الأوقات، وردُّ ما أخذه من الأعراض، والاستحلال من الوقوع في الأعراض.

**تحذير**: إيَّاك أن تركب مطيَّة المعصية العرجاء؛ فتنقطع في مسافة الطريق العوجاء، بل سابق بالسير القويم على الصراط المستقيم.

**تقدير**: إنما أمرك بالتوبة ليطهرك من التدنيس ويكسوك أوصاف التقديس، فانفِ من أوصافك اللئيمة الذميمة، وتخلَّق بأوصافه الحميدة المجيدة الكريمة.

قد رشحوك لأمرٍ لو فطنت لَه  فأربا بنفسك أنْ ترعى مع الهملِ

**تحذير**: إياك وترك التوبة؛ فعلامة الفلاح اتباع طريق النجاح.

**تقرير**: مَن لم تحصل له التوبة حقيقة، لم يتطهر عند أصحاب الطريقة، فتطهر وكن من التائبين يخلع عليك خلقه.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: 222].

**تحذير**: إياك أن تبني قلعة الأعمال على أساس التوبة والاستغفار؛ فتكون كمن بنى على شفا جرف هار.

**تقدير**: توبة العوام من الزلاَّت، وتوبة الخواص من العادات، وتوبة خواص الخواص من السوى، والأغيار، والركون إلى المقامات، والأنوار.

**تحذير**: إياك أن تأمن مع التوبة الصادقة، وإن أتتك بشائر القبول؛ فإنه تعالى لا يسأل عما يفعل و أنت المسئول.

**تقدير**: التوبة فعلها لا يسعد، وتركها لا يُشْقى؛ وإنما جعلت لك وقاية تقي.

---

=

إلى الله.

**تحذير**: إياك أن تتوب في الظاهر وأنت مصرٌّ على قبائحك في الباطن؛ فتكون كالمنافقين الذين قنعوا برضا المخلوقين، وأسخطوا عليهم رب العالمين.

**تقدير**: إنما هيج عزم القوم على الإقلاع استحضارهم ما هم عليه من سوء الطباع.

**تحذير**: إياك أن تغتر بوعد الأماني والتسويق فتُحرم نيل القرب في المقام المنيف.

**تقدير**: من أشهده الحق كسوف الذنوب هجرها.

**تحذير**: إياك أن تقع في أسر المخالفات، فتتسم بسمة القاذورات وتهنك، ولا تستر في القبائح، وتنفر عنك الناس من نتن الروائح.

**تقدير**: شرط القوم في التوبة الهجران لإخوان المعاصي، فاهجر قبل ذلك لأخلاقك، فهو أرضى لخلاقك.

**تحذير**: إياك والعوْد لمواطن الهجر ومواقع الهجران؛ فإنه ربما يعود لك في الآن.

**تقرير**: من دام في التوبة على مقتضى الحزم والعزم؛ فهو الصادق الصديق، البالغ بسيرة مقاصد الطريق.

**تحذير**: إياك والفترة والكسل؛ فإنهما من دواعي الملل، إخوة اللؤم من صحبهم وقف به السير عن كل ما يرومه من ربح وخير.

**تقرير**: لو لم يكن من فضيلة التوبة إلا أنها تنجي صاحبها من مهامه المهالك، وتقرّبه بعد بعده من الرب المالك؛ وإلا لكان من الهالكين ببعده عن رب العالمين.

**تحذير**: إياك وما تعتذر منه كفى البريء طيب الثناء قرة العين بالطمأنينة والهناء.

أما يكفي العاقل من التنفير ما يتلى عليه من أنواع التقرير؟

**تقرير**: شتان بين توبة محب مشتاق، وبين من تاب للخوف والإشفاق.

الأول: هاجه الشوق لشهود الجمال، والثاني: حذّره الخوف سطوة الجلال[1].

---

(1) إن الجلال حضرة لائقة بالمشاهدة لأنه اسم ظهر الله به مخصوصاً بالثنوية وهو تمكين اسم الجميل فتظهر عليه صفة في حال الناظر والمنظور ليحصل له هيبة وخشوع مع محبة فالجميل للمحبة، فلما رفع المحب إلى مقام أعلى من موطن المحبة الذي هو الظاهر. فازداد الاسم صلة بغير زوال عينه، ولما كانت هذه الصفة لائقة بالمشاهدة وهي الجلال خرج الشاهد في شهوده من مقام إلى مقام لأنه لا يتغير عليه =

**تحذير**: إياك أيها النجيب الحاذق اللبيب أن تجعل توبتك سببًا لحصول مناك، بل اجعلها عبودية لمولاك، فتكون من الخواص أرباب التحقق والإخلاص.

**تقرير**: كان بعضهم لا يسأل التوبة، ولكن يسأل شهرة التوبة؛ ليجد باعث العزم، وذلك أولى وأحق بالحزم.

**تحذير**: إياك أن تزعم أنه حصل لك مقام التوبة، وأنت باق على شهواتك مستغرق الأوقات في عاداتك، هيهات هيهات لوجدان العزم علامات.

**تقرير**: مقام التوبة لم يخرج صاحبه عن البداية؛ لذلك شغل بتعب المجاهدة، والنهاية لذة بأنواع المشاهدة، وإن شئت قلت البداية إماطة طبع وتطهر، والنهاية ملكة تنوير، وإن شئت قلت البداية تُخلِّي ثم تُحلِّي، والنهاية استعداد لنور التجلِّي.

وإن شئت قلت البداية بعدٌ عن الأوصاف الذميمة، وهربٌ عن الأخلاق اللئيمة، وإن شئت قلت البداية ملْءَ الإناء بأنا، والنهاية تفرق بين أنت وأنا، وإن شئت قلت البداية تخل عن الأنام؛ بل تحلّ بالأخلاق الكرام.

ثم استعداد بتجلي الصمد العلاَّم، وإن شئت قلت البداية منها تُعلم النهاية، فراسة دون كشف عبادة، وذلك معلوم بالعادة، وإن شئت قلت إذا ثبت أساس البداية على القواعد، وجد صاحبه في النهاية ما يروم من المقاصد والفوائد.

**تحذير**: إياك أن تبني طريقك على غير أساس التقوى فتكون من أهل الزيغ والأهواء؛ بل خذ بالأحوط لنفسك؛ لكيّ تجد المنى والهنا في رمسك.

## القانون الثالث

=

صفة إلا بخروجه من محله في شهود واحد، فالجلال مختصة بالله دون الجميل وغيره لكونها تنشأ عن التعظيم وكل تعظيم ناشئ عن عظمة الله تعالى، وإذا حصل للشاهد شهوداً في خلع واحد يكون هذا الشهود أشد تمكيناً من الشهود الواحد، والتمكين عبارة عن الاستعلاء لكن الاستعلاء على ضربين: استعلاء وصف واستعلاء معنى، فالعارف الكامل له استعلاء الوصف ويتعالى عن استعلاء المعنى إذ استعلاء المعنى هو على بني الجنس بشرط الاستقلال لجهة دون جهة، والعارف لا جنس له ولا حصر فيحل عن هذا المقام المعنوي، ولما كان هذا العارف متصفاً بالاستعلاء اتصافاً فأخرج من مقام الشهود إلى مقام الجلال.

## قانون الإخلاص[1]

قال الله تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [غافر: 14].

**علامة:** المخلص مَنْ لا يتغير بالامتحان، بعد ورود نعم الامتنان.

**دلالة:** إذا رأيت من استوى عنده العدو والحبيب فذلك الخالص المخلص الغريب.

**علامة:** من أفرد الحق في الطاعة كان المخلص عند الجماعة.

**دلالة:** إخلاص المخلص يظهر بحاله دون ترجمة قاله.

**علامة:** المخلص تراه يخفي الأعمال، ويسترها برداء الحال، وإن سُئل عنها لم يخبر عنها بقال، بل يخفي وصفها عن السؤال.

**دلالة:** من رأيته يحرص على ظهور قبائحه الخسيسة، ويكتم أحواله السنية النفسية، فاستدل بذلك على مقام اختصاصه، وعلو درجته وإخلاصه.

**علامة:** المخلص ينشر له الحق لواء الثناء بين العباد من غير اختيار له ولا مراد.

**دلالة:** إذا رأيت من أثنى عليه وركن لذلك فاعلم أنه كذابٌ هالكٌ.

**علامة:** المخلص لا يخفي حاله على الخاصة النقاد، وإن التبس على العوام يحسن الاعتقاد؛ لأن ما استودع في غيب الجنان، يظهر على ظاهر الإنسان وما عسى أن يكتم اللسان، وقد فضحته فراسة الأذهان.

---

(1) قال الشيخ الأكبر قُدِّس سَّره: (من أخلص) أعماله وأصفاها من شائبة الرياء (تخلص) من الأهواء والبلاء، ويفوز في الآخرة بالنعماء، ومن أخلص معاملاته مع الحق من الخلق حتى من نفسه تخلص من ظلمة الأغيار، ويدخل في ضياء نوره، ومن أخلص قلبه عن السوى بدوام النظر إلى المولى تخلص عن الشرك الخفي والأخفى، فالأول للعوام، والثاني للخواص، والثالث لأخص الخوص، والكل ممدوح ومطلوب قال النبي ﷺ: «الإخلاص إيمان كله»

قال المؤلف قُدِّس سرَّه:

مَن عَامَلَ الحقّ بِالإخلاصِ قَد رَبَحَا وإن يَكون فيه شرك فهو قد سَمَحَا

وانظر: شرح الحكم للباني (31) .

**دلالة:** لابس خلعة الإخلاص متوَّجٌ عند العوام والخواص، وذلك بين مفهوم وظاهر حق معلوم.

**علامة:** المخلص كلامه مقبول، وحاله السني مفعول، وشأنه متزايد في كل المطالب والمقاصد.

**دلالة:** إذا رأيت نفسك تكسل عن العبادة في الخلا، وتنشط لها في الملا، فاعلم أنك عن الإخلاص لم تحم حومة الخواص.

**علامة:** المخلص يزداد نشاطه، إذا خلا بالحق وبعد عن نواظر الخلق.

**دلالة:** كل عمل تعمله لأجل المخلوقين، يبعدك عن رب العالمين، فأقم على نفسك الميزان، وانظر هل أنت في كفة الرجحان أم في كفة النقصان.

**علامة:** المخلص إن قام قام بالله، وإن قعد قعد مع الله، وإن تحرك لا يقصد إلا الله، وإن سكن اطمأن بالله، وإن سأل سأل من الله، وإن عمل عمل لله، وإن أعطى أخذَ من يد الله جميع شؤونه من الله إلى الله، وفي الله وبالله، الله الله الله، لا حول ولا قوة إلا بالله[1].

---

(1) قال الشرقاوي: قيل لسهل بن عبد الله ﷺ: أي شيءٍ أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص، وكم أجهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت فيه على لون آخر.
قال أبو طالب ﷺ: والإخلاص عند المخلصين: إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق النفس.
وعند المحبِّين: ألا يعمل عملاً لأجل النفس، وإلا يدخل عليه مطالعة العوض، أو تشوف إلى حظ طبع.
وعند الموحدين: خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال انتهى.
فإذا حمل العبد في نفسه وألزمها التواضع والمذلَّة، واستمرَّ على ذلك حتى صار له خلقًا وحيلة بحيث لا يجد لضعته ألما ولا لمذلته طعمًا زكت نفسه واستنار بنور الإخلاص قلبه، ونال من ربه أعلا درجات الخصوصية، وحصل أوفى حظ ونصيب من المحبة الحقيقية، فهذا لا يكره الذم من الخلق؛ لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم؛ لفقد القدر والمنزلة في نفسه، فصارت الذلة والضعة صفة لازمة له، لزوم العرض للجوهر، فإن كان مع الله تعالى بالذل طلبه واستحلاه، كما يطلب المتكبر العز ويستحليه إذا وجده، فإن فارق ذلك الذل ساعة لغيَّر قلبه لفراق حاله، كما أن المتعزز إن فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه؛ لأن ذلك عيش، فإذًا لا بدَّ للمريد إسقاط جاهه وإخمال ذكره، وفراره عن موضع اشتهاره وتعاطيه أمورًا مباحة تسقطه من أعين الناس، كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه، فلما علم بذلك السائح استدعى بقلاً وجعل يأكله أكلاً عنيفًا بمرأى من الملك، فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره فانصرف عنه ذا ماله.
=

**دلالة:** إذا رأيت مَن سكن الخلق وركن إليهم، واعتمد في أحواله عليهم، وزعمهم مقام الإخلاص والتقوى، فاحذره فإنه من أهل الغرور والأهواء.

**علامة:** من رأيته يجد الوحشة بالناس ويستأنس بمولاه مع الأنفاس، فذاك هو المخْلص المخلَّص والخصيص المخصَّص.

**دلالة:** إذا كنت أوثق بمولاك من هواك؛ فقد أخلصت له هناك وتولاك.

* * *

## القانون الرابع
## قانون الصدق[1]

=

وقد بالغ بعضهم في مداواة علة الجاه الذي علِقَ في القلوب، حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع، ورأوا فعل ذلك جائزًا لهم ولغيرهم، وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس، بحيث تظهر ومشي بذلك متمهلاً بحيث يُرَى ويُظَن بذلك السرقة، فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه، ورموا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة، حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام، فحينئذ وجد قلبه.

ومثل ما يُروى عن أبي يزيد ﷺ في قصة الشاهد، الذي أمره بحلق رأسه ومخلاته مغلقة في عنقه أيضًا، وإعطائه من ذلك لمن يصفعه من الصبيان، وطوافه على تلك الحال في المحافل والمحاضر ذكر ذلك أبو حامد الغزالي ﷺ وغيره.

وإذا جاز لمن غصّ بلقمة حلال أن يسيغها بالجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره، مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته بترك الجرعة إلا حياة فانية، فلأن يجوز مثل هذا إذا تعين عليه أولى؛ إذ يفوته بترك المنكر في ظاهر الشرع الحياة الباقية والقرب من الله تعالى، فإذا التزم العبد هذه الطريقة من الرياضات ماتت نفسه، وحيا قلبه وقرب من حضرة ربه، واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام.

وتلك الثمرة أخلاق الإيمان، التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفاته ذاتية له، وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ [البقرة:269].

(1) قال الشرقاوي ﷺ: ومراتب الصدق مختلفة: أوسطها استواء السر والعلانية، وأعلاها كون السر أحسن من العلانية، وأدناها عكس ذلك، وهو من أشرف الصفات قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119]، وقال تعالى: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:23].

=

=

وقال ﷺ : «عليكم بالصدق، فإنه باب من أبواب الجنة، وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار، واسلموا لله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرًا من المعافاة، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عبادًا لله إخوانًا كما أمركم الله».

وعنه ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» .

وعنه ﷺ : «تحروا الصدق، وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة» .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ سُئل عن الكمال؟ فقال: «قول الحق، والعمل بالصدق».

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «إني إذا أحببت عبدًا ابتليته ببلاء لا تقوم له الجبال؛ لأنظر كيف صدقه؛ فإن وجدته صابرًا اتخذته وليًا وحبيبًا، وإن وجدته جزوعًا يشكوني إلى خلقي خذلته ولم أبال»، فكتمان المصائب من علامات الصدق، وكذا كتمان الطاعات وكراهة اطِّلاع الخلق عليها.

ودرجة الصديقين أعلى الدرجات بعد النبوة قال تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ۗ الصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:69].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ﴾ [مريم:41].

وقال تعالى: ﴿ ﴾ [الزمر:33]: يعني محمدًا ﷺ، ﴿ ﴾: يعني أبا بكر رضي الله عنه، فإنه صدَّق النبي ﷺ.

ولذا قال عليه السلام: «**دعوا لي صويحبي فإني بُعثت إلى الناس كافةً، فلم يبقَ أحدٌ إلا قال لي: كذبت إلا أبا بكر فإنه قال لي: صدقت**».

وقال ﷺ: «قلت لجبريل ليلة أُسري بي: إن قومي لا يصدقوني فقال: يصدقك أبو بكر وهو الصدِّيق».

وعنه ﷺ: «يا أبا بكر إن الله سمَّاك الصديق».

والصدق عند العارفين: حالة ينشأ عنها الفعل بالهمة فيُقال: فلان من أهل الصدق إذا كانت الأشياء تنفعل عن همته.

قال في الفتوحات في الباب السادس والثلاثين ومائة ما معناه: الصدق قوة الإيمان، ولصاحب الفعل بالهمة، قيل لأبي يزيد: ما اسم الله الأعظم الذي تنفعل به الأشياء فقال: أروني الأصغر حتى أريكم

=

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:119].

**مقام:** إذا ملك السالك الحال صار صاحب مقام يتعرف به وفيه على الدوام.

**حال:** ما تحول وزال، وملك صاحبه ولم يملكه فهو حال.

لــو لمْ تحــلُ مــا سمِّيــت حــالاً وكلمـــــا حـــــال فقـــــد زالا

**مقام:** ما يكتسب بالتدريج يحصّل المقام، ويثبت في السلوك الأقدام.

**حال:** أسنى الحال ما لا يقيم معه محال.

**مقام:** ثبوت القدم مع القوم في المقام يحقق لصاحبه صدق المقام.

**مقام:** صاحب الحال يتحول بتحوله ويتلون بعدم ثباته وتململه.

**مقام:** إذا وجدت الزيادة مع الثبات فأنت من أهل المقام والدرجات، حال المريد غير

=

الأعظم ما هو إلا الصدق أصدق وخُذْ: أي اسم شئت، فإن أسماء الله تعالى كلها عظمة، وهو نعت إلهي، ولا يكون الصادق صادقًا ما لم يقم به الصدق ذوقًا، فإذا قام به كان نائبًا عن الله في الأشياء، فلا يغلبه شيء منها توجه له بهمته، فإن لم يوجد منه هذا الحال فليس القائم به هو الصدق الذي هو النعت الإلهي، بل أمر ظهر بصورته كظهور الشبهة بصورة الدليل.

وله حال ومقام: فمن تعلَّق صدقه بالكون من حيث التأثير فيه كان صاحب حال. ومن تعلَّق صدقه بالله تعالى كان صاحب مقام؛ لعدم الأثر عنه، فإنه تعالى ليس محلاً لتأثير غيره فيه، فيكون صاحب هذا المقام صادق التوجه إلى الله تعالى.

فإن ظهر عنه أثر في الكون كان من غير قصد، بل أجراها الله تعالى على لسانه أو يده بغير اختياره فلا يخرجه عن مقامه، فإن آثر عن قصد وعلم وادعى أنه صادق مع الله فهو إما جاهلاً بالأمر أو كاذبًا، فحال الصدق يناقض مقامه، ومقامه أعلا من حاله في الخصوص، وحاله أشهر وأعلا في العموم.

وكان الإمام عبد القادر الجيلي ﷺ على ما ينقل إلينا من أحواله حاله الصدق لا مقامه، وصاحب الحال له الشطح، وكذلك كان ﷺ.

وكان الإمام أبو السعود بن الشبلي تلميذه مقامه الصدق لا حاله، فكان في العالَم مجهولاً؛ لتمكنه من مقام الصدق مع الله، نقيض الشيخ عبد القادر فإنه كان محققًا متمكنًا في حال الصدق، فظهرت على يديه الخوارق، وكان مشهورًا في العالَم رضي الله عنهما فما سمعنا في زماننا مثل الأول في مقام الصدق، ولا مثل الثاني في حاله، فالصدق الذي هو نعت إلهي لا يكون إلا لأهل الله تعالى، والصدق المعروف عند الناس سار في كل صادقٍ من مؤمنٍ وكافرٍ، وهو ظل الأول كظل الشخص بالنسبة له انتهى.

حال المراد المريد، يحضر ويغيب له الحال، والمراد حال ليس له زوال.

**مقام:** المريد له مقام البداية بالحال الصادق، والمراد له مقام النهاية بالمقام الفائق.

**حال:** الصادق في الحال عند أهل الصدق من الرجال، تعلوه الهيبة والجلال، كما أن صاحب المقام يرى عليه أنس الجمال.

**مقام:** من رأيته ارتقى في التخلق عن خلق العوام، فهو بين القوم صاحب مقام، فإن ارتقى تلقى واقتفى ما هو خير وأبقى.

**حال:** إذا كان السالك يأخذ أحواله من غلبة الواردات بعد الثبات لنور المشاهدات، فهو صاحب حال عند الرجال.

**مقام:** إذا كان السالك يجد أنواره أيّ وقت أراد؛ فهو صاحب ومراد.

**حال:** ورود الحال يكسب الغيبة بعد الحضور، ويميت الحواس بغلبة النور.

**مقام:** من وجد الراحة بما هو فيه فذلك هو مقام أعطيه.

**حال:** من لم يجد نظمًا في سلوكه، بل يجد الخلل والنزاقة والسآمة مع الملل، فتلك حاله متعبة يستعيذ منها أهل الموهبة.

**مقام:** من كان مطمئن الخاطر منصتًا، لما يردُ عليه من الخواطر فهو من أرباب المقامات السنية وفوق أهل الأحوال المرضية.

**حال:** أعظم الأحوال ما ورَّثتْ صاحبها المقامات، وأشهدته عجزه وفقره في كل الأوقات.

**مقام:** أسنى المقام ما جمع سنىَّ الأحوال، وأكسب صاحبه الكمال.

## القانون الخامس

## قانون المراقبة[1]

(1) قال ابن عياد: قال سيدنا الشاذلي ﷺ: أيها السالك بطريق الآخرة بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك، فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة وخذ بتخليص باطنك حتى لا يبقى فيه شئ مما عنه نهاك وأعطي الجد حقه، وأقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك فما ورد عليك من خطرات قصدك عن مرادك فاعلم أولاً قرب ربك منك علماً تباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ودفع مضارك وانظر هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض وإن من الأرض نفسك ومن السماء قلبك، فإذا نزل من السماء إلى الأرض شئ من ذا الذي يصرفه عنك غير الله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4]، فأعط المعية حقها بلزوم العبودية لَه في أحكامه ودع عنك منازعة الربوبية في أفعاله من ينازعه يغلب ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:18] نعم الحق ما أقول لك ما نفس من أنفاسك إلا والله متوليه مستسلمًا كنت أو منازعًا لأنك تريد الاستسلام في وقت وتأبى إلا النزاع وتريد النزاع في وقت آخر وتأبى إلا الاستسلام فدلت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله ولا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه، فإذا كان الأمر بهذا الوصف فأعط الأدب حقه فيما يرد عليك بأن لا تشهد لشئ منك أولية إلا بأوليته ولا آخر إلا بآخريته ولا ظاهرًا إلا بظاهريته ولا باطنًا إلا بباطنيته، فإن تنبهت لمؤل الأول نظرت لما تأول فيما تأوله، فإن صدر عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه لا يلائمها مما لا يحرمه الشرع فانظر لما يخلقه الله فيك بآثار ما يخطر ببالك، فإن وجدت تنبيهًا على الله فعليك بالتحقيق، فذلك أدب الوقت عليك ولا ترجع إلى غيره، فإن لم تجد السبيل إلى التحقيق به فعرس بين يديه فهو أدب الوقت عليك ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك فإن لم يكن ذلك منك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الاستسلام والتفويض وأحذرك من الاختيار فإنه شر عند ذوي البصائر فإذن هي أربعة آداب أدب التحقيق وأدب التعريس وأدب التوكل وأدب الدعاء، فمن تحقق به حفظ منه ومن عرس عنده كفي من غيره ومن توكل عليه كفي من اختيار نفسه باختيار ربه ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له أو منعه إن شاء فيما لا يصلح له.

ولكل أدب بساط البساط الأول: بساط التحقيق إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكن هنالك بسرك وحرام عليك أن تشهد غيره .

=

=

البساط الثاني: بساط التعريس إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف عن أفعاله فعرس هناك بسرك وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهداً أو مشهوداً وفي الأول فناء الشاهد وبقاء المشهود.

البساط الثالث: بساط التوكل إذا ورد عليك خاطر من غيره ليس مما تقدم ذكره من محبوب أو مكروه وكشف لك عن عيوبك جلست على بساط محبته متوكلاً عليه راضيًا بما يبدو لك من آثار فعله من أنوار حجبه.

البساط الرابع بساط الدعاء فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن فقرك إليه فقد دلك على غناك فاتخذ الفقر بساطاً فاحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم وأقل ما يكون منك إذا تنزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبراً لها ومختاراً وأشرقت أحوالك ولا حال لك أن تحملها على الجد والاجتهاد إما في ظاهرك أو في باطنك طمعاً أن تدفع بذلك عن نفسك وما أسوأ حالك إذا كابدت أن تدفع عنها ما أراد الله أن يدفعه عنك فكيف إذا نازعته فيما لم يرد دفعه عنك وأقل ما في هذا الباب دعاوى الشرك، فإنك قد غلبت وما غلبت فإن كنت غالباً فكن حيث شئت ولن تكون حيث شئت أبدًا فدلَّ اجتهادك على عظيم جهلك بأفعال الله وما أقبح عابداً جاهلاً أو عالما فاسقًا فما أدري بأي الموضعين أصفك بالجهل أم بالفسق أم بهما جميعاً نعوذ بالله من تعطيل النفس عن المجاهدات ومن خلو القلب عن المشاهدات إذ التعطيل ينفي الشرع والخلو ينفي التوحيد وحاكم الشرع قد جاء بهما جمعًا فأدرج بهما جميعًا عن منازعة ربك تكن موحداً واعمل بأركان الشرع تكن سُنيًا واجمع بينهما بعين التأليف تكن محققًا: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53] ثم إن خطر لك أيضًا في مراقبتك خاطر من مكروه في الشرع أو محبوب فيه مما قد سلف منك فانظر ما تذكر به وتنبه وإن ذكرت الله فأدبك بتوحيده على بساط تفريده فإن لم ترد بك رؤية فضله فيما جلا لك من لطائف رحمته وزينك من طاعته بتخصيص محبته على بساط مودته، فإن نزلت عن هذه الدرجة ولم تكن هناك، فأدبك رؤية فضله إذ سترك فيما اقترفت من معصيته ولم يكشف سترك لأحد من خلقه فإن صُرفت عن هذا الباب وذكرت معصيتك ولم تذكر ما تقدم من الآداب الثلاثة فقم بأدب الدعاء في التوبة منها أو من مثلها بطلب المغفرة لها بحسب ما يطلبه الجاني المحاط به هذا في جانب المكروه في الشرع وأما إذا ورد عليك خاطر من طاعته تقدمت وذكرت من أفادك فلا تقرر عينك بها بل بمنشئها، فإذا قرت عينك بغير فقد سقطت عن درجة التحقيق فإن لم تكن في هذه المنزلة فكن في التي تليها وهو أن تشهد عظم فضل الله تعالى أن جعلك من أهلها وميزانها أن ترزق خيراً منها بل من علامتها الدالة على صحتها وإن لم تتبوأها وبُوئت فيما دونها فأدبك تدقيق النظر في تلك الطاعة هل هي هي وأنت سالم من المطالبة فيها أم هي بعكس ذلك وأنت مأخوذ بها نعوذ بالله من حسنات تعود سيئات ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ

=

قال الله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً**﴾ [الأحزاب: 52].

**لائح**: برق بارق شهود تجلّي اسمه الرقيب في قلب عبد مراقب لحضرة محاضرة الحبيب، فأوجب له ذلك دوام الحضور، ورفع الحجب وغياهب الستور.

**سانح**: خطر خاطر رقيب الحق في قلب عبد متوحش من الخلق، فخالط خاطره رقيب الخطر لما مرّ به ذلك وخَطر سيما وقد استشعر حضور الرقيب بحضرة الحبيب.

أنـا والحـبُّ مـا خلونـا ولا طـر ... فـــة عـــين إلا علينـــا رقيـــبُ

مـا خلونـا بقـدر أن أمكـن الدهـ ... ر بـــأني أقـــول جـــاء الحبيـــبُ

---

=

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:47] فإن نزلت عن هذه الدرجة إلى غيرها فأدبك طلب النجاة منها بحسنها وسيئها وليكن هروبك من حسناتك أكثر من هروبك من سيئاتك إن أردت أن تكون من الصالحين .

وقال رضي الله عنه إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلى من يدلك على الله بإشارة صادقة أو بأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن مما يعرض عنها ليعطى شيئاً على ذلك بل كن في ذلك عبداً لله أمرك أن ترفض عدوه، فإن أتيت بهاتين الخصلتين الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس فأقم مع الله بالمراقبة والتزم التوبة بالرعاية والاستغفار بالإنابة والخضوع للأحكام بالإستقامة، وتفسير هذه الأربعة أن تقوم عبداً لله فيما تأتي وتذر فتراقب قلبك ألا يرى في المملكة شيئاً لغيره، فإن أبيت بها نادتك هواتف الحق بأنوار العز إنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله بالمراقبة وأنت تسمع: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾ [الأحزاب:53] فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت به أنه قربة فتلزم بالتوبة والرعاية لقلبك أن لا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت عنه وإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضًا من قبل الحق أليست التوبة منه بدءٍ والإنابة تتبعها منه واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تنظر أوصافك، فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والإنابة والاستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه، فإن كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والإنابة ناداك من قريب اخضع لأحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك، وإنما هي ربوبية تولت عبودية فكن عبداً مملوكاً لا تقدر على شئ فمتى رأيت منك قدرة وكلتك إليها وأنا بكل شئ عليم، وإن صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هناك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين.

بـلْ خلونـا بقـدر مـا قلـت ألـ ح فـوافى فقلـت كـيم الطبيـبُ

**لائح**: نظرت عين بصيرة المراقب لمحة من جمال الحضرة فأشغلته عن كل ما ينظره بنظره.

**سانح**: ورد طيف الحسن على القلب المتوجه الطالب فهيمه في جميع المشارق والمغارب.

**لائح**: قعد قلب بمرصاد المراقبة بحضرة الأحباب، فسمع لهجة لذيذ الخطاب، فأمن خوف المهالك حين سمعه هنالك.

**سانح**: مرت بقلب مشتاق والهٍ بارقة من سنا المحبوب وجماله فعاد كالمسحور بأرض بابل لما هيجتْ منه الأشجان والبلابل.

**لائح**: لما أقام القلب على بساط المراقبه للحبيب أورثه ذلك أمن خوف الرقيب.

**سانح**: اجتاز طيف الحبيب على القلب المشتاق، فهام بالوجد وعظمت فيه الأشواق.

**لائح**: زار زَوْر الخيال في مرآة الأوهام، فأوجب الوجد والهيام، فكيف لو تحقق المراقب العاشق بالوصال في حضرات الشهود والاتصال؟.

**سانح**: جرى بريد الفكر في ميدان الأقطار، وأطلق بازي الصيد لتحصيل بعض الأطيار، فإذا به أثار غزالة الحي، فأثرها على كل حيٍّ، حتى على سلمى وليلى ومَي.

**لائح**: خطرت ليلى بالخيال وبالحمى، فازداد الشوق وعظم الظمأ قبل المشتاق أن يطفئ اللهيب، وأنَّ وعسى ومتى يكون وصل الحبيب.

**سانح**: جمال خطر على قلب حَضَر، فيا فرصة بما نظر بعد ما كان من الرقيب ستر.

ولمـــا تلاقيْنـــا وغـــاب رقيبنـــا ورمـت التشـكي في خفـاءٍ وفي سـترِ

بـــدا نـــورَ بـــدْرٍ فافترقنـــا لضـــوئه فيمـا مَـن رأى بـدرًا رقيبًـا علـى بـدرِ

## القانون السادس

## قانون المحبَّة[1]

(1) قال الشيخ الباني الكردي: وإثبات المحبة من الطرفين على ما قدَّره الشيخ هو الذي قرره أهل الحق، وصرح به الكتاب والسنة، بل هما مملوءان بذكر من يحبه ومن يحبهم.
قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ﴾ [البقرة:165].
وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:4].
وقال أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [ آل عمران:146].
وقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:148].
وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222 ].
وقال في أضداد ذلك: ﴿لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة:205].
﴿لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:18].
﴿لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:57].
وقال النبي ﷺ في دعائه: «اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك».
وكان من دعاء داود عليه السلام: «اللهم إني أسألك حبّك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحبُّ إلي من نفسي، وأهلي ومن الماء البارد».
وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي من أداء الفرائض، وأداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه».
وكم في الأحاديث أحب الأعمال إلى الله كذا أن يحبّ كذا، ولا بد من إثبات المحبَّة من الطرفين، وإلا بطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، وتعطلت منازل السير إلى الله؛ لأن المحبَّة روح كل مقام ومنزل وعمل، وما خلا منها فهو ميت لا روح فيه، فإنها الاستسلام، بل هي حقيقة لا إله إلا الله، وحقيقة العبودية أيضًا؛ لأنه لا يمكن الإنابة والحمد والرِّضا والشكر والخوف والرجاء بدونها، ومن هنا قيل: لا صبر إلا صبر المحبين، ولا زهد إلا زهدهم، ولا حياء إلا حيائهم، ولا رضاء إلا رضاهم، ولا شكر إلا شكرهم وغير ذلك، وذكر بعض في إثبات المحبة ما يقرب من مائة طريق.
وقال الجهمية: بأنه تعالى لا يحب ولا يحب وأَوَّلُوا محبة الله بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب، وأَوَّلُوا محبة العباد له بمحبة طاعته وعبادته وازدياد الأعمال لنيل الثواب، وأَوَّل بعض محبة الله لعباده بالثناء عليهم والمدح لهم، وبعضٍ آخر أوَّلها بالإرادة، وقالوا: الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات سمّيت محبة، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبًا، وإن تعلقت بعموم الإحسان والإنعام الخاص =

=

سميت بِرًا، وإن تعلقت بالإيصال في الخفاء من حيث لا يحتسب سميت لطفًا، فهي من صفات الأفعال عند من أوَّلها بالإحسان والإنعام، ومن صفات الذات كالكلام عند من أوَّلها بالثناء والمدح، ومن صفات الذات باعتبار نفس الإرادة، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها عند من أولها بالإرادة.

وأثبت الشيخ الجيلي قُدِّس سرَّه في كتاب «الإنسان الكامل»: «للإرادة تسعة مظاهر الأول: هو الميل أيّ: انجذاب القلب إلى المطلوب.

والثاني: الولع وهو إذا قوَّى ودام ذلك الميل.

والثالث: الصبابة وهي إذا اشتدَّ الميل، وأخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب.

والرابع: الشغف وهو إذا تفرغ القلب للحبيب بالكلية، وتمكن ذلك منه.

والخامس: الهوى وهو إذا استحكم الحب في الفؤاد.

والسادس: الغرام وهو إذا استولى حُكم الحب على الجسد.

والسابع: الحب وهو إذا نما وزادت العللّ المقتضية للميل.

والثامن: الود وهو إذا هاج إلى أن ينفى المحب عن نفسه.

والتاسع: العشق وهو إذا طفح حتى أفنى المحب والمحبوب».

وقال الشيخ المذكور في هذا المقام: «يرى العاشق المعشوق فلا يعرفه، ولا يصغي إليه، كما رُوي عن مجنون ليلى أنها مرت عليه ذات يوم فدعته إليها لتحدثه، فقال: دعيني فإني مشغول بليلى عنك».

ثم قال: «وهذا آخر مقامات القرب والوصول فيها ينكر العارف معروفه، فلا يبقى عارف ولا معروف ولا عاشق ومعشوق، فلا يبقى إلا العشق فقط،، فهو الذات الصرف الذي لا اسم ولا رسم ولا وصف ولا نعت له فيظهر بالصورتين، ويوصف بالوصفين فتارة عاشق، وتارة معشوق» انتهى ملخصًا.

واعلم أن المحبَّة هي مطايا القوم، وطريقهم الأقوم الذي به بلغوا إلى المنازل العالية، والمراتب السامية فإنها أصل الوجود، وقوت القلوب، وغذاء الأرواح ففازوا بشرف الدارين، ونالوا بها الحسنيين الأحسنين، وبها قدروا على خلع النعلين، والخروج عن القوتين، وهي التي لا تزيدها الحدود إلا الخفاء كالوجود عند أهل الصفا وجودها هو حدُّها، وما قيل فيها: فمِن جهة أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها لا بحسب حقيقتها؛ إذ ليس لها وصف أظهر من نفسها فهي كالعشق ذات صِرفة، بل هي مرتبة من مراتب المحبَّة على ما قال بعضهم:

بأن لها عشر مراتب العلاقة والصبابة والغرام والوداد والشغف والعشق والتيم أي: التعبد والتذلل يقال: تَيَّمه الحب أي: ذللَّهُ وعبَّده، والتعبد الصوف والخلة، فعلى هذا القول: العشق سابع مراتب المحبَّة.

وعلى قول الشيخ الجيلي: «المحبَّة سابع مراتب الإرادة ومظاهرها، فالمحبة بحسب اللغة لها خمسة معاني

=

=

الأول الصفاء والبياض يقال: لبياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان، والثاني العلو والظهور ومنه حباب الماء، والثالث اللزوم والثبوت يقال: حبَّ البعير وأحب إذا برك، واستقر في موضعه، والرابع اللبُّ يقال: حبه القلب أيِّ: لبه ولب الشيء خلاصته ومادته، والخامس الحفظ يقال: للوعاء الذي يحفظ فيه الماء مثلاً حب الماء».

ولها بحسب الاصطلاح أقوال تبلغ إلى ثلاثين قولاً أجمعها ما قاله الجنيد البغدادي قُدِّس سرَّه: «الذهاب عن النفس، والاتِّصال بذكر الرب، والقيام بأداء حقوقه، وحصر النظر بالقلب إليها، والموصوف بها من أنوار الهيبة أحرق قلبه، ومن كأس المودة صفى شرابه فانكشف الجبار من غيب الأستار لأجله، فإن تكلم فبالله، أو نطق فعن الله، أو تحرك فبأمر الله، أو سكن فمع الله فهو في جميع الأحوال بالله لله مع الله من الله إلى الله».

وقال أبو يزيد قُدِّس سرَّه: «هي استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك، وقريبٌ منه ما قيل: إنها استكثار القليل من الجناية، واستقلال الكثير من الطاعة».

وقال سهل ﷺ: «إنها معانقة الطاعة، ومباينة المعصية».

وقال أبو عبد الله القرشي: «أن تهب كلَّك لمحبوبك، فلا يبقى لك شيء)، وقال الشبلي قُدِّس روحه: «أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب».

وقال ابن عطاء الإسكندري رحمه الله: «هي إقامة العتاب دوامًا».

وقال أبو يعقوب السوسي ﷺ: «نسيان المحب حظه من المحبوب وحوائجه إليه».

وقال النصر بادي رحمه الله: «هي مجانبة السلو على كل حال».

وقال محمد بن المفضل: «هي توحيد المحبوب بالمحبَّة».

وقال يحيى بن معاذ: «هي مالا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالإحسان».

وقيل: هي الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: إيثار المحبوب على جميع المطلوب.

وقيل: موافقة المحبوب في الغائب والشاهد.

وقيل: محو المحب لصفاته وإثبات الحبيب لذاته.

وقيل: مواطأة القلوب لمرادات المحبوب.

وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

وقيل: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

وقيل: أن تُغار على المحبوب أن يحبه مثلك.

=

=

وقيل: إرادة غرست في القلب أغصانها فأثمرت الطاعة.

وقيل: توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب.

وقيل: غضّ طرف القلب عمَّا سوى المحبوب غيرة، وعن المحبوب هيبة.

وقال الحارث المحاسبي: «الميل إلى الشيء بالكليَّة، ثم إيثاره على النفس والروح والمال، ثم الموافقة له سرًا وجهرًا، ثم العلم بالتقصير في محبته».

وقيل: بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب.

وقيل: سُكر لا صحو معه إلا بالمشاهدة، ثم السكر الذي عند المشاهدة لا يوصف، وقيل: ألا تؤثر عليه غيره، ولا يتولى أمرك إلا هو، وقيل: الدخول تحتِ رقِّ المحبوب، والخروج منِ رقِّ ما سواه.

وقيل: سفر القلب في طلب الحبيب ولهج اللسان بذكره على الدوام.

ومن هنا قيل: مَن أحبَّ شيئًا أكثر ذِكره.

وقيل: إن كلك بالمحبوب مشغول وله مبذول.

ثم المحبَّة على ما قال بعض: جناح المسافرين، ودليل السالكين، وهي غايتهم والمتصف بها إمام الركب دائمًا، فمقدمة أرباب الفناء يلتقون بساقة أرباب المحبة.

وقال بعضهم: هي بين الهمَّة والأُنس وأول أودية الفناء والعقبة التي ينحدر منها على منازل المحو، فمقدمة العامة في آخر مقام المحبة وساقة الخاصَّة في أول منازل الفناء، ومنزل الفناء مُتصل بآخر منزلة المحبة، وعلى الأول مقام الفناء عقبة في طريقها وليس بعدها إلا البقاء، وما دون المحبَّة من المقامات كلها أغراض لا عواض فما سوى المحبين أجير ينصرف عند أخذ الأجرة.

وأمَّا المحبون فهم عبيد ونفس العبد وعمله ومنافعه لسيده لا له فلا يعوضه في ملكه، فلا ينصرف من الباب أبدًا.

والمحبَّة لها أسباب تجلبها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، ودوام الذكر قولاً وفعلاً وحالاً وتعقلاً، وإيثار ما يريد على ما تريد، والتفكر في الأسماء والصفات، ومشاهدة النعمة الظاهرة والباطنة من الذات، وبالتلاوة والاستغفار والمناجاة في الخلوات، ومجالسة المحبين الصادقين، ومباعدة الأسباب المانعة من توجه القلب إلى الحق تعالى، لكن المدار على الاستعداد يا أيُّها العباد.

وقال بعضهم: إنها على ثلاث درجات الأول هي القاطعة للوساوس والمنتجة للخدمة والتسلية عن المصائب، وهي نابتة من مطالعة المنة، وثابتة باتِّباع السنة، ونامية باختيار الفاقة، والثانية هي الباعثة على إيثار الحق على ما سواه، وحقًا اللسان يلهجُ بذكرها، والقلب يتعلق بشهودها وظهورها بمطالعة الصفات والنظر إلى الآيات، والثالثة هي الخاطفة للقلوب، والعبارة منقطعة دونها والإشارة غير واصلة إليها، وهي =

=

قطب هذا الشأن لخلاصها من الشوائب والعلل والأغراض.

وقال الشيخ الجيلي: إن المحبَّة ثلاثة أنواع محبَّة فعلية، وهي أن يحب الله تعالى لإحسانه عليه، ولأن يزيد عليه ما أسداه إليه، ومحبة صفاتية وهي أن يحبه تعالى لجماله وجلاله، ومحبة ذاتية وهي التعشق الذاتي الذي ينطبع بقوته في العاشق بجميع أنوار معشوقه، فيبرز العاشق في صفة المعشوق كما يتشكل الروح بصورة الجسد.

فالأول: محبَّة العوام أي: ما دون الشهداء.

والثاني: محبَّة الخاصة أي: الشهداء.

والثالث: محبَّة خاصة الخاصة أي: المقربين.

واعلم أن الحرف الأول من المحبة حرف (الميم) الذي هو دائرة الوجود؛ لأن أولها منعطف على آخرها مثل الواو والنون، وقد مرَّ في صدر الكتاب بيان هذا، وعدده أربعين وهو عين الكمال الاعتدالي في كلِّ شيءٍ، وموافق لمراتب الوجود الحقِّية والخلقية، فإنها وإن كانت كثيرة لا تُحصى لكن جميعها محصورة في الأربعين وما سواها داخل تحتها لاشتمالها الجميع، وإحاطتها بالكلِّ، ولهذا صار مُفتاحًا للملك والملوك، والمريد والمراد، والمحِب و المحب، والمبدئ والمعيد، وغير ذلك كما ذكرنا في أول الكتاب، وأيضًا صار مُفتاحًا للاسم محمد[1] هو نبينا ﷺ، فهذا العدد وهو مدلول الميم أصل الأشياء وبه تمت تخمير أبينا آدام عليه السلام، وهو أيضًا ظهر في الرتبة الرابعة من العشرات؛ لأن أربعين أربع عشرات، والعالم أربعة أنواع قديم وحديث وكثيف ولطيف، والطبائع أربع، والعناصر أربعة، والفصول أربعة وكذا حملة العرش، والملائكة المقربون، وجهات العالم، والروائح، والأوتاد، وأطوار العمر وغير ذلك أربع، والأربعة أصل في البسائط العددية، وهي أصل في تركيب الأعداد إلى غير النهاية؛ لأن بسائط العدد من الواحد إلى العشرة، ثم يشرع في التكرار، وليس مما فوق العشرة عدد من البسائط المتضمن للعشرة هو الأربعة فإنها فيها ثلاثة، والثلاثة والأربعة سبعة، وفيها أيضًا اثنان فكانت تسعة، وفيها واحد فصارت عشرة، وهي كاملة، وفي الميم اتصال قبلي وبعدي، واتصلت بها الشفتان بعد الافتراق، كما هو شأن المحبين إذا اجتمعا، ولها وصلة بالنون إذا تعانقتا، وامتزجتا كما هو شأن الواصلين.

والحرف الثاني (الحاء)، وهي حرف مُعرف بنفسه غير محتاج إلى التعريف لكونها مهملة، وأيضًا علوية مجردة روحانية لها مثال في السفل تتعلق به، ويتعلق هو بها كالحاء المنقوطة، ولها من العدد ثمانية وأبواب الجنة ثمانية، وحملة العرش يوم القيامة ثمانية، والصفات الكمالية للحق تعالى على ما قال بعض: وهو الأصح ثمانية ووقعت هنا في المرتبة الثانية، كما في الرحمن والرحيم، وفي محمد وأحمد ومحمود وغير ذلك.

(والباء) قد ذكرناها في أول الكتاب، وهي بمنزلة النفس؛ لأنها حرف ظلماني فهي حاجبة بين العبد

=

=

والرب، وقالوا: أول الحجاب ظلمة الوجود، وليس في لفظ المحبَّة حرف ظلماني إلا الباء، وهي هذا (بجد وزفشت ضظغ) والباقي من الحروف النورانية، وهي هذه (اهحطي كلمن سعصقر)، ومن هنا صارت النقطة تحته؛ لأن الباء فوق النقطة كالثوب فوق اللابِس وبه حجب نور النقطة، وظهور النقطة وراء الباء والحقيقة وراء ما ظهر من المحسوسان، وبرزت الباء في الاثنين لا بها بعدت بُعدين؛ لأن النقطة لا بُعد لها من الطول والعرض والعمق، فالألف ظهرت في مرتبة الواحد لبعده منها ببعد واحد، والجيم برزت في الثلاثة؛ لأنها حازت بالأبعاد الثلاثة، والواحد عدد لا كالأعداد فهو شيء لا كأشياء، والباء هو العرش أيضًا، والعرش النفس الناطقة المسمَّاة بالقلب الذي يسع الرب، فالنقطة غيب الهوية التي لا تزول عن خفائها أبدًا، والباء مستوى الأعداد لا عدد إلا والباء موجودة فيه، والرحمن مستوى الرب وصفاته النفسية، والباء حرف نكرة في نفسه محتاجة إلى التعريف وهو النقطة وإلا لم يتميز من التاء والتاء، وليس له مثال في المجردات، فلو رفع عنه التعريف لم يبق له محل تصير إليه، ولا صورة يُعال عليها.

والحرف الرابع (الهاء)، وهو إشارة إلى الهوية السارية في الموجودات، وإلى أنها محيطة بالأشياء، فلا ظهر لشيء إلا بسراينها، والبياض الذي في جوفها الإنسان الكامل الذي به نظر الحقُّ إلى الخلق أو العالم؛ لأنه لا وجود له إلا بنظر الله تعالى إليه، فلو لم يكن نظره إلى العالم لفنى بأجمعه، كما أنه لو لم تدر دائرة الهاء على البياض ما كان له وجود أصلاً بالنسبة إلى الدائرة، ومع وجوده بالدائرة باقٍ على ما هو عليه من العدم؛ لأن البياض على ما هو عليه قبل استدارة الهاء به بعدها أيضًا، فكذا العالم بعد وجوده على الحالة التي كان عليها قبل خلقه تعالى إيَّاه، أو جوف الدائرة هو الحق، والدائرة هي الخلق؛ إذ الحق باطن في الخلق فجمع هذا اللفظ جميع الأسرار إجمالاً، واجتمع فيه مخارج الحروف التي هي مبني الكلم والكلام، فإن (الميم) و (الباء) شفوية، و (الحاء) وسطي، و (الهاء) حلقي، وكل منها في مركزه إلا الباء فإنه شفوي وقع الوسط إشارة إلى أن الحب منه وبه وإليه.

فمن عرف هذه الأسرار يعرف أن لهذا اللفظ شأنٌ عظيمٌ كيف لا ؟! وهو مشترك بين الحق والخلق، وإن كان في الحقيقة ليس إلا الحق؛ لأنه قد ثبت بالنص لكن في طرف الحق ذاتي وأصلي، ومن طرف الخلق عارضي وفرعي، والفرع راجع إلى أصله، فيصير محبَّة العبد محبة الحق وذلك إن محبة الحق محبة الأصل لفرعه، فكل من أحب شيئًا بهذه المحبة فهي محبَّة الحق، ولذا أحب النبي ﷺ النساء حيث ورد في الحديث: «حُبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة [1]».

فالحق تعالى أحبَّ آدم حب الأصل للفرع، والكل للجزء، وذي الصورة لصورته، وآدم عليه السلام أحب حواء كذلك، فهو أحبها بحب الله تعالى إيَّاه، فالنبي ﷺ أحب النساء بحب الله تعالى إيَّاه من حيث أن كلاً من المحبين حب ذي الصورة لصورته، والأصل لفرعه، والكل لجزئه، وأيضًا أحب النبي ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن؛ لأن الحق تعالى لا يشاهد من غير مواد أصلاً، فإنه تعالى بذاته غني عن العالمين، لا علاقة بينه

=

قال الله تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: من الآية54].

**نفحة:** نظرت عن العناية لعبد سبقت له عواطف الحنَان من الحنَّان؛ فدخل حضرة الامتنان بالأمان.

**لمحة:** لوامع حضرة السنا برقت بالأسماء الحسنى، فهل رأيت ذلك الجمال؟ وهل همْت بالوجد بين الرجال؟

**نفحة:** حقيقة المحبة نار تحرق الأكبار، ولوعة تنمو وتزداد.

وفي فـــؤادِ المحـــبِ نـــارُ جـــوى  أحـــرُّ نـــارُ الجحـــيمِ أبردهـــا

**لمحة:** يا من نظر حسْن الغيد بحيّها والبطاح؛ فغدا مفتونًا بدلال تلك الملاح.

جمـــــالُ ليلـــــى تجلَّـــــى  فاشـــــهد وِطـــــبْ وتملَّـــــى

**نفحة:** حقيقة المحبة كتمان سرّ المحبوب فيما تجلَّى على المحب من مشاهدة الغيوب.

---

=

وبين شيءٍ أصلاً بالشهود ولا بغيره، فلا يمكن شهوده إلا في مادة وهو في النساء أعظم وأكمل؛ لأنه تعالى يشاهد فيها من حيث هو فاعل منفعل معًا من غير انفصال بينهما؛ لأن المرأة تؤثر في تبهيج الشهوة فيه وتتأثر عنه حين المواقعة، فالمشاهدة باعتبار الأول من حيث هو فاعل، وباعتبار الثاني من حيث هو منفعل، وأمَّا مشاهدة الحق في المرأة من حيث صدورها عن الرجل فهو شهود في منفعل؛ لأنها منفعلة عن الرجل، ومشاهدته في الرجل من حيث أن المرأة ظهرت عنه فشهود في فاعل، ومشاهدته في الرجل من حيث أن المرأة ظهرت عنه فشهود في فاعل، ومشاهدته فيه من غير استحضار ظهرت المرأة منه فهو شهود في منفعل؛ لأن الرجل منفعل عن الحقِّ بلا واسطة، فالشهودات الثلاثة منفصل بعضها من غير لزوم الاتصال، والمعيَّة بينها.

وأمَّا شهود الرجل الحق في نفسه من حيث إنه مؤثر في المرأة، ومن حيث إنها متأثرة عنه، فشهود من حيث هو فاعل ومنفعل كالشهود في المرأة إلا أنه أتم فيها، كيف؟ إن لم يكن أتم، كما أن في شهوده في المرأة فناء المشاهد دون شهوده في نفس الرجل على ما هو الظاهر، فكل من أحبَّ المرأة على هذه المعرفة فحُبَّه حُبّ إلهي، ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية فيكون هذا الحبُّ صورة بلا روح وإن كانت الصورة في نفس الأمر ذات روح، فهو يحب الالتذاذ، ومُحِلّ الالتذاذ، وغاب عنه روح المسألة والعارف يعلم بمن التذ ومن التذ ومن اللذة.

ثم بعد ما عرفت هذا، وأوعيت في قلبك، فاعلم بأن محبة الشيء لا تكون إلا بعد معرفته؛ لأن محبة المجهول مُحال، فالمحب لله لا تكون إلا بعد معرفته إيَّاه بأنه هو الظاهر، وأنه هو الباطن.

بالسـرِّ إن بـاحوا تبـاحُ دمـاؤهم وكـذا دمـاءُ البـائحين تبـاعُ

**لمحة:** سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحًا وشوقًا، فكيف به لو رأى جماله عيانًا كان يموت حقًّا.

يا نَسمة قد سرتْ سِرًّا لنا سحرا مـن الحبيـبِ لنـا قـد أنعشـت نفْسَـا

كيـف العقيـق وآيـات بـذي سَـلمِ وكيـف خلَّقـت ذاك المنـزلُ القُدْسَـا

**نفحة:** حقيقة المحبة خلاص جوهر الروح من الأعراض وفناء النفس من الحظوظ والأعراض.

هـم العَرِيْـبُ بنجـدٍ مـذ عـرفتهمُ لم يَبْـقَ لي معهـم مـالٌ ولا نشـبٌ

**لمحة:** إن شئت أن نلتذ بلمحة شهود العيان؛ فتذلل لمحبوبك في كل الأماكن والأزمان.

تـذلَّل لمِـن تهـوى لتكسـب عِـزَّه فكـم عِـزَّةٌ قـد نالهـا المـرءُ بالـذلِ

**نفحة:** أعظم المحبة ما يسكن القلب أول وهلة، وتزعج منه جمع الخواطر بلا مهلة.

آتاني هواها قبلُ أن أعرف الهوى فصـادف قلبًـا خاليًـا فتمكنـا

**لمحة:** المحب مَن لا يغَيِّره عذْل الرقيب، بل يزيدِه ذلك حبًّا في الحبيب.

أحبـك يـا شمـسُ الزمـانِ وبـدره وإن لاقـني فيـك السـهر و الفـراق

**نفحة:** المحبة الحقيقية جذبة اضطرارية غير اختيارية عند المحققين من الصوفية.

وأصـرف طـرفي نحـو غـيرك عامـدًا علـى أنـه بـالرغمِ نحـوك راجـعٌ

**لمحة:** سوق الشرق به قطيب المحبة والذوق لهذا ترى الأشباح تابعة للأرواح.

ومـا زال بي شـوقٌ إليـك يقـودني يـذلل مـني كـل ممتنـعٍ صـعبٍ

إذا كـان قلـبي سـائرًا بزمامـه فكيـف لجسـمي بالمقـامِ بـلا قلـبٍ

**نفحة:** إذا قوى على المحب الشوق استعرت فيه النيران، فترادفت عليه الهموم والأحزان، فاستمع قصص أخبارهم عن أحبارهم.

قصوا علي حديثَ من قَتلَ الهوي إن التأسِّـي روحُ كـلِ حـزينٍ

**لمحة:** روح المحب المشوق كالغصن الممشوق، كلما مرَّت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة.

أهتــز عنــد تمــني وصْــلها طربًــا ورُبَّ أمنيــة أحلــى مِــن الظفــرِ

**نفحة:** المحب أبدًا يخاف فوات الوصال، وينشد لسان حاله قول من قال:

وكم فرصة فَاتت فأصبحت نادمًا تعضُّ عليها الكفَّ أو تقرعُ السنَّا

**لمحة:** سمع المحب في ليله شبه صوت محبوبه في المنام، فنهض وبادر للقيام، فإذا هو من الهيام وغلبة الأوهام.

مَــن لم يبِــت والبــين يقــرع قلبَــه لم يــدْرِ كيــف تفتَّــت الأكبــادُ

**نفحة:** تفوتت أحوال أهل الغرام، وتباينت في الحال والمقام[1].

---

(1) قال الشيخ القونوي قدس الله سره: في سر المقام والحال، وكيفية التلبُّس والتحقُّق بهما.

وصورة الخروج والتحرُّز من رقِّ كل مقام وحال؛ من حيث العلم أو من حيث الشهود؛ اتِّصافاً، وتجلياً مستصحبًا أو غير مستصحب؛ جمعًا وفرادىً.

وتضمَّن هذا الوارد أيضًا الكشف عن سرِّ القدر؛ لا من حيث حقيقته؛ فإنه قد كان معلومًا قبل ذلك؛ بل من حيث أصل الحكم فيه باعتبار العلة الغائية المقصودة بالحكم التقديري لعينها، وأريت كل ذلك أراه محققة جامعة أحاطية مع ضمًّا، ثم آخر تضيق وقتي هذا عن ذكرها، وقد تذكر وتظهر فيما بعد أن شاء الله تعالى.

فمن ذلك: إن المقام لا يحصل غالبًا إلا بعد ضَرْبٍ من التمحيص والتنبيه على ارتكاب أعمال يكون لها مدخل في حصول المقام، وتكون شروطًا في التحقُّق به، وبعض تلك الأعمال أكثرها يثمر أحوالاً بعضها ناتج عن بعضٍ ومعد للتلبُّس بالبعض الآخر.

ثم يحصل فيما بينهما وبين ما ينتجه من الأحوال امتزاج وتمحص يوجبهما الطوارئ الخارجية من الأمور الكونية والخواطر المنبعثة من الباطن بموجب العقائد السابقة والصفات الغالبة؛ وتتولد الحالة الثانية المقامية من بين ذلك كله؛ فيتصل بتلك الحالة حكم علم صاحبها وذوقه السابق؛ إن كان قد سبق له ذوق كُلِّيّ أصْلِيّ؛ وإن لم يسبق له ذلك فحكم اعتقاده السابق في ذلك ما قلناه؛ فنتجلّى به نفسه تارةً علمًا فحسب، وتارةً علمًا واستحضاراً وقتًا دون وقتٍ، وتارةً يقوى حكم ذلك المقام فيه؛ فيصير وصفًا لازمًا محكومًا بالنسبة إلى لمن قُدِّر له التجاوز عن ذلك المقام مثلاً أو عن سائرها.

=

=

وأما من لم يكن بهذه المثابة؛ فإن حكم المقام ووصفه يتملكانه من حيث معرفة الأمر المستلزم لاستحضاره والتلبُّس به تعشُّقًا واعتقاد أنه الغاية؛ فلا يبرح فيه ويكون محكوم المقام لا حاكمًا عليه؛ بخلاف القسم الأول العالي، فإن كل من كان من أهله يستجلب الحال المستلزم للتلبُّس بحكم المقام متي شاء ببعض جواذبه ولوازمه، وكذلك يتحرَّز من حكم المقام وينسلخ من أوصافه إذا شاء دون انحصار فيه، أو في غيره من المقامات أيضًا؛ إن كان من الأفراد والكُمَّل مع التمكُّن من التلبُّس بما شاء منها والاستجلاب له بسببه أو أسبابه؛ إن كانت له أسباب متعددة، وهذا حال الأكابر.

وأما من دونهم فينحصر في مقام أو مقامات معينة لا يمكنه الانسلاخ عنها وعن أحكامها والأحوال الخصيصة بها؛ لعجزه عن التعدي، أو لاعتقاده أيضًا أن ليس وراء ما هو فيه أمر يختار التجاوز من هذا إليه أو الطلب له أو الاستشراف عليه، وهذا الوصف والحكم يصدق على ما عدا الكُمَّل والأفراد،وإن عُدَّ أهله من المحققين.

وموجب ذلك سرَّان إلهيان:

**أحدهما**: استجلاء الحاصل، والارتواء بنتائجه، والاقتناع بثمراته كما مر.

**والسر الآخر**: هو حكم مناسبة ذاتية أو صفاتية توجب سكينة وطمأنينة؛ لولاهما لم ينقطع تشوُّق سالك عن طلب المزيد، والرقي إلى ما وراء الحاصل، ولو كان ذلك؛ لم تنعمر المراتب والمقامات بأربابها، ولا استمر سلوك الجميع نحو ذروة الكمال، وتعطَّلت حالتئذ أحكام الأسماء والصفات الإلهية، وخلت المراتب الإلهية والكونية من أهليهما، ولم ينتظم أمر الوجود، ولا ارتبط بعضه ببعض، ولا ظهر سر الجميع والتمييز والتفاوت والخلاف والاختصاص والمناسبات.

وسر اختلاف الأمزجة والأرواح والأوقات الظاهر أحكامٌ جميعها بحسب الأسماء والصفات؛ المتعينة من الشئون الذاتية الإلهية المعبَّر عنها عند بعضهم بـ«الممكنات».

فالأمر ظاهر التنوع على الدوام؛ والتنوع من الظاهر الواحد الأحد بحسب أحكام المراتب التي هي كالأشكال بالنسبة إلى المتشكِّل؛ وبالمراتب الكلية تتعين الشئون التفصيلية؛ فما غَلَبَ عليها وَصْفُ الشرف والاعتلاء نُسبت إلى الجناب الإلهي وأضيفت إليه، وما توهّم فيها شين ونقص أُضيفت إلى الكون، والكل صفات كمال وإلهية من حيث إضافتها إلى الحق عند من عرف وشهد ما الأمر عليه.

فالكليات الأُوَّل؛ كالأجناس، وتوابعها كالأنواع، ثم أنواع الأنواع، وبعدها الأشخاص، فظهر بما قلنا وما ذكرنا سرَّ التعدُّد والكثرة المنسوبين من حيث الأسماء والصفات إلى الحقِّ، ومن حيث الكثرة الوجودية والتركيب إلى الكون، وظهر بذلك سر النقص والكمال في العلم، والجهل والشرف والخساسة بالنسبة والإضافة.

فسبحان من أوجد الأشياء؛ فكان عينها في جميع الحالات على اختلاف الأوقات، لا رب غير. وانظر:
=

فالمريد صحا بعد سكره، وانطوى في نشره، والمراد كلما صحا؛ ازداد سكرًا فلذلك طاب عَرْفه نشْرًا.

صحا المريدون منها بعدما سكروا  وللمرادين سكر عندها باقي

**لمحة:** إذا تراءى جمال المحبوب من عالم الغيوب زاد الهيام، وامتنع الكلام إلا عند الشكوى من ألم البلوى.

الحبُّ ماَ منعَ الكلام الألسنا  وألذ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

**نفحة:** حضر المحب مع المحبوب في المقام؛ فسكرَ سكرْ الهوَى والمدامَ، فلا عجب إن غاب واستمع وطاب.

سكران سكر هوى وسكرُ مدامةٍ  أنىَّ يفيق فتى به سكرانُ

**لمحة:** دخل المحب ليلة حمي الحبيب، عند غفلة الواشى والرقيب، فالتذَّ بسماع الخطاب في حضرة الأحباب.

يا ليلة بالحمى ماكان أطيبها  من طيبها رقصت من تحتنا النجبُ

**نفحة:** إذا سمع الحبيب بالوصال، وآنس محبه بشهود الجمال؛ فذلك إذن له بالخطاب يا من رفع له الحجاب.

وعند اجتماعي بالحبيبِ أبثُّه  أحاديثَ لا تطوى عليها الصحائفُ

**لمحة:** من لم يحصل له من المحبةِ ذَرَّة أو حبَّة، فقد حُجِب من النعيم باليأس، وليس في شيءٍ من الناس.

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى  ولا خيرَ فيمَن لا يحبُّ ويعشقُ

**نفحة:** تالله لا يطيق الكتمان مَن قلبه بالمحبة ملآن.

ومَن قلبه مع غيره كيف حاله  ومَن سرّه في جفنه كيف يكتمُ

---

=

النفحات الإلهية (ص139) .

**لمحة:** صاحب مقام الصبر دون التصبر في المحبة ملوم، فإذا عُوقب فليس بمظلوم.

والصبرُ يحمَدُ في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذمومُ

**نفحة:** قلب المحب لا يرعوى عن المحبوب، وإذا قال غير ذلك فهو كذوب.

ألسْتَ وعدْتَني يا قلب أني إذا ما تبت عن ليْلىَ تتوبُ

فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى فما لك كلما ذكرت تدوبُ

**لمحة:** من لم يفن ويموت في هوى الحبيب، لم يحصل في وصله على أوفر نصيب.

فلا ينالُ حياةَ القربِ عاشقنا إلا إذا صارَ في إعدادِ قتلانا

**نفحة:** علامة المحبة قيام المحب بأوامر محبوبه، واستجلاء ما مَرَّ من شئونه وخطوبه.

تعصى الإله وأنت تظهرُ حبه هذا لعمرى في القياسِ بديعُ

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته إنَّ المحبَ لمن يحبُ مطيعُ

**لمحة:** حال الحب الصادق ينتقل ويترقَّى، حتى يكون بذلك من غيره أرقى.

أراك تزيد في عيني جمالاً وأعشق كل يومٍ منك حالاً

تزيدُ ملاحةً وأزيد حبًّا وحَالِي فيك ينتقل انتقالاً

**نفحة:** قلب المحب عن محبوبه لا ينقلب انقلاب الحبيب، وهذا هو الشأن وضده الأمر العجيب.

وأقول للقلبِ الذي لا ينتهي عن حُبكمِ أبدًا ولا يتجنبُ

قد كدت أنك لا يسمَّيك الورى قلبًا لكونك عنه لا تتقلبُ

ولو استطعت تركته وأدرْته عنك ولكن ما لقلبي لولبُ

**لمحة:** غلبة نار الجوى هاجت بالهوى، فأحرقت روح الحب فذابت وتدفقت من آماقه وسالت[1].

(1) قال الشيخ القونوي: للمحبة أسبابٌ شتَّى، وموجبات متعددة.

=

=

منها: ما هو نتيجة عن مناسبةٍ واقعةٍ بين بعض صفات المحب والمحبوب؛ يتحدان من حيث تلك الصفة، وإن تَفَاوَتَتْ حظوظهما.

منها: لاستحالة ظهور حكم صفة ما في موجودين أو شخصين على السوية؛ بل لا بد من حصول التفاوت؛ لتفاوت استعدادات الماهيات الغير المجعولة المقتضية لقبول الوجود الواحد الشامل جميعها على الأنحاء المختلفة بصورِ حصصٍ متنوعة.

ولهذا تعذَّر وجدان المثلية بين اثنين من جميع الوجوه ذاتًا وصفةً وحالاً، بل غاية ذلك الشبه من بعض الوجوه.

ثم نقول؛ وقد تكون المحبَّة الحاصلة بين اثنين نتيجة اشتراك، ومناسبة في بعض الأفعال، أو في بعض الأحوال، أو في المرتبة؛ كالاشتراك في النبوّة، والولاية، والخلافة، والعلم بالله أو بما شاء الله من حيث الذات.

والمراد من قولنا: من حيث الذات أن العلم عندنا قد يكون ذاتيًّا؛ فلا يدخل في قسم الصفات، فلو لم يذكر القيد المنبَّه عليه لَظُنَّ أن ذكر العلم تكرارٌ، فإنه داخل في قسم الصفات.

وإذا تقرر هذا فنقول: المحبةُ حقيقةٌ كليةٌ مشتركةُ الحكم بين الرتبة الإلهية والكونية، فمناسبتها ثابتة بين الحق والخلق، فتصحُّ نسبتها إلى الحق من وجهٍ وباعتبارٍ، وإلى الخلق أيضًا كذلك؛ بموجب حكم المناسبة التي سنزيد في بيانها إن شاء الله، ليس من حيث ما يتوهمَّهَ المحجوبون من أن الحق يحب عباده من حيث مغايرتهم إيَّاه أو فيهم من يحبه من كونه خلقًا وسوى؛ ويغترون بما يفهمونه من قوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54]، وبقوله: ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:195]، و﴿يُحِبُّ المحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:46] ونحو ذلك.

هذا عندنا من المستحيلات، فإنه من المحال في مشرب التحقيق أن يحب شيءٍ ما سواه من حيث ما يغايره إلا بموجب حكمَ معنى مشترك بينهما، من حيث ذلك المعنى ثبت بينهما مناسبة تقضي بغلبة حكم ما به الاتحاد على حكم ما به الامتياز والمباينة.

فبحكم العلم بتلك المناسبة أو الشعور بها على العالم، أو الشاعر أن يطلب رفع أحكام المباينة بالكلية، وظهور سلطنة ما به الاتحاد؛ لِتصح الوصلة التامة، وتظهر سلطنة الواحد الأحد، فلا جائزٌ أن يحب الحق الخلق أو الخلق الحق.

وإنما ثم أسرار آخر ذاتية، وصفاتية، وفعلية، وحالية، ومرتبية من حيث هي تثبت المناسبة فتحصل المحبة، غير ذلك لا يجوز.

فأما «**الصفاتية**»: فإن الوحدة صفة ذاتية للحق، والكثرة صفة ذاتية للعالم؛ فهما متقابلان من هذه =

=

الوجه، لكن للوحدة كثرة نسبية من حيث ما يتعقّل أن الواحد نصف الاثنين، وثلث الثلاثة، وربع الأربعة، وخمس الخمسة، فهذه أحكامٌ لازمةٌ لوحدة الواحد، ولا توجب كثرة في حقيقته، فإنها أمورٌ اعتبارية لا وجودية، وهكذا يجب أن يتعقّل جميع الصفات الإلهية ليس غير ذلك.

ثم نقول: ولكثرة أيضًا وحدة تخصُّها هي معقولية وحدة الجملة من حيث هي جملة وكلية، فمتى علم أحدهما بالآخر، أو تعقل بينهما ارتباط؛ فبموجب حكم القدر المشترك، فما علم هذا بذلك إلا بما فيه منه، فافهم.

ثم قال الوارد المتعين لسانه في القلب الجامع الإنساني وهو من مقدمات كتاب: «علم العلم»: اعلم أن مستند الآثار كلها ممن تُنسب إليه هو التوجه الذاتي المؤثر فيه بالحال الجمعي؛ لكن من حيث كينونة المؤثر فيه في ذات المؤثر وارتسامه في نفسه، والحال الجمعي ناتج عن الحركة الحُبيَّة؛ وموجب الحركة على اختلاف ضروبها طلب التحقق بالمحبوب المقتضي للحركة نحوه، والمحبة كيفية لازمة لاستجلاء العالم ما في الاتحاد به؛ ظاهرًا وباطنًا، جمعًا وتفصيلاً؛ كما له لذةً وابتهاجًا، عاجلاً أو آجلاً، مؤقتًا أو غير مؤقت.

و «علم العالم»: عبارة عن كمال إحساسه بذاته ولوازمها، وكمال الإحساس مشروطٌ بصحة الإدراك، وكمال الحياة المستلزم رفع كل حجاب والتباس.

و «الالتباس»: عبارة عن امتزاج أحكام المراتب، وتداخل أحكام الحقائق بسبب الوجود الواحد المشترك بينهما؛ الموحد أحكام الكثرة المختصة بكل منها؛ وعوز مانع من كمال انبساط حكم المدرك من حيث إدراكه على شئون ذاته المستجنة فيه، وما يزيد الانبساط عليه بموجب قيد ينافيه الإطلاق.

و «رفع حكم الالتباس والجهل من المتصف بهما»: عبارة عن مزيد وضوح له فيما تعلَّق إدراكه به من قبل؛ ويستلزم إعراضه عما كان حاكمًا عليه بسبب إقباله وميله إليه.

وعبارة عن؛ انبساط ذات المدرك وإطلاقه وكمال نوريته المنفِّر ظلمة كل حجبة أوجبها التعدُّد والاختلاف.

و«الحجبة»: عبارة عن الإعراض عن سرِّ ما سمِّي حجابًا، والتشوُّف إلى ما لحظ بعين المحجوبية، وللمحجوب درجةُ المطلوب المتوسل إليه، وللحجَّاب درجة الوسيلة؛ ومرجع ذلك إلى جمعٍ وتفصيلٍ قد يعبر عنهما بقبض وبسط يستلزمان البطون والظهور؛ اللَّذيْنِ لا يتحققان إلا بشهودِ القدر المشترك بينهما، وغلبة حكم الوحدة الجامعة بين العالم، وما قصد معرفته على أحكام كثرتهما الموجبة للجهل والحجبة، ولما كان الحق محيطًا بكل شيءٍ، وكانت أحكام وحدته غالبة على أحكام كثرة المعلومات؛ لهذا كان علمه بنفسه مستلزمًا لعلمه بكل شيء، فافهم.

وليس الذي يجري من العينِ مؤها ولكنهـا روحـي تـذوبُ فتقطـرُ

## القانون السابع

## قانون الزهد[1]

(1) إن الزهد يختلف باختلاف المقام، فللعوام زهد بمعنى ترك الحرام، وللخواص زهد أيضًا وهو ترك الفضول من الحلال، ولأخصهم زهد وهو ترك ما يشغلك عن مولاك، والكل خير وممدوح على ما ورد به الحديث حيث قال النبي ﷺ:

«الزهد خير كله»، والكامل الأخير؛ لأن حقيقة الزهد أن تترك نفسك دنياك وروحك عُقباك، ويبقى سرّك مع مولاك.

وقال الشيخ الجيلي قُدِّس سرَّه في الإنسان الكامل: «زهد المسلمين والمؤمنين والمحسنين في الدنيا ولذاتها، وزهد الشهداء في الأولى والعقبى، وزهد الصديقين في سائر المخلوقات، فلا يشهدون إلا الحق تعالى مع الأسماء و الصفات، وزهد المقربين في البقاء معهما فهم في الحقيقة الذات»، ويمكن أن يكون مراد الشيخ هذا الأخير وهو الظاهر من إطلاقه، ويمكن أن يكون مراده زهد الصدِّيقين، لكن بتقدير معطوف بعد الجبار أي: وأسمائه وصفاته، والمعنى ليس الزاهد الكامل الذي يعمل الزهد في الدُّنيا والدرهم المستعبدين للناس والمهلكين لهم حيث ورد: «أهلك الناس الدينار والدرهم» بأن يترك الالتفات إليهما بحيث لا يخطران لا هما ولا وجودهما بباله، بل الزاهد الكامل الذي زهد فيما سوى الجبار من الدنيا، والآخرة وما يتعلق بهما حتى العلوم والمعارف بأن يشهد الحق وأسمائه وصفاته، بل لا يشهد إلا الذات بدون اعتبار الأسماء والصفات وهذا هو الطي الحقيقي، ومن هنا يقال: المسافة إلى خطوتين، وإليه يشير قوله عليه ﷺ: «الدنيا خطوة مؤمن» أي: يتخطاها بالزهد فافهم.

وقال بشر الحافي ﷺ: «من دخل في طريقنا يومين فقد حاز مُلك الدارين».

فيدلُّ هذا على أن المسافة يومان في اليوم الأول يترك الدُّنيا، وفي الثاني يترك الآخرة، وفي اليوم الثالث واصل؛ لأنه يكون لربَّه حقًا بلا علل، وأمَّا طي الأيام بلا طعام وشراب، وقطع الأرض في أقرب مدة بلا مشي، وتعب فهو رسمي لا اعتداد به.

وقال بعض: ليس الشأن أن تُطوى لك الأرض فإذا أنت حيث مشيت من البلاد، بل الشأن أن تُطوى عنك أوصاف نفسك فإذا أنت عند ربك، وقال بعض: من مكنه الله على مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء والهواء، ويناسبه قول بعض: لا تتعجبوا ممن لم يكن في جيبه شيء فيخرج منه ما يريد، ولكن تعجبوا ممن يضع في شيءٍ فلم يتغير بفقدانه عند إدخال يده في جيبه، وعند هذه الطائفة كل ما يشغلك عن مولاك فهو دينك تحجب به عن الحق تعالى، ولذا نفي الشيخ قُدِّس سرَّه اسم الزاهد الأعلى من زهد فيما سواه تعالى، وهو الغاية العظمى والمطلب الأقصى؛ إذ فيه غاية الرِّضا.

قال الله تعالى: ﴿**فَآمِنُوا خَيْراً لَكُم**﴾ [النساء: 170].

**تنوير**: إذا لم تزهد في الدنيا الدنية، فأنت بعيد عن خير الآخرة العلية.

**تحرير**: خلو قلبك من المعصية للمولى أحق بك أيها العاقل وأولى.

**تنوير**: لو لم يكن من خبث الدنيا إلا أن حلالها حساب وحرامها عقاب، لكفى ذلك عبرة فاعتبروا يا أولي الألباب.

**تحرير**: الفارغ من شغلها يا قوم لا يحترق بنار شعلها في ذلك اليوم.

**تنوير**: الزُّهد في الشرِّ واجب في المحرمات، ومندوب في الكثرة من المباحثات، وفي أحكام الحقيقة عند أهل الطريقة واجب في الجميع، فقل: نعم يا مطيع.

**تحرير**: تعطيل جيد دنيا العبد الزاهد السالك أعظم عند الله من حلي الراغب العفيف المالك.

**تنوير**: الدنيا كحية منظرها يزين، ومَسُّها يلين وباطنها قبيح وسمها دفين.

**تحرير**: كل يوم أهل الدنيا يرحلون عنها، وكل نفس هم يبعدون منها، لكنهم عميان الشهود وفي غفلة عن فهم المقصود.

**تنوير**: قد ذوقتك الدنيا ألم المشقة بُعْد مسافة الشُّقَّة، فاحذر عداوتها أيها الإنسان فقد وعظك الملَّوان.

إذا امتحن الدنيا لبيبَ تكشفت  له عن عدو في ثيابِ صديقِ

**تحرير**: إذا أردت أن تعرف ما للدنيا من حقيقة البقاء والكمال ما ستجلها في مرآة الحق؛ تجدها كالخيال إذا نظرت فيها حضر، وإن غبت عنها زال، فهي خيال في خيال في خيال.

**تنوير**: الزاهد المجرد استراح من حمل الأثقال، وخفت مؤونته من العيال، حيث حل فلباسه فراشه وغطاؤه قماشه.

**تحرير**: زهرة الدنيا ذبولها سريع، والمفتون بها صريع، الدنيا وسيلة المرء غدًا، فلا تجعل الوسيلة مقصدًا.

**تنوير**: عيش أهل الدنيا بالتعب والنكد، وعيش أهل الآخرة بالهناء والمدد أرباب الدنيا أرقاء المشاق، وإخوان الآخرة خَلصوا من رداءة الأخلاق، من كانت همته الآخرة فهو ملكى الروح لا يرتاح لغير طيب عرفها.

**تحرير**: الدنيا لمحة من الآخرة وعمرك وإن طال طرفة بينهما فلله أشكو من حال كالمحال؛ هذا قولي وإن لم أكن به أنتبه فانتبه أنت به.

**تنوير**: أنوار أعمال الزهد تضيء من مشكاة قلب الزاهد، وتتضاعف وتزيد على أعمال الراغب العابد.

**تحرير**: التجريد على قسمين: قسم يظهره أصحابه للأبصار، وقسم يكتمه أهل البصائر الكبار.

**تنوير**: الزُّهد على قسمين: زهد في الدنيا، وزهد في الآخرة.

فالأول: للسعداء.

والثاني: للأشقياء.

وقد يكون الزهد في الآخرة لمن لا رغبة له فيها شغلاً بالله عما سواه.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذرهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91].

ثم إن الزهد وإن كان من الوصف المحمود فهو يتفاوت باعتبار كل شاهد ومشهود، فزهد المريد في أمتعة الدنيا والمال، وزهد العابد في كل ما شغل البال، وزهد أهل الورع في مباح الحلال والطمع، وزهد السالكين فيما يحجبهم عن قيام الدين، وزهد أهل الأحوال، في أحوال غيرهم من الرجال، وزهد أرباب المقامات فيما يصدّهم عن المشاهدات، وزهد أصحاب المعارف فيما يقطعهم عن العوارف، وزهد أهل التحقيق الكبار فيما سوى الحق من الأغيار.

وهؤلاء يرون مقام الزهد عندهم عين الحجاب، وقِشْرًا شغل به أهله عن اللباب،

وموجب ذلك رؤية الغير في الشهود ولهذا لم يفهموا المقصود[1].

(1) نورد في معرفة الزهد وقصر الأمل في الدنيا إشارات ولطائف من أقوال شيخ الزاهدين وسيِّد الطائفة الإمام الجنيد قدَّس الله سره.

قال الجنيد: إن أمكنك ألا تكون آله بيتك إلا خزفًا فَافْعَلْ.

وسُئِلَ عن الزهد فقال: الزهد خلو القلب عمَّا خلت منه اليد، واستصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

وسُئل عن الزهد؟ فقال: خلو اليد من الأملاك، والقلب من الطمع.

وقال: الزهد خلوُّ القلب ممَّا خلت منه اليد.

وسُئل عن الزهد؟ فقال: للزهد معنيان، ظاهر وباطن، فالظاهر: بغض ما في الأيدي من الأملاك، وترك طلب المفقود، والباطن: زوال الرغبة عن القلب، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك، فإذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى الإشراف على الآخرة والنظر إليها بقلبه، فحينئذٍ يجدُّ في العمل بتقصير الأمل، وتقريب الأجل؛ لأن الأسباب عن قلبه منقطعة، والقلب منفرد بالآخرة، وحقيقة الزهد قد خلصت إلى قلبه، فامتلأ من الذكر الخالص لربه سبحانه وتعالى، فالزهد عن حقيقة الإيمان والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الأشياء، فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة؛ لاستواء القلب، ومعه يستوي المدح والذم، لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق، فعندها خلص الإخلاص إلى قلبه لصفاء الزهد، وثبت الزهد لسقوط النفس.

وقال: قال لي سري السقطي: اجتهد ألا تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك.

وقال: سمعت السري يقول: مارستُ كل شيءٍ من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد إلا الزهد من الناس، فإني لم أبلغه، ولم أطقه.

حكى لنا الجنيد فقال: اجتمع أربعة من الأبدال في جامع المنصور ليلة العيد، فلما أسحروا، قال أحدهم: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد في بيت المقدس.

وقال الآخر: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس.

وقال الثالث: أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بمكة.

وسكت الرابع وكان أعرفهم، فقيل له: أنت أي شيء نويت؟ فقال: أما أنا فقد نويت اليوم ترك الشهوات، لا أصلي إلا في هذا المسجد الذي بت فيه، فقالوا: أنت أعلمنا، فقعدوا عنده.

اختلف أهل العلم بين عبدين: الأول: ترك الذنب ونفسه تنازعه إليه وهو يجاهدها، والثاني: ترك الذنب ولم تكن نفسه تطالبه ولا تنازعه، ولم يكن في قلبه منه ثقل ولا مجاهدة، أيُّ هذين أفضل؟.

قال العلماء: الذي سمحت نفسه بالبذل طوعًا من غير إكراهٍ ولا اعتراضٍ أفضل؛ لأن مقام هذا في سخاء النفس، والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الأول من الإكراه والمجاهدة، ومن بذل ماله على ذلك، =

قـالوا تزهَّـد فقلـت الزهـد لي حجـبٌ عـــن الحقيقـــةِ في أطـــوارِ تحقيـــقِ
الزهـــدُ غـــير ومـــا للغـــير مـــن أثـــرٍ عنـــد العيـــانِ إذا رقـــوا بتوفيـــقِ

## قانون الفقر[1]

=

ولأن الأول وإن غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها في كرة ثانية أو ثالثة؛ إذ ليس السخاء من مقامها؛ لأنها كانت محمولة عليه، وإلى هذا ذهب الجنيد قدَّس الله سره.

(1) قال الشيخ ابن سبعين وهو من أعظم وألطف ما قيل في رسالته الفقيرية: القول على الفقر من حيث الطريق: فنبدأ فنقول: الفقر هو الصبر على المكروه، وشكر المنعم الحكيم، والفتوّة المحضة، ورفع الأذى كله، وفعل ما يجب كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب، وتتفق دعوته التي داخل الذهن مع التي خارج الذهن، ويطلع بالتركيب إلى بده، ويهبط بالتحليل إليه، ويدور بجملته عليه، ويجعل الفقر الذي اتصف به نفسه وقصده ومقصوده دائرة وهمية، ويجمع الوجود المقيد كله في نقطتها والمطلق في محيطها وينظر إلى الخطوط الخارجة من النقطة المذكورة إلى المحيط المذكور في خلده ويراها متساوية وينسبها. وينظر إليها ثانية من المحيط ويحذف الوسائط ويبصر الواسع في الضيق وينظر الأشياء في نفسه ثم يقطع حبل النظر والمنظور فيه من حيث المجاز والشفع، ويصل حبل النظر والمنظور فيه من حيث الحقيقة والوتر، ويصل مع ذلك النقطة المتقدمة بالمحيط ويجعلها جزء ماهيتها، ثم يحقق الأمر ثانية ويجعلها ماهية واحدة ويقول : «ليس إلا الأيس فقط» و «هو هو» ويتصفح قوله ويتأول ما يلزم عنه، ويقطع الإشارة كما قطع العبارة، ويسكن في شأنه ويهمل مهمله ومخصصه من كل الجهات ويقف في ثلاثة مواطن ويموت ويحيا في خمس مواطن، ويبعث من شأنه ويقذف في موضوع سره المشهور بالبرهان أن آنية الله هي أول الآنيات وآخر الهويات، وظاهر الكائنات وباطن الأبديات. ويحدث في نفسه بالإسلام فيخبر عنه على غير ما كان يخبر، ويحدث قبل ذلك ويشهد والمشهود والشهادة بشهادة الإنصاف، ويعكس الضمير الأول على المخاطب الثاني، ويتوب من اللواحق ومن الحروف التي تجر إلى الإضافة ويشعر بها ويقول: كل من في العالم بأسره لا يفعل شيئًا والله هو الفاعل خاصة ثم يمحص مدلول كلامه ويخلّص جميع ما ارتهن فيه وينطق بالحق ويحذف المجاز وجميع ما يجر إليه ويلزم منه وعنه، ويقول: العالم ميت بجميع ما فيه من مفارق للمادة وغير مفارق لها، فلا حي على الحقيقة إلا الله . ثم يتفقه في الإطلاقات باقترانها مع المضافات وارتباط بعضها ببعض ويقول : ما خالف الوحدة المطلقة والوجود الواجب هو عدم من جهة ووجود من أخرى، فلا موجود على الإطلاق ولا واحد على الحقيقة إلا الله إلا الحق إلا الكل إلا الهو هو إلا المنسوب إليه إلا الجامع إلا الأيس إلا الأصل إلا الواحد إلا الأصح أصح لا صح ص ح ح حم صمد حق، لا نتهمه ولا نتوهمه. وكذلك يفعل في كل نسبه متجانسة ثم يعلل جميع ما أطلقه، ويثبت ما ثبت بالبرهان وينتفي ما انتفى بالبرهان ويعلم كيف انصرام التوجه، وإلى أين يصل المتوجه وبأي وجه يعدم، وينسب مهمل الشريعة إلى مخصص الحقيقة ومهمل الحقيقة إلى مخصص الشريعة ويقول: من صحا وصحح أسراره =

=

محا الله إصراره.

**حكمة ثانية:** ويقال الفقر هو الذي لا يظهر به على الفقير إلا لسان مخزون، وقلب مخزون، وفعل موزون، وفكرة تجول فيما هو كائن ومكون.

**حكمة ثالثة:** ويقال الفقر هو الخلافة الباطنة، كما أن الملك المشار إليه هو الخلافة الظاهرة.

**حكمة رابعة:** ويقال هو نوع من أنواع التصوف، وهو خيرها. ورب نوع أفضل من جنسه . كالإنسان مع الحيوان.

**حكمة خامسة:** ويقال الفقر هو الذي ترسم بدايته بالإرادة والعبادة والإسلام وعالم الشهادة والخروج من الشر المحض إلى الخير المشترك والمجاهدة والطريق المقيد والتوكل والتسليم والتفويض والتوبة الأولى والخلوة المشوقة والدهليز الجامع والأربعينيات المحركة المهيئة. ويرسم سلوكه بالرضا والإيمان والعبودية وعالم الملكوت والخروج من الخير المقيد إلى الخير المطلق والمكابدة والسفر في الطريق المذكور قبل في رسم البداية، والتوبة الثانية، والفكر التابع للسكينة، والذكر المحرك للتخلي والتحلي والتجلي، وبُعد الأهل والوطن، وحذف العلائق بالجملة، والتزام السوابع الكاشفة للمقصود، ويرسم وصوله بالعبودية والمشاهدة وعالم الجبروت ومقام الإحسان والخروج من الخير المحض المقيد للكل بالمقصود والاشتراك، وصرف المحو إلى الصحو والتوبة الثالثة المصروفة في السبعين مقامًا الفاصلة بالتخلق بالأسماء الحسنى وتدبير العالم الأول بالصنائع العلمية والعملية وبالاسم المشترك، فافهم!

**حكمة سادسة:** ويقال: الفقر هو الذي يجعل الفقير يجعل الشرع في يمينه والعقل في شماله وبينهما العلم، ويحرك الكل بالأدب والهمة والحقيقة، ثم يدفعها بالحقيقة مفردة، ثم يجذبها بالشريعة مركبة، ثم يستغفر الله ويقطع الموصول ويصل المقطوع حتى يثبت ما لا يمكن قطعه ولا اتصاله، ولا هو من هذا القبيل فافهم.

**حكمة سابعة:** ويقال: الفقر هو التجرد عن المواد والاتصال بالذوات المجردة المرسوم عليها في موضوعات الشرائع والمعبر عنها في اصطلاحهم: بالملائكة وعالم الأمر، ثم التجرد عنها والاتصال بالحكيم العليم الذي أمر، الحكيم العليم المبدع الأول الذي أمر الحكيم العليم الثاني، ثم التجرد عن الجملة والاتصال بالحكمة والكلمة، ثم التجرد عنها والاتصال بالحضرة السَّنِية التي يظهر فيها الحكيم العليم الأول المذكور أنه من عباد الله، والله أعز من ذلك وهو عزيز؛ لأنه اعتز على العلماء به قبل هذه التي ليست من جنس ما يعلمه الفيلسوف ولا يفهمه بعض الصوفية. وهو علم التحقيق الغريب الذي لم يخبر قط جميع من دون الدواوين كلها عنه، ولا هو من قبيل السهو والعويص ولا في قوة البطيء مع الحريص.

**حكمة ثامنة:** ويقال الفقر هو السلب المنسوب للسالب والمسلوب الذي دار على نقطة وقاره بشأنه وتقديره وقراره، وخرج عن قدره بمقداره، ثم أجبر وجبر وطمع في الإيجاب بعد فهم الجواب وكلم مقصوده بلسان ماهيته ومعه بإذن آنيته المكتسبة، وأبصره بجميع هويته. فافهم!

**حكمة تاسعة:** ويقال الفقر هو السكون عند عدم كل شئ يتعلق بمدلول العما، ويكون من لواحق الغيرية والحركة عند التقدير، ثم السلب المحض بالإلزام. فافهم!

=

=

**حكمة عاشرة:** ويقال الفقر هو الذي يحصل للفقير به العلم الذي يدبره ويدبر به ما بعده ومن قبله، والورع الذي يعصمه وينفعه ويحجزه، واليقين الذي يحمله، والذكر الذي يتأنس به.

**حكمة حادية عشرة:** ويقال الفقر هو الذي يكسب الفقير دوام الافتقار للجبان في كل الأحوال وملازمة السنة العربية والقديمة اللازمة عند العادة المشتركة.

**حكمة ثانية عشر:** ويقال الفقر هو الذي تححد فيه قضية الزمان والمكان.

**حكمة ثالثة عشر:** ويقال الفقر هو المترادف مع الخيرات المطلوبة .

**حكمة رابعة عشر:** ويقال الفقر هو الذي يسبح به في بحر الشرف، وينسخ العادة بأحكام خرق العادة، وينسخ مقام الوحشة بالوحدة، وينسخ مقام الوحدة بالحرية وينسخ الحرية بالعبادة في حال الاتصال بالأدب المستولى، وينسخ التوكل بالتسليم والتسليم بالتفويض ويترك معقوله في معقوله متخيرًا، وينسخ التفويض بالرضى، وينسخ الرضى بالتوحيد، ويقوي التوحيد بالمحبة ويحفظ المحبة بالمعرفة، ويخلص المعرفة بالمشاهدة، والمشاهدة بالمقامات الفارطة كلها، والجميع بالتحقيق، ويركبها ويسلسلها بالتوجه والبحث والإنابة والأوبة، ويصرفها بالكلام المقيد بالعبارة والإشارة وبالبعض، ثم بالدقيقة وبالكل، ثم باللطيفة وبالمذكور، ثم بالحقيقة وبالمذكور في المذكور فافهم. ويعللها بالأحوال ويقيدها بالتصريف، ثم يجمع المتقدم والمتأخر في كسبه وفي كل شأنه، ويتصف بالجميع، ويخصها في محله ولا يهمله، ويثبت الناسخ والمنسوخ في ماهية شأنه كله، ثم يحذف مراتبها التي تعددت ويدير عليها دائرة نتيجة شأنه الآخر بمحرك شأنه الأول، ويسكنها بظاهر كنهه، ويجمعها بباطن كونه، ويجعل على الكل وفي الكل ومن الكل الأول الآخر الظاهر الباطن، وينظر إلى الأمر كله بعين التوحيد وكلمة السلب ويجدها قد اتحدت فيه وتوحدت من أجله فينسبها إليه ويديرها ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة عليه، ويعتبر جملة داخل الذهن كما اعتبرها خارج الذهن، وينسب بالاستعارة بعض الأشياء إلى بعض، ويجعل قلبه التوبة وكبده المجاهدة، ويده الصبر، ورجله الأدب، وعينه العلم، وسمعه الخلق، وشمه اللطائف، ولسانه الأحوال، ولذته المعرفة والرضا والمحبة، وحياته الوتر، وموته الشفع، وبالعكس، ونطقه الإسلام، وعقله الإيمان، وروحه الإحسان، ثم يسمى الجميع فقرًا وفقيرًا وقيرًا و «قير» تأكيد للفقير كما تقدم وبالعكس كما لزم فافهم!

**حكمة خامسة عشر:** ويقال الفقر هو الحكمة التي ترسم أنها الفهم عن الله ﷻ، وهو الحكمة التي سماها الشرع سنة، وهو الحكمة التي تفيد معرفة الأشياء حسبما تعطيه وتقتضيه طبيعة البرهان، وهو الحكمة التي يعرف بها ترغيب القرآن وترهيبه، وجدله، وقصصه، ومثله، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه وأحكامها كلها وكونها تنحل إلى الأسماء والصفات وفهم الحروف المتحابة، وحروف أوائل السور مثل كهيعص وسائرها ومقايسة بعض المتحابة ببعض وتناسبها على وجه أكمل وأحكم وأنفع وألطف من الظاهر ومن جميع ما هم عليه بعض الناس ممن ينكر هذا الشأن العظيم فافهم! وهذا الفقر الذي اختاره خير البشر. والمنصف به هو الغنى الشاكر حقيقة فإنه غنى بجوهره، والغنى فيه ماهية ذاته إذ هو فعال بجوهره وعليه يجب الشكر الكثير الممتد إلى غير نهاية؛ لأنه باق فيه فافهم! وأعط المعنى المعقول مع شرف ذاته في الدارين وسلامته

=

=

ومناجاته وغيره من الأغنياء بضد ذلك، وإن كان يشبهه هذا في بعض شأنه فعنده من هذا الفقير بما يشبهه وإلا فلا سبيل إلى شيء من ذلك، فافهم. والفقير الصابر المعروف عند العامة هذا الفقير الغنى خير منه على الوجه الذي ذكرناه، وهو خير من الغنى من حيث العرف والعادة والجمهورية.

وبالجملة: الفقر من جميع الوجوه هو المطلوب الشريف وحده، وكل مطلوب شريف وحده لا شئ أفضل منه. فالفقر من جميع الجهات لا شئ أفضل منه.

**حكمة سادسة عشر**: يقال الفقر الضعيف هو حمل الأذى وترك الأذى ووجود الراحة، والقوي هو التصرف في الأشياء بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل وفعل ما ينبغي كما ينبغي على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي وفهم الأسرار والأحوال الإلهية قبل وفروعها وأصولها وأسبابها. والفقر الشريف هو الذي إذا نظر الفقير به إلى نفسه لا غير نظر فيها جميع الأشياء المهملة والمخصصة، والمجملة والمفسرة، والمطلقة والمقيدة، والشريفة والخسيسة، والمرءوسة والرئيسة، ويجعل منها في ماهيته النورانية ما يجب وينسبها بحده وفي ماهيته المادية وينسبها لضده، ثم يحقق الشيء الثابت وحده وينظر إليه به ويغمض عين سريرته المكتسبة ويفتح عين بصيرته اللازمة، ويقول عند تصوره لذلك كيف يظهر من به يظهر وكيف لا وهذا حقه لا يرى إلا بنوره ولا يشهد إلا بحضوره.

**حكمة سابعة عشر**: ويقال الفقر هو الجامع المانع .

**حكمة ثامنة عشر**: ويقال الفقر هو المعنى الشامل للملك والنبي والصديق والأمثل فالأمثل من حيث التخصيص والمخصوص ولكل ممكن على العموم من حيث العموم والعرف.

**حكمة تاسعة عشر**: ويقال الفقر ترك الرغبة إلا في السعادة وأسبابها، والعبادة وأحكامها، وتدبير العادة وأحوالها.

**حكمة عشرون**: يقال الفقر عدم خوف الفقر من المحل مع الامتحان الكلي، ولا يكون للفقير ما يقترب به إلى ربه ويظهر الغنى به مع الحاجة، والشبع مع الجوع، والفرح مع الحزن، والمحبة لعدوه مع وجود الجور، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يظهر ضعفًا وكل ذلك بجد وصحة أصلية وخيرمحض.

**حكمة حادية وعشرون**: يقال الفقر هو الذي تعرف حقيقته اللفظية بما ذكر قبل، والفقهية بما ذكر قبل، والعقلية بما ذكر قبل، والصوفية بورودها على المحل إذ كانت جزء ماهيته ويتصف بأعراض لاحقة لها، ويغلبه بذوقه، ويخبر عنه بعد ذلك بغير الذي كان يخبر عنه قبل – فافهم !

**حكمة ثانية وعشرون**: ويقال الفقر حفظ السر المكنون، والعلم المضنون به والمصون، وأداء ما افترض، وصيانة الدين والمقام.

**حكمة ثالثة وعشرون**: ويقال الفقر هو الكمال الأول مع العلم، وهو الكمال الآخر مع المعرفة، وهو الجميع مع خالص الإنسانية .

**حكمة رابعة وعشرون**: ويقال الفقر هو الذي لا يطلب به إلا الله وإن طلب لذاته أعني الفقر ن مطلقًا لا خير فيه .

**حكمة خامسة وعشرون**: ويقال الفقر إذا تُصُفّح وتؤمل وتتبع على أكمل ما يمكن قيل للفقير المتصف

=

=

به فقير كما سمى اللديغ سليمًا، ويعتبر شأنه ولفظه بالعكس . وهذا الفقر – أعزك الله وأعانك على تحصيله بحبيبك الأول الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وهو ليس بجسم ولا في جسم

وهو واحد من كل الجهات ووحدته بالذات، وبحبيبك الثاني الذي لا يكون متحركًا ولا ساكنًا وليس بجسم ولا في جسم ولكنه يقال فيه إنه مع غيره الفاسق لا مرتكزًا ولا مربوطًا ولا مستندًا ولا ملتحمًا ولا حالاً، وهو بالجملة لا متصلاً معه ولا منفصلاً عنه غير أنه يلازمه ملازمة النوع للعنصر والفاعل للمفعول ويشار إليه معه صحبة المجموع الإنساني مع أنه مفارق ومن قبيل المفارق.

وخلصك الله من حبيب ضدك وموضوعك وروحك وأوحله وأكرمك الله بتحصيل أسباب السعادة بصلاح المادة والعبادة وحفظك في شأنك كله. حتى لا «ترفل في أثواب اللاهي ولا تغفل عن ثواب الله»، فطالعه واحفظه وحافظ عليه وحصل مدلوله بالقول والعقل والحال والمقدمة والنتيجة والمسألة والجواب، ولا تبخل به ولا تمنعه عن أهله ولا تسمح في ذم فرعه وأصله وخاصة فصله. ولولا أنك محسوب عليَّ ومنسوب بمعناه إلى ما أسعفتك به، ولا قيدت لك فيه إلا ما يجمل بك وبأمثالك وأهل وقتك . وشرطي عليك ألا يقف عليه أحد إلا الطلبة النبهاء والفقراء الفضلاء المحبون الأولياء، ولا يقرؤه من المذكورين إلا من يتصفحه إلى آخره. وإن علم منه أنه ينكره يؤخذ من يده، وإن توقع الضرر من لسانه وقلبه ويده ومن صعب عليه منه شيء يرحل به إليّ. وإن عسرت حركته أو تعذرت يرجع به إلي، ونجيبه في الوقت بحول الله تعالى. والاستقامة هي رأس العمل مع العلم، وزوال الكسل والملل. واعلم أن الشقي هو الذي ذهب شبابه بلذته، وارتهنه بتبعته، وخلف له التأسف عليه. والسعيد هو الذي علم أن أيام الحياة حلم، والموت يقظة، وفي الحساب تفسير أضغاثه. فجد واجتهد وكره دار الفواسق حيث الظل والذل والأبعاد الثلاث واللهو واللعب ولواحق اللهب، وتوجه إلى الحضرة السنية التي تبت بجحودها يدا أبي لهب . وإياك والغفلة والتغافل فإنهما يستلان الخير ويخصصان السر . والغافل والمتغافل واحد، لأن الغافل تؤديه غفلته إلى الفساد، والمغفل يؤديه تغفيله إلى الفساد، فقد اتفقا في المحصول الذي هو الفساد. وليس ينفع المتغافل معرفته بما تغافل عنه إذا لم يستعمل فيه ما يجب، ولا يضر العاقل جهله بما لم يعلم إذا لم يعمل فيه ما يجب، لأنهما قد اتفقا في الإضاعة، وتباينا في العلم والجهل. وعليك بالهمة الجليلة التي هي سوق لا يتبدل إما العمر كله وإما في أكثر الزمان إلى الشيء الذي هو وكل الإنسان أن يفعله في حياته والخسيسة بضد ذلك. وبالجملة إن كان الشيء الذي تطلبه الهمة جليلاً قيل في الهمة إنها جليلة، وإن كان خسيسًا قيل في الهمة إنها خسيسة . وعليك بالسيرة الجميلة التي هي الأفعال المحمودة التي يدور الإنسان عليها في حياته ويجعل وكده أن يفعلها ويتخلق بها ويعامل بها ذاته وغيره، ويجعلها مقدمته لمقاصده الكريمة. وعليك بالصناعة الرئيسة التي هي رئيسة على الإطلاق، وهي التي تعرف أي الصناعات والعلوم ينبغي أن تكون في المدن، وأي الصناعات والعلوم ينبغي أن يبلغ المتعلم [الدرجات] باكتساب الشيء الذي يسمى خيرًا.

واعلم أنه لابد لكل متوجه ولكل سعيد أو شقي أو غافل أو متغافل أو عالم أو جاهل من خير ما يتشوق إليه في شأنه الذي هو فيه ويطلبه، ولكنه لا يطلق الخير حقيقة، ولا يعقل إلا في الخير الذي هو سبب السعادة توجد عنده أو به أو معه أو فيه أو منه، أو إليه، أو عليه، أو عنه، أو له، ويطلع على لزوم

=

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّه**﴾ [فاطر: 15].

**تحقيق**: حقيقة الفقر في ظاهر الطريقة غير ما هو باطن الحقيقة، فالظاهر فقر الزهاد من الأعراض الدنيوية، والباطن فقر الأفراد من الأغراض الأخروية شغلاً بالله عما سواه لمن شهد ذلك ورآه.

**تدقيق**: تفاخَر الغنيِ مع الفقير.

فقال الغنيِ: أنا وصف الرب الكبير، فما أنت أيها الحقير.

فقال الفقير: لولا وصْفيِ لما تميَّزَ وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك، فأنا وصْفيِ وسِمَ بذلّ العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية، ومن نازع قصِم، ومَن سَلَّم سَلِمَ.

**تحقيق**: التبس حال الفقير على غير النبيه، فقال: الفقير غير الفقيه، وما علم أن الراء هي الهاء.

إنَّ الفقـــيرَ هـــو الفقيـــهَ وإنمـــا  راء الفقـــيرِ تجمعـــت أطرافهـــا

**تدقيق**: الفقير الفقيه من حَطَّ حمل الرحال على أعتاب الرجال، حتى أرضعته طريَّ لبن الصدور، وأغنتْه عن قديد ميت السطور.

فانتصح يا فقيه القال، واسمع يا فقير الحال، وافْن بالله عن الرسوم، واخرج عن كل معلوم.

يا فقيه الجدال، هذا الجدّ آل أدخل حَانَ أخيارنا، نصيّرك من أحْبَارنا، ونسقيك صافي

---

=

الشرط والمشروط، مثال ذلك: الحياة شرط في العقل، والعقل شرط في العلم، والعلم شرط في العمل الصالح، والعمل الصالح شرط في الفضل، والفضل شرط في السعادة، والسعادة شرط في الكمال، والكمال شرط في الخير، والخير شرطه وأصله التخصيص، ولواحقه كثيرة هيئية وطبيعية بل العناية الإلهية خاصة. وأنواع الخير ثلاثة: أحدها الشيء الذي يراد لأجل ذاته ولا يراد في وقت من الأوقات لأجل غيره. الثاني الذي يراد ويؤثر أبدًا لأجل غيره ولا يؤثر أصلاً ولا يراد في وقت من الأوقات لأجل ذاته مثل الأشياء المؤذية المؤلمة كشرب الدواء المر الشنيع الطعم الكريه الرائحة فإن هذا شرور بذواتها وخير بالإضافة إلى الانتفاع بها. والأول من هذه الأشياء هو الخير بالإطلاق، فعليك به وبما بعده. والذي حملني على إفشاء هذا السر الذي لا يظفر به في كتاب ولا سمع في معتاد خطاب ما ظهر في زماننا هذا من آراء فاسدة وأحوال سيئة، وقلة استقامة في بعض الفقراء وعدم الإنصاف في بعض الطلبة وسوء ظن العامة في الجميع مع غيره من المشار إليه ويشاور ويشار إليه، ويعول على الله لا عليه.

الشراب بعد نقيع السراب.

يا فقيه النقل، يا عقول العقل، سَتَر عنك نور الكشف حجاب أنيّتك العقلية، والذوق غيّر طعمه عندك مرارة العلوم النقليه.

يا فقيه الاسم دون المسمَّى الغلط أوجبه تشابه الأسماء لو عرفت معنى الفقير والفقيه كنت الحاذق التنبيه.

الفقيه من فقه عن الله، وفنى به عمن سواه، فلو كنت بهذا الوصف كنت الفقير صدقًا، والفقيه عند الله حقًّا.

**تحقيق:** فضَّل قوم الغني على الفقر، وعكس آخرون الأمر، والحق أن غنى النفس بالأعراض البشرية لا يخرجها عن افتقار صفاتها الذاتية.

**تدقيق:** مَن ادَّعى الغنى وقع في العنا، بخلاف من أظهر الفقر؛ فإنه خلص من الأمر.

**تحقيق:** الفقير من اتَّصف بحقيقة الافتقار عن إرادة منه واختيار، لا عن ضرورة ردته لمركز الاضطرار.

**تدقيق:** من استكبر بوصف الغني على الفقير استوجب حكم العكس من القدير.

ألم ترَ أن الفقر يُرجَى لَه الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

**تحقيق:** سمة الفقر سمة الأحباب، وحليته حلية العبد الأواب، من لبس اسمًا له كان ذلك وسمًا له في وجود أهل القبول، ولهم من الله نيل المسئول.

وجوه عليها للقبولِ علامةٌ ولبس على كلِ الوجوهِ قبولُ

**تدقيق:** من افتخر على الفقراء بماله، أو تباهى عليهم بجماله؛ افتقر وعاد وقد انكسر.

لا تفخرن بما أُوتيت من نعم على سواك وخف من كسر جبارِ

فأنت في الأرض بالفخار مشتبه ما أسرعُ الكسرِ في الدنيا لفخارِ

**تحقيق:** جواهر معاني الزمان أنفس من أن تضيعها في الهذيان، فيالله العجب ممن عمره انقضى وذهب في جمع الفضة والذهب، وهو بما جمع فقير ليس له نصير.

ومَن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فَالذي فَعَل الفقرَ

**تدقيق:** من أفقر إلى الله استغنى به عن كل شيء، ومن استغنى عنه افتقر إلى كل شيء، ومن افتقر إلى كل شيءٍ، فقد أوحشه كل شيء، ولم يتعوض عن الله بشيء من كل شيء.

لكـــلِ شـــيءٍ إذا فارقتـــه عـــوضٌ ولـيس لله إنْ فارقـتَ مـن عـوضِ

**تحقيق:** خاصية مغناطيس فقر الذات هي الجاذبة للعطايا والهبات، فمن كان وصف افتقاره أكثر كان نصيبه أجزل وأكبر.

**تدقيق:** اختصاص الفقراء بالسؤال خصوصية لهم في الحال والمآل، يعرفها من وجد ثمر المطالب، وقُضيت له الحاجات والمآرب.

**تحقيق:** اتِّصاف الرب سبحانه بوجود الغنى المطلق، هو الذي أوجب لنا الفقر المحقق، وبهذا الاتصاف حصلت الألطاف؛ لأن من رحمة الغني أن يجود على الفقير، ويجبر المسكين الكسير.

**تدقيق:** ما أتى باب الغني الكريم فقير فخاب، ولا قصد حماه فغلق دونه الأبواب.

على بابِك الأعلى مددتُ يد الرجا ومَن جاءَ هذا البابُ لا يختشى الردى

* * *

## القانون التاسع

## قانون الرياء

قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: 110].

**ترقيق:** إخلاص العمل لله في القيام بما أمر الله نتيجة الغناء في الله على بساط البقاء بالله.

**ترويق:** وجود الشركة في العمل لغير الله من تعظيم القلب لسوى الله، فلو استحضر عظمة الله ما زين عمله لغير الله.

**ترقيق:** شرك الرياء يدب دبيب النمل في كل إنسان إلا من عصمه الله تعالى بالأمان.

**ترويق:** حلية الربا محلية الأنذال، وصفة الإخلاص صفة الأبدال.

**ترقيق:** عاقبة المرائي مفضوحة قبيحة، وإن كانت بدايته مستورة ملحية.

**ترويق:** ربما مازج الرياء الإخلاص، فيقل من ذلك الخلاص.

**ترقيق:** موارد الرياء حلوة للنفوس، وأحلى منها التجلي بصفة القدوس.

**ترويق:** علامة المرائي الكذوب تبريه عند الناس من العيوب.

**ترقيق:** من رأيته يصعر وجهه للناس، ولا يزال في تخشع وإطراق رأس، وهو ينتقص كل صالح ولا يقبل نصح ناصح، فاعلم أنه مرائي دجال لم ينتشق مسك إخلاص الرجال.

وإنَّ أخَـــسَّ أن ينفِـــي الفـــتي  قَذَى النقص عنه بانتقاصِ الأفاضلِ

ومَا عـبَّر الإنسـانُ عـن فضْـلِ نفسـه  بمثـل اعتقـاد الفضـلِ في كـلِّ فاضـلِ

**ترويق:** ما سَلِمَ من الرياء في الطريق سوى الأقل في التوفيق.

**ترقيق:** أحوال المرائي توجب له المقت في عين الرائي.

**ترويق:** المرائي صاحب دعوى لم يتحقق بحقائق التقوى إذا أراد دخول المحال، لعبت به صغار الأطفال.

**ترقيق:** مثال صاحب الرياء عند الصوفية كمنافق علمت منه الطوية، كلما أراد أن يسْتر بِقَالِه ما علم القوم من حاله كذبوه واستفشروه، وهتكوه وفضحوه.

ومهما تكنْ عند امرئ من خليقةٍ  وإن خَالَها تخفى على الناسِ تعْلَم

**ترويق:** الرياء من أحوال العُجْب والغرور، وقَلَّ والله مَن يسْلَم من هذه الأمور؛ لنقص البشرية وعزة الحرية.

**ترقيق:** زَيَّنَ في هذا الزمان العوامُّ ظواهرهم، وتشبهوا بالفقراء، ونصبوا شبكة خيامهم على النسوان والأمراء؛ فإن كان ذلك حظهم من الله، فيا فضيحتهم بين يدي الله.

طلـــعَ الفقـــرُ مســـتغيثًا إلى اللـــ  ـــه إنَّ بعـض العبـاد قـد ظلمـوني

نســـبوا لي وحـــق حقُّـــكَ إني  لســـتَ أعـــرفهم ولا يعرفـــوني

**ترويق:** كما زيَّن الفقراء الأحوال، كذلك زيَّن الفقهاء الأقوال، وزخرفوها بالبديع،

وأساليب الترصيع؛ فهشَّت لها الطباع، وتشنقت بها الأسماع.

**ترقيق**: الناقد بصير بالنيات عليم بالضمائر والخفيات.

والقـولُ والفعـلُ معروضـان منـك  مَـن يفصـل الجـدَّ ممـا أنـت هازلُـه

لا تـرْضَ بـالقولِ دون الفعـلِ منـزلةٍ  فـإن ذاك خسـيس الحـظ نازلُـه

**ترويق**: العالم حقيقة من سلك الطريقة، وكان بعلمه النافع كثير المنافع؛ فهذا الذي يحيا بعد الموت، ولا يتحسّر على الفوت.

**ترقيق**: من تعلَّم العلم للمراء، ولمواجهة الأمراء، قسَّا الله عليه القلوب، ومنعه من كل مرغوب.

**ترويق**: العلم حياة، والجهل ممات.

ألا ترى العالِمَ ذكره بعد الموت منشور والجاهل في حياته كأنه من أهل القبور.

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله  وأجسـادهم قبـل القبـورِ قبـور

وإن امـرءًا لم يحـيى بـالعلم ميـتٌ  ولـيس لَـه حـتى النشـور نشـور

**ترقيق**: ليس العالم من يقنع بالقال دون تحقيق، فلا تحقيق الحال ذلك البطال عند الأبطال.

**ترويق**: العلم نور، فمن رأيته في ظلمة وادعاه فلا تصدقه؛ تكن معه في ظلمة دجاه.

**ترقيق**: من زين منه اللسان، وأقام على قبح الجنان، أظهر الله عليه الشين، وأخفى منه ما أراد من الزين.

**ترويق**: لا خير في إعراب اللسان مع عجْمة الجنان، ولا يقاوم فصاحة إعراب الكلمات فصاحة الذات.

ألا ترى كيف جعل الحق سبحانه موسى أفضل من أخيه لفصاحة ذاته، وكان هارون أفصح منه في لغاته، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

سـرُّ الفصـاحةِ كـامنٌ في المعـدر  لخصـائصِ الأرواحِ لا الألسـنِ

**ترقيق**: يا مَنْ أعرب فأغرب، وعبَّر فما غيَّر، وأثار المعنى وأنار المغنى، أفْتنا أهل الجِنان

لِمَن أصْلحَ الجِنَان، أهو لمن أتى بالإغراب في الإعراب؟!.

تالله وبالله إن الأحبار الأخيار أولى البصائر والأبصار، قالوا: مَن أعْجم وكان أرْضًا كان لله أرْضى، ومَن أعرب ورأى نفسه كثيرًا لم يكن عند الله كبيرًا.

لسانُ فصحٍ معربٍ في كلامِه فيا ليته في موقفِ الحشرِ يسلمُ

وما ينفعُ الإعرابُ إن لم يكن تقي وما ضرَّ ذا تقوى لسان معجم

**ترويق**: كل من أراد قطع أصول الريا فلا يتراءى للمرايا، وليحرص على مقام الاصطفاء في خمول الاختفاء.

ليس الخمولُ بعار على امرئٍ ذي كمالِ

فليلةُ القدرِ تخفى وتلك خيرُ الليالي

**ترقيق**: من تراءى للناس فقد وقع في اليأس، سيما إذا طلب العُلا ففي ذلك البلا.

لقد رضيتُ همتي بالخمولِ ولمْ ترضَ بالريتَ العاليةَ

وما جهلتَ طيب طعمِ العُلا ولكنها تطلبُ العافيةَ

**ترويق**: طيب العيش في الخمول، وترك اللغو والفضول.

عشْ خاملٌ بين الناسِ وارضَ به فذاك أسلمَ للدنيا وللدينِ

مَن خالَطَ الناسَ لم تسلم ديانته ولمْ يزلْ بين تحريكٍ وتسكينِ

**ترقيق**: طالب الشهرة بين الناس صاحب رياء وفقر وإفلاس، لا يرضيهم إلا بغضب مولاه ولا يصاحبهم إلا لجهله وهواه.

**ترويق**: إذا أرادت سلامة الأعمال فاعتزل عزلة الرجال، واجتل عرائس الخلوة، فيا لها من بهجة وجلوة؛ تأنس هناك بأبكار الأفكار التي يطوي عليهن فتق رتق الابتكار.

قد كنتُ بالخلوةِ مستوحشًا فصرت بالوحدةِ مستأنسًا

وصارت العزلةُ لي مألفًا وعادت الخلوةُ لي مجلسًا

**ترقيق**: من طبع النفس حب زينة الظاهر في المظاهر، وهذا حجاب للقلوب عن مطالعة

الغيوب.

**ترويق**: الفرق بين العزلة والخلوة: إن العزلة تكون للأبدان، والخلوة للقلب بحقائق المعان، وربما يكون عند قوم العكس، وليس في ذلك لَبْس.

واعلم أن مَن ليس له خلوة، فما له عند القوم جلوة وجِد تَحت وسادة الإمام حجة الإسلام:

قد كنتُ حرًّا والهوى مالكي ... فصرتُ عبدًا والهوى خادمي

وصرتُ بالعزلةِ مستأنسًا ... من شرِّ أنواعِ بني آدمِ

ومَا في اختلاطِ الناسِ خيرٌ ولا ... ذو الجهلِ بالأشياءِ كالعالمِ

يا لائمي في تركهم جاهلاً ... عذْري منقوشٌ على خاتمي

فَنُظر إلى نقش خاتمي، فإذا هو قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:102].

**ترقيق**: ربَّ امرئ في الخلا وقلبه عند الملا، فهذا في خلوته كالمحبوس لم يتطهر بعد من شهوات النفوس.

**ترويق**: المختلى من أخلى بيت القلوب مما سوى الرب، وإن كان لقالبه من القوالب فهو بقلبه حاضر غائب.

**ترقيق**: من اعتزل ليُقال: اعتزل، فقد بايَنَ أهل الحق واعتزل، ما الشأن أن ينقطع بالقفار الشَّأن أن يتأدب بآداب الأبرار.

**ترويق**: مَن لم يدخل تحت قهر الترابي، ويصدق عليه أنه الترابي، كان باعتزاله صاحب هوى وقع في الغلط والدعوى.

**ترقيق**: كثيرًا ما يقع للجهال التشبه بالرجال في بعض الأحوال، هيهات هيهات وأين الحال من الحال؟!.

قالت لنا سودةُ الأهدابِ والمقَلِ ... ليس التكحلُ في العينينِ كالكحَلِ

**ترويق**: بوجود الخوف المزعج والشوق المقلق يكون باعث الخلاص من الرياء للاخلاص من أُعْطِي مقام الخوف فليُبشَّر بالأمان من العدو والشيطان، ومَن أُعْطي مقام الرجاء مع

الصدق والالتجاء، فليمزج ذلك الجمال بالجلال؛ ليقف على حدود الكمال.

**ترقيق**: مَن ادَّعى مقام الجمال دون التأدب بالجلال، فارفضه فإنه دجَّال ليس له تحقيق بين الرجال.

**ترويق**: قلب لمن في الخلوة خالي خالي، أنا الذي في الجلوة حالي حالي، حبْس النفوس عن شهواتها في خلواتها؛ هو مِلاك فطامها عن شهواتها في جلواتها.

## القانون العاشر

## قانون المعرفة[1]

(1) قال سيدي مصطفى البكري: المعرفة ثلاثة أقسام: معرفة عوام، وخواص، وخواص الخواص.
فالأولى: معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه تعالى، وكذلك في حق رسله، وهذه واجبة على كل مكلفٍ؛ لئلا يشتبَّه عليه الحال فيقع في الخيال، وليسلم من ورطة التقليد في التوحيد.
قال صاحب الجوهرة: إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل عن ترديد، وكل من طلب الثانية ولم يحكم الأولى كان جاهلاً بالله؛ فإنها أولى وأولى، ويجب على صاحب هذه المعرفة أن يطلب العلم الواجب في حقِّه؛ ليكون ممن يعبد الله على بصيرةٍ، وإلا كان ما يهدم أكثر مما يبني.
ففي الحديث: «ركعتان من عالِمٍ أفضل من سبعين ركعة من غير عالم».
والعالم العامل هو الورع المشار إليه بحديث: «ركعتان من رجلٍ وَرِعٍ أفضل من ألف ركعة من مخلطٍ». رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس. وإلا فمع الجهل أين الورع.
والثانية: معرفة آثار الأسماء والصفات، وظهور أنوار تلك الآثار في القلب؛ ليخلص صاحبه من الآفات، وطريقها تسير الأوقات بالعبادات، وتزكية النفس وترك المخالفات، والجلوس على بساط الفقر والانكسار، وشغل القلب بمراقبة العزيز الغفار، والاقتداء بأستاذٍ شهدت بصحة عقيدته وكماله العارفون، وأقرَّت بحسن منازلاته ومواجيده الواصلون، ليسلك به مقام التعلق، ويرقيه إلى التحقق، ويوصله إلى التخلق، وهناك يدرك الأسرار بطريق المنازلة والذوق، ويأكل لا من تحت الأرجل بل من فوق، وطريق التصوف عند السادة الصوفية، كله تخلق بالأخلاق المصطفوية، فمن زاد تخلقه زاد تصوفه، والتخلق يحتاج إلى السلوك، وهو يفتقر إلى المرشد العارف.
قال الشعراني ﷺ في الميزان: أما سلوكك بغير شيخٍ فلا يسلم غالبًا من الرياء والجدال والمزاحمة على الدنيا، ولو بالقلب من غير لفظٍ، فلا يوصلك إلى ذلك، ولو شهد لك جميع أقرانك بالقطبية فلا عبرة بها.
وقد أشار إلى ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فقال:
(من سلك الطريق بغير شيخٍ ولا ورعٍ عمَّا حرَّم الله فلا وصول له إلى معرفة الله تعالى المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه السلام).
=

=

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك، وهناك يطلع كشفًا ويقينًا على حضرات الأسماء الإلهية، ويرى اتصال جميع أقوال العلماء بحضرة الأسماء، ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين؛ لشهود اتصال جميع أقوالهم بحضرة الأسماء والصفات، لا يخرج عن حضرتها قول واحد من أقوالهم.

وهذه المعرفة نتيجة التخلي عن الأخلاق الذميمة، والتحلي بالأوصاف الكريمة، فأثمرت التجلي بالأسرار العظيمة، وفي الحديث: «الأخلاقُ مخزونةٌ عند الله تعالى، فإذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا منحه منها خلقًا».

وقال ﷺ: «إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق».

قال صاحب عوارف المعارف: فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق، فنفوس العباد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق، ونفوس الزهَّاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون البعض، ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق الكريمة كلها).

والثالثة: معرفة كنوز أسرار الذات العليَّة، وهذه المعرفة خاصة بأكابر المحققين من الأولياء الراسخين، وقد أشرنا إلى طلب هاتين المعرفتين بقولنا في ورد السحر المسمَّى بالفتح القدسي والكشف الأنسي، والمنهج القريب إلى لقاء الحبيب: إلهي عرفني حقائق أسمائك الحسنى، وأطلعني على رقائق دقائق معارفك الحسنى، وأشهدني خفي تجليات صفاتك، وكنوز أسرار ذاتك.

وتكلمنا على هذا التوسل في شرح الورد المسمَّى بـ (الضياء الشمسي على الفتح القدسي). وطريق هذه المعرفة لا يكون إلا عن محض المنَّة، وكرامة صاحبها استقامته على نهج الكتاب والسُّنة.

قال أبو يزيد البسطامي قدَّس الله سرَّه: لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتى تربَّع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، ولما قصد زيارة ذلك الرجل المشهور بالزهد ودخل المسجد، رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف ولم يسلِّم عليه وقال: هذا غير مأمون على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدَّعيه، فاتِّباع القدم المحمدي نعمة وأي نعمة، والزيغ عنه نقمة لا يماثلها نقمة، فإن شؤم هلاك الدين لا يعادله شؤم، نعوذ من ذلك بالله الحي القيوم.

وإذا نظرت بعين التحقيق في هؤلاء الزنادقة المنابذين لأهل الطريق لم ترَ عندهم غير شقشقة اللسان الخالية عن الدليل والبرهان، وإذا بحثت مع أحدهم أسفر وجهه عن أخلاق البغال بكلام أبرد من برد العجوز؛ لتمثله في صف النعال، ويستدلون بأدلة، كبيت العنكبوت وحجه عادت بتوالي الأيام مقطوعة الثبوت كأنها ألعاب الشمس، وهي أبعد عن الحق من أمس يتمسكون بكلام السكارى، ويحتجُّون بأقوال الحيارى، مع أن الصحاة إذا خالفوا نص الشارع لا يعول على كلامهم، ولا يلتفت بعد وجود الحق الصراح لما يضاده من أفهامهم، اللهم إلا أن يكون فهمًا لا يعارض نصًّا، ولا يوجب في مقام قائله نقصًا.

هذا مع أن تلك الشطحات مؤولة، وعن مؤدي اللفظ الظاهري إلى ما يليق محولة، ولهم كتبٌ في الألفاظ المصطلح عليها كثيرة، فكيف يفهم من لم يدرِ رموزهم العسيرة، وضعوها غيرةً على الأسرار أن تُذاع لدى الأشرار.

قال سيدي الشيخ عبد الغني، حفظ الله وجوده، ورزقه العيش الهنيء في رسالته المسمَّاة بـ«إيضاح المقصود =

=

في معنى وحدة الوجود»:

والحاصل أن جميع علماء الظاهر لا حق معهم في الطعن على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين، القائلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا، أما القائلين بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين، الزاعمين بأن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى، وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها ذات الله تعالى، وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها صفات الله تعالى، الذين يحتالون بذلك على إسقاط الأحكام الشرعية عنهم، وإبطال الملَّة المحمدية، وإزالة التكليف عن نفوسهم، فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح، وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهَّاب، والعارفون المحققون في هذا الطعن من غير خلافٍ قد أشار إليهم الشيخ عبد الكريم الجيلي، قدَّس الله سرَّه، في كتابه المسمَّى شرح الخلوة في أوائله من الوصايا حيث قال:

(يا أخي.. قد سافرت إلى أقصى البلاد، وعاشرت أصناف العباد، فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الحق تعالى من طائفةٍ تدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية، وتنسب نفسها إلى الكمَّل وتظهر بصورتهم، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية، وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجهٍ لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب الكشف والعيان، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشروان وجيلان وخراسان، لعن الله جميعهم.

فالله الله يا أخي.. لا تسكن في قريةٍ فيها واحد من هذه الطائفة؛ لقوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:25]، وإن لم يتيسر لك فاجتهد ألا تراهم ولا تجاورهم، فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، والله الهادي).

وقال الجنيد ﷺ لرجلٍ ذكر المعرفة وقال: (أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرُّب إلى الله تعالى): إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

وقال ﷺ: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسُّنة.

وقال ﷺ: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وقال ﷺ: رأيت في المنام أني أتكلم على الناس، فوقف عليَّ ملكٌ فقال: ما أقرب ما تقرَّب به المتقربون إلى الله تعالى؟ فقلت: بعملٍ خفيٍّ بميزان، وفي قولي وهو يقول: كلامٌ موفقٌ والله، وقيل له: من أين استفدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجةٍ في داره.

ورُئي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة، فقال: طريق وصلت به إلى الله تعالى لا أفارقه، وكان يدخل كل يومٍ حانوته ويسبل الستر، ويصلِّي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته، كذا في الرسالة القشيرية.

=

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [المائدة:83].

**مشهد:** حقيقة المعرفة انكشاف يوجب رفع الغطا عما استتر وتغطَّى، وهو يكون بحسب كل خطوة ومثول ومقام استعداد وقبول.

**شاهد:** معرفة الفرد فريدة الأفراد غريبة الوجود بين الآحاد.

الطـرقُ شـتى ونهـجُ الحـقِ مفـردة  والســالكون لهــا في القــومِ أفــراد

**مشهد:** شهود حضرة العرفان مانع من شهود في الأكوان روح حياتها منادمة الحبيب عند غيبة الرقيب.

أنـتم حيـاتي وأنـتم مشـتكىَ حـزني  وأنـتم في ظَـلامِ الليـلِ سمَّـارى

فــإن تكلمــتُ لمْ أنطــق بغــيرِكم  وإنْ سـكتُّ فـأنتم عقـدُ إضـماري

**شاهد:** دليل وجدان العارف وورود واردات المعارف، مناغية له بحديث حبيبه ومشهوده

=

فانظر يا أخي بعين الإنصاف إلى حال هؤلاء الزنادقة، وما هم عليه من سوء الاعتقاد مع ادِّعائهم المعرفة بالله تعالى التي هي أعز منالاً من بيض الأنوق ومن مناط العبوق، وحال السلف الصالح تجد بينهم من البون كما بين النور والظلام، والعلم والجهل التام.

فإن القوم تخلَّقوا وهؤلاء تشدَّقوا، وأولئك اتَّبعوا وهؤلاء ابتدعوا، وأولئك على الحق ائتلفوا وهؤلاء اختلفوا، والقوم ساروا وما وقفوا وهؤلاء وقفوا وتخلفوا، أجمع أهل الحق على اتِّباع الشريعة فخالفوهم، وعلى مخالفة الشيطان وجنوده فحالفوهم، وقد قلت سابقًا محذرًا من هذه الطائفة التي عليها دوائر السوء دائرة وبها طائفة.

ولا بدَّ من معرفة الأخلاق الحسنة كالتقوى والزهد والورع ونحو ذلك واستعمالها، ومعرفة الأخلاق السيئة كالحسد والحرص والرياء ونحوها واجتنابها، ثم الدوام على ذلك من غير تحولٍ عنه، ومطالعة مواجيد العارفين من أهل الكمال، والاقتباس من أنوارهم، والمشي على طريقتهم مع محبتهم، وتحسين الظن بهم وبكلامهم نثرًا ونظمًا، وإساءة الظن بنفسه إذا لم يفهم شيئًا من مواجيدهم الإيمانية لكمالهم ونقصانه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ). وانظر: السيوف الحداد (ص15) .

في حضرة وصاله وشهوده.

وأميـــلُ نحـــو محـــدثي لـــيرى  أنيّ أعـــــير حديثـــــه عقلـــــي
وشُـغلتُ عـن فهـمِ الحـديثِ سـوى  مـــا كـــان مِنـــك فإنَّـــه شـــغلي

**مشهد:** ظهرت مخايل القرب والتداني على عبد يعاني للمعاني سيّما، إذا حلّيتْ بحلية الجمال فقد بشَّرته بقربِ الوصال.

يبشـــــرني جمالُـــــك بالتَّـــــداني  فـــأطمعُ بالأمـــانِ مـــع الأمـــاني
فلـــي فِي كُـــلِّ جارحـــةٍ ســـرور  ولي فِي كـــلِ ناطقـــةٍ معـــاني

**شاهد:** لما حضر العارف حضرة الحضور رفعت له الغياهب والستور، فهو وإن توارى عنه المحبوب في بعض الزمان عند مطالعة العيان، فقد تراءى له في الجنان.

لـئن كنـتَ عـني فِي العيـانِ مغيَّبًـا  فمـا أنـت عَـن قلـبي وسـرِّي غائـب
إذا اشـتاقت العينـان مِنـك لنظـرةٍ  تجليـت لي فِي القلـبِ مِـن كـلِّ

**مشهد:** هبَّ عَرْف روضة الرياضة لعارف اشتاق إلى الوصال، فحرك أشجار ثمار معارفه فقال:

هبَّـــتْ نســـيمُ وصـــالهم سَـــحَرًا  فجـــرى نســـيمُ الشـــوقِ فِي قلـــبي
واهتـــزَّ غصـــنُ الوجـــدِ مِـــن طـــربٍ  فتنـــــاثرت ثمـــــرٌ مـــــن الحـــــبِّ
وبـــدت شمـــوسُ الوصـــلِ خارقـــةٍ  بشـــــعاعها لســـــرادقِ الحجـــــبِ
وصـــفا لَـــه وقـــتٌ أضـــاء بـــه  وجـــه الرِّضَـــا عَـــن ظلمـــةِ العتـــبِ
وبقيـــــتُ لا شـــــيءٌ أشـــــاهده  إلا ظننـــــــتُ بأنَّـــــــه حـــــــبي

هذا حال من وقته صفا، وذهب عنه الجفا، وحلَّ حضرات الوفاء، مع أهل القرب والاصطفاء.

**شاهد:** أهل المعرفة لهم حنين إلى المحبوب، وزفرات القلب يذوب، ومدامع لولاها أحرقتهم نار الاشتياق، ولهيب وجْد به منعت الدموعَ الإغراق.

لــولا مــدامِع عُشَّــاق ولــوعَتهم لبَـانَ فِي النَّـاسِ عـزُّ المـاءِ والنـارِ
فكـلُّ نـارٍ فمِـن أنفاسـهم قُـدحت وكـل مـاءٍ فمِـن دمـع لهـم جـاري

**مشهد:** استغرق صاحب المعرفة فغاب عن الوجود، وفنى بالمشهود عن الشهود.

وجودي أنْ أغيبُ عن الوجودِ بما يبدو عليَّ مِن الشهودِ

**شاهد:** لطفَت كؤوس الأذواق، واستعذَبت في يد المذاق، بل حلّيتْ وطابت، وجلّيت وطَافتْ على ملوك ملكوا حضرة التداني، وخلاع سكروا بخمرة المعاني، فلله ما سمعوا في ألحان من توقيع الألحان، حين أنشدهم الحادي معربًا، وأسكرهم مطربًا.

وأمطـرَ الكـأسُ مـاءً مِـن أبارقهـا فأنبـت الـدّرَّ فِي أرضٍ مِـن الـذهبِ
وسـبَّح القـومُ لمـا أن رأوا عجبًـا نـورًا مِـن المـاءِ في أرضٍ مِـن العنـبِ
سـلافة ورثْتهـا عـاد عَـن إرم كانـت ذخـيرة كسـرَى عـن أبِ

**مشهد:** غاب العارف بخمرة حبه عن الحس، فانجلى نور محبوبه كالشمس، فهناك دام له السكر وطفحت الدنان، ودارت عليه كؤوس المحبة بالعرفان.

مـا زال يشـربها وتشـرب عقلـه خَـبَلاً وتُـؤذن روحـه بـرواحِ
حَـتَّى انثـنى متوسّـدًا ليمينـه سـكرًا وأسـلم روحـه للـراحِ

**شاهد:** العارف إذا امتحن بالهجران قام بالأدب مع الكتمان، وإن عَدَّد وناح لم يكن يقال باح.

يَـا شمسُ ضـحى جبينهـا وضَّـاح سـاعاتُ وصـلك كلهـا أفـراحُ
عُشاقك لـو فعلـت مـا شئت بهـم مـاتوا كمـدًا وبـالهوى مَـا بَـاحوا

**مشهد:** تجلَّت أنوار بهجة الحضرة فهام العارف لما نظر هناك نظرة، وعجب حيث شهد وجه جمالها في جميع تطوراتها وأحوالها.

تناهـت جمـالاً فهـي وجـه جمالهـا فمقبلـةٌ تـأتي ومقبلـةٌ تمضـي

**شاهد:** حضرة مشهد الإحسان تأبى إلا الكمال دون النقصان؛ لأنها طاهرة بوصف القدوسية للقدوس، ظاهرة بذلك لأرباب الأرواح والعقول والنفوس.

لـــيس فيهـــا مـــا يُقـــالُ لَـــه كامـــــلٌ إذا كلهـــــا كمـــــلاً

كـــلُّ شـــيءٍ مِـــن محاســـنها كـــــائنٌ في نفســـــه مـــــثلاً

**مشهد:** تجلَّى كشف العيان بما يزيد على العرفان، هو حضرة انقلاب الأعيان.

ألا ترى كيف شهد العارف ذلك بكليته، وسمع وقت المناجاة بجميع إنيته.

إذا مـا بـدت ليلـي فكلـي أعـينٌ وإنْ هِـــي نـــاجتني فكُلِّـــي سَـــامعٌ

**شاهد:** العارف: من جمع الكمال، وحصل له المقال والحال.

حـــالٌ وقـــالٌ يشـــهدان بأنـــه حـــازَ الكمـــالَ بكـــل معـــنى أنفـــس

**مشهد:** تجلَّت أسرار الكائنات لعارف فهم منها الإشارات، وقرأ ما سطرها من العبارات.

تَأمَّـــلْ ســـطورَ الكائنـــاتِ فإنَّهـــا مِـــن المـــلأ الأعلـــى إليـــك رسَـــائلُ

**شاهد:** ليس العارف من نفى جميع الطرق غير طريقه، ولم يشهد سوى سلوكه وتحقيقه، بل المسلك السالك من سلك جميع المسالك.

إشـــارتنا شـــتى وحســـنُكَ واحـــدٌ وكـــل إلى ذاك الجمـــالُ يشـــيرٌ

**مشهد:** العارف من ورد البحر دون العيون، وأبرز حقائق المعارف والفنون.

مِن كل معنى يكاد الميتُ يفهمه حسًّـا ويعشـقه القرطـاسُ والقلـمُ

**شاهد:** العارف مع عزته لأهل الحي، مكرَّمُ لكل من في حمي ليلى ومي.

ومِن أجلِ ليلى صرتُ عبدًا لأهلها وأكـــرمهم طفـــلاً وعبـــدًا وراجـــلاً

وبـالحي إنْ شـاهدتُ حيًّـا أحبـه فكنـتُ لهـم خـدنًا حبيبًـا مواصـلاً

**مشهد:** العارف من هو كمجنون ليلى، قد هام بها نهارًا وليلاً إن اشتاق فإليها، وإن بكى فعليها.

لئن كـان هـذا الـدمعُ يجري صبابة على غـير ليلـى فهـو دمـعٌ مضـيعٌ

**شاهد:** معرفة الأمين على الأسرار. تأبى أن يطّلع على سرها غير الأحرار، وهذا شأن

الكبار دون الصغار.

ومستخبرٌ عن سرِّ ليلى ردَّدته بعمياءِ مِن لَيلَى بغيرِ يقينِ
يقولون حدثنا فأنت أمينها وما أنا إنْ حدثتهم بأمينِ

**مشهد:** تراءى الأقمار الأحرار؛ فحدث بالأخبار بالأحبار، وكذبهم الأشرار؛ فصلوا جميعًا الإنكار.

وإن كنت بالمدارِكِ غرًّا وترى حاذقًا لا تمارى
وإذا لم ترَ الهلالَ فسلم لأناسٍ رأوه بالأبصارِ

**شاهد:** العارف ينمو في حال حياته، ويشتهر عند الناس بعد وفاته.

يموت قومٌ ويُحيي العلمُ ذِكرهم والجهلُ يلحق أحياءً بأمواتِ

**مشهد:** لما طاب العارف بطيب المعارف فاحت منه الأردان، وعبقت في جميع الأكوان.

فإنْ كنت مزكومًا فليس بلائقٍ مقالك إنَّ المسكَ ليس بفائحٍ

**شاهد:** سرت نسمة شذا خمرة المحبين فاهتدى إليها الناشق الصادق من السالكين.

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهمُ

**مشهد:** حضر العارف حضرة الوصال، فشرب كؤوسها وتجلَّى لَه الجمال، فزاده الشرب لهيب الأوام على مَرّ الليالي والأيام.

**شاهد:** المعرفة توجب الحيرة والقلق، فميز بِهذَينَ من كذب وصَدق، وتظهر عليه الأحزان، ويرى البُعد في القرب ولو كان ما كان.

يَا مَن تباعد صبري مِن تباعده وضَاع بين الحزنِ والقلقِ
أدرك بقية روح فيك قد تلفت قبل المماتِ فهذا آخرُ الرمقِ

**مشهد:** نور المعرفة هو الدليل، وعلى صاحبه عند القوم التعويل ومن ضلَّ عنه ارتدى، ومَن استضاء به اهتدى.

من لم يكن خَلْف الدليل مسيره طرائقُ أكثرت عليه الأوهام

**شاهد:** العارف إذا شكر اعترف بالعجز للمشكور، وغيره على العكس للقيام بوصف الغرور.

ومتى أقوم بشكرِ ما أوليتني  والشكرُ فيه علوِّ قدرُ القائلِ

**مشهد:** العارف من أجَل مشيئة الفعال لما يريد، لا يزال قائما على نفسه بالتشديد يطلبُ حسن التدبير، ويخاف سوء التقدير.

فيا ليت شعري أين أو كيف أو  يقَدَّر مَا لا بُدُّ أن سَيكون

**شاهد:** العارف في مقامه العزيز؛ لا يطرأ عليه التغيُّر لأنه كالأبريز.

أيا سائلي عنه هو الذهبُ الذي  وجدناه لا يصدأُ وإنْ قَدمَ الدهرُ

**مشهد:** العارف تسمع أوصافه فتشتاق إليه، وتراه فتجِلَّه وتعظمه وتحنو عليه، وتستقلّ الوصف عند عيانه لعلوّ مقامه ورفعة شأنه.

كانت محادثةُ الركبانِ تخبرني  عن وصفِكم وعلاكم أطيبَ الخبرِ

حتى التقينا فلا والله ما سمعت  أذني بأحسن مما قد رأى بصري

**شاهد:** العارف كلما علا به المقام؛ صغرت رؤيته في أعين العوام.

كالنجمُ تستصغر الأبصارُ رؤيته  والعيبُ للعينِ لا للنجمِ في الصغرِ

**مشهد:** أوحْى لنا وحْي الإلهام في حضرة غابت عنها الأوهام.

قال رسول هذه الحضرة: اعلموا يا أهل الخبرة، أن الحق سبحانه قد ستَر سرَّه بما به هتكه، وخلَّصَه بما به مزحه.

أما ترون النار كيف جعل بها نعيم الانتفاع، وإضاءة الإشراق، وظلمة الدخان، وعذاب الإحراق، فالعارف مَن فضَّل حقائق الحكمة، ورأى بهجة النور في الظلمة، فكان لغلبة نوره لديه، وعظيم ظهوره عليه لا تذْكِّيه النار؛ لأن في جسده سلطان الأنوار.

بل تقول: يا مؤمن جزْ بي فقد أطفأ نورك لهبي، ومَن قَوِيَ عليه رفع هذا الحجاب، فهِمَ منها ما كان للكليم وقت الخطاب.

تكفي اللبيبُ إشارةً مرموزةً  وسواه يُدعىَ بالنداءِ العالي

**شاهد:** ليس المخصوص العارف من شاركه العوام في المعارف، ولا من فهمت أسراره وتراءت الأبصار أنواره، بل مَن ينطوي في الانتشار، ويخفي بظهور الأنوار.

تسترت عن دهري بظلِّ جناحه فعيْني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسميِ ما درَتْ وأين مكاني ما عَرفْن مكاني

## القانون الحادي عشر

## قانون الفناء[1]

قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ [الرحمن:26].

ويقول تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ [الرحمن: 27].

**منزع:** حقيقة الفناء محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال.

وإن شئت قلت: فناء المريد طهارة النفس من التدنيس، وفناء المراد تخلُّقه بأوصاف التقديس.

وإن شئت قلت: فناء السالك عن السكون إلى الأنوار، وفناء العارف عن شهود لمحة الأغْيَار.

وإن شئت قلت: الفناء محو النية، وذهاب الأنيَّة.

وإن شئت قلت: الفناء التخلي لنور التجلِّي.

**مشرع:** فناء عوام الطريق بهجة أهل التحقيق، فإن حصلت لهم العناية، سلكتهم مسلك الهداية.

**منزع:** فنا المحب بمحبة الحبيب، وفناء المحبوب بالوصل عند غيبة الرقيب.

**مشرع:** اجتاز قوم ببعض طرق الفَنا، ولم يحصل لهم ما طلبوا من المنى، وإنما حرِموا الرشاد لعدم الاسترشاد.

---

(1) الفناء: هو اضمحلال كل متعرضٍ متوهمٍ لا ينتهي إلى غايةٍ محقَّقةٍ، وحقيقته: صدق العدم الذاتي على كل موجودٍ بالعرض في المجاز، وغايته: صادقٌ من العلم يمحق كل كاذبٍ من الوهم وهو الهلاك الحقيقي انتهى.

**منزع:** أهل الصدق في الإرادة في باب الأعمال فَانون أدبًا مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات:96].

وأهل المعرفة فناؤهم في حضرة الصفات والأسماء وذلك لهم أسْمَىَ؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17].

**مشرع:** فناء المريد بشهود التوحيد، وفناء المراد بالخروج عن المراد، وفناء العارف بشهود الأحدية في حضرة الواحدية، وفناء الفرد بتجلِّي الأحد بالغيبة عن كل أحدٍ.

**منزع:** كوْن مشهد الحسّ هو محلّ جريان الشمس، إذا استوت شمسك عند الزوال أفنت ما كان موجودًا من الظلال، فاحرص على استواء شمسك بذهاب ظل غمامة حسّك.

كـــان لي ظـــل رســـوم فاســـتوت شمـــسٌ فـــزالا

عشـــت بـــالمحبوبِ حقًّـــا بعـــد مـــا كانـــت خيـــالا

**مشرع:** أفْنىَ التائب المهلكات، وأفنى السالك العادات، وأفنى المسلك القواطع، وأفنى العارف المطامع، وأفنى الواصل الأكوان، وأفنى الموصّل ما سِوىَ حضرة الإحسان.

**منزع:** إذا غلب الفناء بشهود التجلِّي، عند صدْق التخلِّي، لا ترى الأكوان إلا كالخيال في حضرة هذا المثال.

إنمـــا الكـــون خيـــالٌ وهـــو في حـــقِ الحقيقـــةِ

كـــل مَـــن يشـــهد هـــذا حـــاز أســـرارَ الطريقـــةِ

**مشرع:** فناء الفناء أعلى من الفنا؛ لأنه دهليز البقا عند أهل التقى، فإياك أن تقف مع بداية الفنا؛ فتقع في الخلط والدعوى، وتخالف أهل الأدب والتقوى.

وانظر حال الحسين الحلاج[1] لما قنع ووقف عند أوائل الفناء، كيف وقع في العناء[1].

---

(1) سيدنا الحلاج هو أبو مغيث الحسين بن منصور من أهل البيضاء وهي بلد بفارس نشأ بواسط العراق، وصحب الإمام الجنيد البغدادي وغيره، وقد اختلف في أمره، وكثر به القال والقيل في عصره، وذهب الشيوخ بعده في شأنه إلى مذاهب كثيرة. فمنهم من كفَّره، ومنهم من عظَّمه، ومنهم من اعتذر له، وعذره وشاع عنه، وذاع وملأ الدفاتر والأسماع أنها كانت تصدر عنه ألفاظ، يردها ظاهر الشرع، وينبو عنها السمع مثل قوله: أنا الحق. وقوله: ما في الجبة إلا الله، وقد اعتذر له عن هذه الألفاظ.

ومثلها الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «مشكاة الأنوار». وذكره القشيري في رسالته بين المشايخ الأخيار =

=

إلا إنه صرَّح بخطيئاته ولمح بشبهاته. وقد أفتى الإمام الجنيد البغدادي قُدِّس سرُّه وﷺ بقتله مع من أفتى. وعدَّه جماعةٌ من القوم بين الأولياء بأن الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ ذكر أنه عارف، وقال: لو كنت في زمنه لأخذت بيده. والشيخ أحمد الرفاعي ﷺ من الذين يقولون بولايته ويعتقدون خطأه.

وقد صرَّح في كتابه: «البرهان» بذلك ما نصَّه: ينقلون عن الحلاج أنه قال: (أنا الحق) أخطأ بوهمه لو كان على الحق ما قال: أنا الحق. يذكرون له شعرًا يوهم الوحدة كل ذلك ومثله باطلٌ، ما أراه رجلاً واصلاً أبدًا إلى آخر ما قال.

ومن المعلوم أن علماء بغداد أجمعوا على قتله وصلبه، وكتب القاضي بإباحة دمه، ورُفعت الفتاوى إلى الخليفة فأذن في قتله فقتله وأُحرق بالنار، وأُلقي رماده في الدجلة ونصب الرأس ببغداد، وأُرسل إلى خراسان ليراه أصحابه الذين افتتنوا به.

هذا ملخص ما قيل في شأنه في سائر التواريخ، وكان قتله في سنة تسع وثلاثمائة، وقد ظهرت على يديه الكرامات العديدة، فالذي اعتقده قال بكرامته، ومن لم يعتقده قال: إن الذي ظهر منه سحرٌ وشعبذةٌ.

وقال سيدي عبد القادر: كان يقول: عثر الحسين عثرة فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده، وإنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده، يا هذا فرسي مسرج، ورمحي منصوب، وسيفي شاهر، وقوسي موتر لحفظك وأنت غافل.

(1) قال الشيخ يوسف بن الملا عبد الجليل الموصلي: واختلف قوم فيه كالاختلاف في المسيح عليه السلام فقيل: هو ولي الله، وقيل: هو ساحرٌ، والتمس حامد بن العباس الوزير من الخليفة المقتدر تسليمه إليه، فكان يخرجه في مجلسه ويستنطقه، فلا يظهر منه ما يخالف الشريعة، وحامد مجد في أمر ليقتله حسدًا وبغيًا وعدوانًا لأولياء الله تعالى، ثم أنه رأى له كتابًا حكي فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتًا نظيفًا من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضر الحج طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيمًا، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت ويكسوهم، ويعطي كل واحدٍ سبعة دراهم، فيكون كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاَّج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، ولم يعلم الحلاج ما دسّوه عليه، فقال القاضي له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فطلب الوزير خط القاضي بقوله حلال الدم، فدافعه القاضي فلم يندفع، وألزمه فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس من العلماء، فقال الحلاَّج: ما يحل لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي، وأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر، فأذن له بقتله، فضرب ألف سوط، ثم قُطعت يده ثم رجله، ثم قُتل، وأُحرق، ونُصب رأسه ببغداد.

=

بقوله: ها هو أنا ومَن أيْسر أقواله ما أعرب به عن بعض أقواله.

عجبـــــت منـــــك ومـــــني أفنيتـــــــني بـــــــك عـــــــني

أدنيتـــــني منـــــك حـــــتى ظننـــــــــت أنـــــــــك أني

=

قال الفاضل العمري: ولعمري أنها مظلمة مُظلمة، وقضية ظالمة، ارتكبها الوزير لهوى نفسه، وأظهر أنها حماية للشريعة المؤيدة.

وفي شرح الجوهرة للقاني: فمن تكلم في أئمة الدين، وهداة المسلمين من الرؤساء المجتهدين، لا يلتفت إليه ولا يعول في شيءٍ عليه، ومقت الله والسقوط من عينيه منجذب إليه، كما أنه لا التفات لمن رمي الجنيد وأصحابه من جملة الصوفية بالزندقة عند الخليفة جعفر المقتدر، حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد، فإنه تستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب شيخه أبي ثور، وبسط لهم النطع، فتقدم من آخرهم أبو الحسن النوري، فقال له الجلاد: لِمَ تقدمت؟ فقال: لأوثر أصحابي بحياة ساعة، فبهت السياف، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فرَدهم إلى القاضي، فسأل النوري عن مسائل فقهية فأجابه، ثم قال: وبعد.. فإن لله تعالى عبادًا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله... إلى آخر كلامه، فبكى القاضي وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زنادیق فما على وجه الأرض مسلم، فخلى سبيلهم، ثم قتل من الصوفية الحسين الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة بما لم يتأمله مَنْ أمر بقتله انتهى.

وقال أيضًا: ورُوي أنه لما قُدِّم لتقطَّع يداه قُطعت اليد اليمنى أولاً، فضحك، ثم قُطعت اليسرى فضحك ضحكًا بليغًا، فخاف أن يصفرَّ وجهه من نزف الدم، فكبَّ بوجهه على الدم السائل، ولطَّخ وجهه بدمه. ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: يا مولاي، إني غريبٌ في عبادك، وذكرك أغرب منِّي، والغريبُ يألف الغريبَ.

وقال أيضًا: وفي مشكاة الأنوار للإمام الغزالي فصل طويل في حاله يعتذر فيه عمَّا صدر عنه مثل قوله: (أنا الحق.. وما في الجبة إلا الله)، وحملها على محامل حسنة، وقال: هذا من شدة الوجد مثل قول القائل: (أنا من أهوى ومن أهوى أنا).

وقال السيد الجليل الشيخ عبد القادر الجيلاني: عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذه بيده، ولو كنت في زمنه لأخذت بيده. وانظر: الانتصار للأولياء (ص39، 584) .

قوله: (حتى ظننت أنك أني) فيه شعور بأدب فناء الفَنا، لكنه لم تكمل له حقيقة هذا المعنى؛ إذ لو كملت لتخَلّص من غلظ البشرية، وتأدب بكمال الأدب مع الربوبية.

يـــا نـــزهتي في حيـــاتي وراحـــتي بعـــد دفـــني

مـــا لي بغـــيرِك أنْـــسٌ إذ كنـــت خـــوفي وأمـــني

**منزع:** الفاني المحقق عند المحققين؛ من شَعر بوجوده عند الغيبة والحضور، وعلمه وإن لم يشهد في ظلمة فناء ذلك الديجور.

ألا ترى أن من طلعت عليه الشمس فاشتغل بصره بنور شهودها لا ينكر بقاء نور الكواكب، وإن لم ينظر حقيقة وجودها، كذلك الفاني إذا غلب عليه شهود أنوار الحق، استشعر وجوده ووجود الخلق، فذلك سلوك الكُمَّل الأنبياء، والسادات الأتقياء.

**مشرع:** قال غير واحد في الفناء (أنا) وفي البقاء قالوا: (أنت)، فقيل: يا فاني في الأول ما كذبت، ولكن في الثاني أحسنت.

**منزع:** مقام الفناء به الوصول إلى المنى، كلما توالى على صاحبه دَنَا، واصطلمه السنا في المقام الأسنى.

ويَزيـدني تلفًـا فأشـكرُ فعلـه كالمسـكِ تسـحقه الأكـفُّ فيعبـقُ

**مشرع:** الفناء هو أساس الطريق، وبه يتوَصَّل إلى مقام التحقيق، ومَن لم يجدْ بمَهر الفنَاء لم يستجْل طلعة الحُسْنَا، وليس له في غد واليوم نصيب مع القوم.

## القانون الثاني عشر

## قانون البقاء[1]

قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: 73].

**قاعدة:** البقاء مقام يملك حقيقة الشهود على بساط الأدب مع الشهود.

**فائدة:** بقاء البقاء أكمل من البقا، وصاحبه هادٍ مهتدٍ بكمال التُّقى.

**قاعدة:** متى وجدَ البقاء وجِد الصحو، وإذا ذهب جاء السكرُ لصاحب المحو.

---

(1) **البقاء: صفة ما ثبت عند نفي السوي، وحقيقته: وجوده بعدم، وغايته: قيامٌ لا يحول، ودوامٌ لا يزول، وصفةٌ لا تتبدَّل، وفعلٌ لا ينقطع، إعدامه في بطونه، وإيجاده في ظهوره، وسوابقه في أوليته التي تبدأ، ولواحقه في آخريته التي لا تتناهى اهـ.**

**فائدة:** الباقي فاني، وليس كل فانٍ باقي.

**قاعدة:** مقام البقاء جامع حيطة الجمع، ونقاء البقاء جامع حيطة جمع الجمع.

**فائدة:** الجمع غير الجمعية؛ الجمع شهود وحدانية النور، والجمعية غيبة مع الحضور.

فالجمعية غيبة عن الخلق مع الحضور بالحق، والجمع شهود الحق بلا خلقٍ، فمقام الجمعية أكمل من مقام الجمع.

**قاعدة:** القيام بحقيقة الجمع دون الشريعة زندقة، والقيام بمقام الفرق دون الجمع تفرقة.

**فائدة:** الحقيقة خفيّ الباطن، والباطن جليَّ الظاهر؛ لهذا كان في المصطلح: الباطن حقيقة، والظاهر شريعة.

**قاعدة:** لا يصلح مقام البقاء إلا بعد فناء الفناء[1].

**فائدة:** في مقام البقاء يعطي المولى التمكين، وفي مقام بقاء البقاء ينصرف بالتمكين في التلوين.

**قاعدة:** وصف البقاء للباقي يختلف بحسب ما تقدم من الفناء؛ لذلك اختلفت المقامات، وتباينت الحالات.

**فائدة:** من الرجال من لا يجد البقاء، إلا بعد الفناء وهذا هو الأكثر، ومنهم من يجد البقاء لأول وهلة رقيقة يجدها أهل الخصوصية من حقيقة الأنبياء، وهؤلاء هم الكُمَّل الورثة.

**قاعدة:** البقاء يقتضي وجود الفناء بعدم أوصاف البشرية التي يجب التقديس منها، والبُعد عنها.

**فائدة:** البقاء مرآة التجلِّي، كما أن الفناء بساط التخلِّي، كما أن الباقي على منصة التجلِّي.

**قاعدة:** بقاء القديم غير بقاء الحادث، وإن حصل للسالك طريقة؛ فهو مجاز حقيقة.

**فائدة:** لا يحصل رفع البقاء إلا بخفض الفناء، فقم في باب نصب البدل، واترك حروف

---

(1) قال الشيخ الأكبر قُدس سرَّه: (من فني) عن وجوده وإرادته بإفناء الله تعالى إياه (بقي) بربه، ومن بقي بربه يفوز بجميع مطالبه دنيا وآخرة، فلا يكون مقام البقاء إلا بعد حصول مقام الفناء وهو اضمحلال الصفات في الصفات، والبقاء هو الوجود الحق فافهم.

العلل تبلغ ما أملته من الأمل.

**قاعدة:** وصف البقاء في الأنبياء عصمة وهداية، وفي الأولياء حفظ ورعاية، وكل من حصل له وصف البقاء أمن من الشقاء.

**فائدة:** الراقي درجة الفناء يشاهد أول مقام البقاء، ويبشر هناك في بدايته بما سيكون له في نهايته؛ لأنها أول خلع القبول في مقام الوصول.

* * *

## القانون الثالث عشر

## قانون الولاية العامة[1]

(1) قال ابن الملا عبد الجليل في معرفة أولياء الله تعالى، وأنهم لا ينقطعون:
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:62]، فالأولياء جمع: ولي، وهو كما قال المحقق ابن حجر المكِّي: فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه والى الله تعالى ورسوله، فلم يخرجْ عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما، أو مفعول؛ لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمهِ ورسوله والاه بمزيدِ إمداده وكرمه، وضابط الولي أنه المداوم على فضلِ الطاعات، واجتناب المعاصي، المعرِض عن الانهماك في اللَّذات، كذا قالوه.
**قال رحمه الله تعالى:** ويتجه أن هذا ضابط الولي الكامل، وأن أصل الولاية يحصل لمن وُجِدت فيه صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء.
قلت: وهذا مِنْ فضلِ الله تعالى كثيرٌ في هذه الأمَّة في كل زمانٍ ببركة نبيِّنا محمَّدٍ سيد الأكوان ﷺ في كل حينٍ وآنٍ.
قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110].
قال الإمام ناصر الدين البيضاوي: دلَّت الآية على خيريتهم فيما مضى، ولم تدل على انقطاعٍ وطردٍ.
وقال نبيِّنا ﷺ: «لا يزالُ من أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله لا يَضرُّهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتَّى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك» رواه البخاري ومسلم.
وقال ﷺ: «لا تسبُّوا أهلَ الشام؛ فإن فيهم الأبدالُ» ذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وزاد الشارح المناوي: وفي رواية «وبِهم تُنصرون وبِهم تُرزقون»، قال رحمه الله تعالى: وفيه ردٌّ على مَنْ أنكر وجود الأبدال كابن تيمية انتهى.

=

=

وفي كتاب «**الأبدال**» عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «البدلاءُ أربعون».

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: لولا البدلاء لخسف بالأرض، وخرَّج السمرقندي فيه قال: لما قُبض النبي ﷺ شَكت الأرض إلى ربِّها ﷻ أنه ما بقي يمشي عليَّ نبيٌّ من الأنبياء إلى يوم القيامة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أنِّي جاعلٌ مِنْ هذه الأمة رجالاً قلوبهم كقلوب الأنبياء.

قال السمرقندي: والقطب هو المقدم عليه انتهى.

**قال العلامة ابن حجر في «شرح الهمزية»:**

إن الله تعالى خصَّ هذه الأمة في التوراة بخصائص لم يؤتها لغيرهم تكرمةً لنبيهم، وزيادةً في شرفه، ثم عدَّ منها إلى أن قال:

وأن فيهم أقطابًا، وأوتادًا، ونقباءً، ونجباءً، وأبدانًا: أي لا ينقطعون.

**قال الشيخ أحمد الشهير بالأعرج في كتاب مواعظه:** وأخفى الله تعالى وليَّه بين الناس ليعظِّموا الكل، كما أخفى الاسم الأعظم ليعظِّموا كل الأسماء، والصلاة الوسطى؛ ليحافظوا على كل صلاةٍ، وساعة الإجابة في الجمعة؛ ليداوموا على الدعاء في كل الجمعة، وليلة القدر؛ ليحيي مَنْ يريدها ليالي كثيرةً، ورضاه في الطاعة؛ ليرغبوا في الكل، وغضبه في المعاصي؛ ليتجرَّدوا عن الكل، ووقت الموت؛ ليكون المكلِّف على احتياطٍ في جميع الأوقات.

**وكان الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه يقول:** ومن أين لعامَّة الناس أن يعلموا أسرار الحق تعالى في خواص عباده من الأولياء، وشروق نوره في قلوبهم، ولذلك لم يجعلهم إلا مستورين عن غالب خلقه؛ لجلالتهم عنده، ولو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسانٌ لكان قد بارز الحق تعالى بالمحاربة، فأهلكه الله تعالى، فكان سترهم على الخلق شفقةً على من آذاهم.

ومن ظهر من الأولياء للخلق إنما ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ودلالته، وأمَّا من حيث سرِّ ولايته فهو باطنٌ لم يزلْ.

**وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه يقول:** لكل وليٍّ سترٌ أو أستارٌ نظير السبعين حجابًا التي وردت في حق الحق سبحانه وتعالى، حتى أنه لم يعرف إلا مِنْ ورائها فكذلك الولي.

**فمنهم:** مَنْ يكون سرُّه بالأسباب.

**ومنهم:** مَنْ يكون سرُّه بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلَّى الحق تعالى لقلبه، فيقول الناس: حاشا لله أن يكون هذا وليًّا لله تعالى، وهو في هذه النفس أو التعاظم؛ وذلك لأن الحق تعالى إذا تجلَّى في قلب العبد بصفة القهر كان قهَّارًا، أو بصفة الانتقام كان منتقمًا، أو بصفة الرحمة كان رحيمًا مُشفقًا وهكذا، ثم لا يصحب ذلك الولي الله، ظهر بمظهر العزِّ والسطوة والانتقام من المريدين إلا مَنْ محق الله تعالى نفسه وهواه، ولم يزل في كل عصرٍ وأوانٍ أولياءٌ وعلماءٌ تذلُّ لهم ملوك الزمان، ويعاملونهم بالسمعِ والطاعة والإذعان.

=

=

**ومنهم**: مَنْ يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر، والجمود على ظاهر النُّقول، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين.

**ومنهم**: مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا، وتظاهره بحبِّ الرئاسة والملابس الفاخرة وهو على قدمٍ عظيمٍ في الباطن.

**ومنهم**: مَنْ يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأغنياء وسؤالهم الدنيا وغير ذلك، فيقول القصير الفهم والإدراك: لو كان هذا وليًّا لله ما تردَّد إلى هؤلاء الأمراء، أو الأغنياء، أو لأي شيءٍ، ما جلسَ في زاويته أو بيته يشتغل بعبادة ربِّه، ورحم الله الأولياء الماضين الذين كانوا فى الزمن الماضي ونحو ذلك من ألفاظ الجور.

ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن يستنقد عليهم، فربما كان ترددهم لكشف ضَررٍ أو خلاص مظلومٍ من سجنٍ أو قضاء حاجةٍ مثلاً، فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح، ويحرم عليهم التخلُّف عنهم، لا سيما إذا رأينا المتردد من الأولياء والعلماء زاهدًا فيما في أيدهم، متعززًا بعزِّ الإيمان وقت مجالستهم، آمرًا لهم بالمعروف، وناهيًا لهم عن المنكر، لا يقبل هديةً ممن شفع له عندهم، فإن هذا من المحسنين ولا يجوز الاعتراض عليه بسبب ذلك.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: سمعت سيدي عليًّا الخوَّاص رحمه الله تعالى يقول: إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نُصحَه لهم وشفاعته عندهم وَجبَ عليه صحبتهم والدخول عليهم.

وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر.

وقال رحمه الله تعالى: وَمِنْ الأولياء مَنْ يكون سِترةُ قبوله من الخلق ما يعطونه من الهدايا والصدقات، ويمدح الذين أعطوه بالكرم، وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله تعالى؛ فإن الرجل إذا قَبِلَ من الخلق صغُر في أعين الناس ضرورةً، كما أن مَنْ ردَّ عليهم كبُر في أعينهم، ولعلَّ ذلك الرادَّ إنما ردَّ رياءً وسمعةً واستئلافًا لقلوب الناس؛ ليتوجهوا إليه بالتعظيم والتبجيل، ويطلقوا ألسنتهم بالثناءِ الحسن.

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: مَنْ طلبَ الحمدَ مِنْ الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه، وليس من الله في شيءٍ.

وقال الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه: ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلةٍ ممن تزيَّى بزيِّهم، وانتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عند الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:164]، فمن أين يلزم من إساءة واحدٍ أن يكون جميع أهل حرفته كذلك؟! ما هذا إلا محض عنادٍ، وتعصبٌ بباطلٍ.

**وقال الشعراني رحمه الله تعالى**: وَمنْ أشدِّ حجابٍ عن معرفتنا أولياء الله تعالى شهود المماثلة والمشاكلة، وهو حجابٌ عظيمٌ قد حَجبَ الله تعالى به الأكثرين من الأوَّلين والآخرين كما قال تعالى حاكيًا عن قومٍ: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:7]، ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْه وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:33]، ﴿ فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ﴾ [القمر:24]،

=

=

ونحو ذلك، ولكن إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يُعرِّف عبدًا من عباده بوليٍّ من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريَّته، وأشهد وجه الخصوصية فيه، فيعتقده بلا شكٍّ، ويحبُّه أشد المحبَّه، وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية، فلذلك قلَّ نفعهم، وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيءٍ.

**قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه:** ولقد ابتلى الله تعالى هذه الطائفة الشريفة بالخلق خصوصًا بأهل الجدل، فقلَ أن تجد منهم أحدًا شَرَحَ الله صدره للتصديق بوليٍّ معينٍ؛ بل يقول لك: نعم، إن لله تعالى أولياء وأصفياء موجودين ولكن أين هم؟ فلا تذكر أحدًا إلا ويأخذ بدفعه، ويردَّ خصوصية الله تعالى له، ويطلق اللسان على كونه غير وليٍّ لله تعالى، وغاب عنه أن الولي لا يَعْرِف صفاته إلا الأولياء، فمن أين لغير الولي نفي الولاية عن إنسانٍ؟ ما ذاك إلا محض تعصبٍ كما ترى في زماننا من إنكار ابن تيمية علينا وعلى إخواننا العارفين.

فاحذر يا أخي ممن كان هذا وصفه، وفرَّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري، جعلنا الله تعالى وإيَّاكم من المصدِّقين لأوليائه، المؤمنين بكرامتهم بمنِّهِ وكرمهِ، آمين.

**الباب الثاني في صفاتهم وما أعدَّ الله لهم من الفضل الجميل والأجر الجزيل:**

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [يونس:62]: أي الذين يتولونه بالطاعةِ، ويتولاهم بالكرامةِ، ولا خوف عليهم من لحوق مكروهٍ، ولا هم يحزنون فوات مأمولٍ، والآية كمجملٍ فسَّره قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:63].

قال الواحدي في «الوسيط»: قال الأزهري: اتفق العلماء أن الإيمان معناه التصديق، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:17]: أي بمصدِّقٍ لنا، ومعنى التصديق هو اعتقاد السامع صدق المخبِر فيما يُخبر.

فمن صدَّق الله تعالى فيما أخبَرَ به في كتابه وصدَّق الرسول فيما أخبر معتقدًا في القلب تصديقهما فهو مؤمنٌ.

ومعنى الاتقاء في اللغة: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقاه بترسه: أي جعل الترس حاجزًا بينهُ وبينهِ، ومنه: التقية في الدين يجعل ما يظهره حاجزًا بينه وبين ما يخشاه من المكروه، ومنه الحديث: «كنَّا إذا احمرَّ البأسُ: أي اشتدت الحرب اتقينا برسول الله ﷺ، فكان أقربَنا إلى العدوِّ».

فالمتقي هو الذي يتحرَّز بطاعته عن العقوبة، ويجعل اجتنابه عمَّا نُهي عنه، وَفِعْلَهُ ما أُمر به حاجزًا بينه وبين العقوبة التي توعَّد بها العصاة.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس:64]، وهو ما بشَّر به المتقين في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ وما يريهم في الرؤية الصالحة، وما يسنح لهم من المكاشفات، وبشرى الملائكة عندَ النزعِ، وفي الآخرةِ بتلقي الملائكة إيَّاهم مسلمين مُبشَّرين بالفوز والكرامة.

ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء أو الابتداء وخبره:

=

=

﴿لَهُمُ البُشْرَى﴾، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس:64]، لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده، ذلك إشارةٌ إلى كونهم مُبشَّرين في الدارين، هو ﴿الفَوْزُ العَظِيمُ﴾.

هذه الجملة والتي قبلها اعتراضٌ لتحقُّق المبشَّر به، وتعظيم شأنه، وليس من شرطه أن يقع بعده كلامٌ يتصل بما قبله، كذا ذكره البيضاوي.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال: «إنَّ لله تعالى عبادًا ليسُوا بأولياءَ ولا شهداءَ يغبطهم النبيُّون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله تعالى يوم القيامة، فقال أعرابيٌّ: حَدِّثنا يا رسول الله مَنْ هم؟ فقال: «همْ عبادٌ من عبادِ الله من بلدانٍ شتَّى لم يكن بينهم أرحامٌ يتواصلون بها، ولا دنيا يتبَاذلون بها، يتحابُّون بروح الله، يجعل الله وجوههم نورًا، ويجعل لهم منابر من نورٍ قدَّامِ عرش الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون».

وقال ﷺ: «أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى الأتقياءُ، الأسخياءُ، الأخفياءُ: (أي المبالغين في ستر عبادتهم، وتنزيهَها عن شوائب الأغراض الفانية، والأخلاق الدَنيَّة) الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا شهدوا: أي حضروا لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم». رواه الطبراني.

وقال ﷺ: «رُبَّ أشعثِ الأثواب مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه». رواه مسلم.

وقال ﷺ: «يَدخلُ الجنَّةَ مِنْ أمَّتِي سبعون ألفًا بغير حسابٍ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيَّرون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون» رواه البخاري ومسلم.

وأخرج السمرقندي في كتاب «الأبدال»: أن عليَّ بن أبي طالبٍ ﷺ وكرَّم وجهه سأل النبي ﷺ عن الأبدالِ، فقال: «هم ستون رجلاً. قلت: يا رسول الله، صِفهُم لي. فقال: ليسوا بالمتنطِّعين، ولا بالمتعمِّقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاةٍ، ولا صيامٍ، ولا صدقة إلا سخاء النفس، وسلامة القلوب والنصيحة لأمَّتهم، إنهم يا عليُّ أعزُّ من الكبريت الأحمر».

ورُوي عن أبي ذرٍّ ﷺ أنه قال: لما ذَهبتْ النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلفَ الله تعالى مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمدٍ ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى يُنشئ الله تعالى مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، ثلاثون منهم على يقين إبراهيم عليه السلام، لم يفضلوا الناس بكثرة صلاةٍ ولا صيامٍ ولا بحسن الحلية، لكن بصدق الوَرَع وحسن النيَّة، وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضات الله تعالى بصبرٍ وخبرٍ، ولبٍّ، وحلمٍ، وتواضعٍ في غير مذلةٍ.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ منْ أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله تعالى لا يضرُّهم مَنْ خذلهم، ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «وهم بالشام».

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى للشام! قلنا: لأي شيءٍ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها». رواه الإمام أحمد والترمذي.

وقال ﷺ: «مِنْ أشدِّ أُمَّتِي حُبًّا لي ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وددتُ أنِّي قد رأيتُ إخواننا قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ، وأنا فرطُهم على الحوض» رواه البغوي.

=

قال الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:63,62].

**ضابط**: حقيقة الولاية العامة التي يتولى بها العبد رعاية حقوق الله سبحانه وتعالى صفة جامعة لما يحبه الرب ويرضاه، مانعة لما يسْخطهُ ويأْباه.

**رابط**: الولاية مرتبطة بالاتباع دون زيغ الابتداع، فمَن خرج عن الاقتداء، فليس في شيءٍ من الاهتداء.

**ضابط**: من ظهرت عليه الكرامة بسبب الاستقامة؛ فهو صفيٌّ وليٌّ، ومَن أتى بخَرْق العادة بلا عبادة فهو شيطان غوي.

**رابط**: التقوى شعار الهداية، والذِّكر منشور الولاية، فمَن خلا من الذكر والتقوى فهو من أهل الهوى والدعوى.

**ضابط**: الولي عبد عابد قائم بالعبودية، صادق مصدق صديق في الصوفية.

**رابط**: الولي مؤثر للفقير على الأمير، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير، صادق الحال عند الرجال، ومَن عكس انتكس.

**ضابط**: الولي من عمَّر الأوقات بأنواع القربات، فبُورك له في الزمان وتبرَّك به المكان.

**رابط**: من أنفق زمانه في الضياع حرم بركة الحد والانتفاع، وتعلَّق بأماني آماله، واشتغل بصور خياله.

**ضابط**: الوليُّ لا يسوِّف عمله بالاستقبال، فيُمنع بركة الوقت في الحال، بل يشتغل بالموقت عن الوقت، ويتَّقي بذلك الطرد والمقت.

---

=

وأنا أرجو الله سبحانه وتعالى حيث مَنَّ عليَّ بالانتماء إلى مذاهب أوليائه الكرام والانتساب إلى كريم مناسب أصفيائه ذوي الاحترام ورزقني شيئًا من تعظيمهم وحبِّهم وقسطًا من تكريمهم وبرِّهم ألا يحرمني من شفاعتهم، ولا يُخرجني من كنف ولايتهم، ولا يطردني عن بابهم الكريم، ولا يصرفني عن منهجهم القويم، فهمُ القومُ الذين لا يشقى بهم جليسُهم:

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم، وأفاض علينا من دُرَرِهم، آمين.

**رابط**: لا يمكن عند القوم شهود صورة الظلال إلاَّ بعد المحو والزوال، فإذا رأيت من تجرَّأ على مشاهدة الصّوَر، وهو لم يصل إلى العين بعد الأثر فاعلم أنه مفتون مغرور لم يدخل حضرة الشهود بالنور.

**ضابط**: الوليُّ لا يُعصم من الكبيرة، ولا تنقصه الصغيرة، ولكنه يحفظ من الكبائر، وتُغفر له الصغائر.

**رابط**: الوليُّ عمله مرتبط بالأقوال العلمية، وعلمه مستعمل في أحواله العلمية.

**ضابط**: الوليّ إن استغفلته النفس البشرية بالنسيان لا يدوم على اتِّباع الشيطان، بل يرغمه بالمتاب وكلما وقع آب.

**رابط**: وليّ حضرة الجمال مفتون، ووليّ حضرة الجلال مغبون، ووليّ الجمال مع الجلال صاحب الكمال.

**ضابط**: صاحب مشهد الجمال ضعيف، والمقتدي به غوي، وصاحب مشهد الجلال هادٍ مهتدٍ قويّ، والكامل مَن شهد جلال الجمال، وجمال الجلال.

**رابط**: على قدر المقَام يكون المقام في حضرة الإنزال، ومحاضرة الوصال.

**ضابط**: الوليّ إذا سلَّمْت عليه بَشَّ، وإنْ حدثْتَه هَشَّ، وإن سألته أعْطى، وإن فضحْتَ عنده غَطَّى، لا ينطق الفحشاء، ويكتم إذا غيره أفشى، ولا يتباهى بالأمراء، ولا يهين الفقراء، ولا يشين بهجة محيَّاه، ولا يبيع آخرته بدنياه.

يستغنى بالله، ويتواضع لله، ويأخذ من الله، ويعطي في الله، ويتوكَّل على الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سوى الله، فهذه بعض صفات القوم فيما مضى وإلى اليوم، ولله درُّ من قال في سَنِيُّ هذا الحال:

هيْنون ليْنونَ أيْسَارٌ بنو يسر ... سوّاس مكرمةً أبناء أيْسارِ

لا ينطقون عن الفحشاءِ إن نطقوا ... ولا يمارون إن ماروا بإكثارِ

مَن تَلْقَ منهم تقلْ لاقيت سيِّدهم ... مثل النجومُ التي يسري بها الساري

* * *

## القانون الرابع عشر
## قانون الولاية الخاصة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [البقرة: 25].

**فتح طلسم الكنز**: خذ حروف الطلسم الإنساني، استخرج منها الاسم الروحاني ووَفقه بتوفيقك، وتحجّب به في طريقك.

فإذا جئت إلى الباب، ووقفت على الأعتاب فاشتغل بصرف العائق، واستعذ من شرِّ الطارق، ولا تذكر الموكَّل إلا بأحسن أسمائه، ولا تغفل عن عزيمتك حتى يحضر مسمَّاه وقدّم بخورك المطّيب للموارد في حالة استحضار العون المساعد، وإياك إنْ أذِنَ لك وفَتحَ وتفضَّل وَسمَح أن تسارع إلى الأمتعة وأخْذ المال؛ فإنَّ ذلك مهلكة في الحال والمآل، بل اجعل قصْدك الملك لا غير، فإنْ وَهبَك سرَّ خاتمة في السير، فقد ظفرت بكل خير، هنالك يضوع نشر الاستخدام لكل الخواص والعوام؛ فاهنأ بوراثة الملك من غير معاند ولا هلْك.

**حَلّ معمَّى اللغز**: السرّ المكنون، هو لوليّ المصون مغْنِي أهل الإرادة بكيمياء السعادة.

**فتح طَلسم الكنز**: حقيقة الولاية الخاصة التي يتولى بها الحق سبحانه وَليّه خصوص عناية ورعاية أزلية، وسبق محبة تظهر عليه في الأبدية.

وآثـــارُ تُلـــوِّحُ علـــى الـــوليّ  كمثـلِ الـرقمِ فِي الثـوبِ الوشـيِّ

وهـذا الوصـف هـو مفتـاح طلسـم كنـز الأسـرار الربَّانيـة، الجامعـة للصـحف العبرانيـة والسريالية.

**حـل معمـى اللغـز**: وليُّ الله المحبوب هـو خزانـة الأسـرار والغيـوب، وليلـة القـدر السـامية الفعال، والاسم المجاب والحرف الفعَّال، فلا تعجب إن ظهرت عليه الكرامات، وخرقت له

العادات؛ لأنه في بقاه صار فعله فعل مولاه.

أمْـــره كلـــه عوائـــدُ فينـــا  ليس في الكونِ عندنا خرقُ عادةٍ

**فـتح طلسـم الكنـز**: وليُّ الله المخصـوص دخـل حضـرة الـذات، وانجلـت لـه حقـائق الصفات، وشهد معاني الأسماء بسائر التجلِّيات، هنالك رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

**حـلّ معمّـى اللغـز**: الإكسير يـا نحرير، هـو وليّ الله الكبير، مَـن حصـل لـه حصـل الغنى واستراح من التعب والعَنَا.

**فتح طلسـم الكنـز**: إذا رأيت عارفًا جلس على بساط الإرشاد، ونادى لسان حاله أو قاله للعباد، فبادر أيها الطالب لما فُتح من المطالب.

**حل معمَّى اللغز**: تأمَّل حروف الهجاء تجدها في حرف الألف تَصَوَّرْ، وعمَّ جميع المراتب لما تطوَّر، كذلك الوليّ الكامل يتطور بجميع الأطوار؛ ليقضي سائر الأوطار.

غـدوتُ إمامـاً للمحبين فاقتضى  تنـــوّعم في الحـــبِ أن أتلوَّنـــا

**فتح طلسم الكنز**: الفتح لا يكون عادةً بغير مفتاح ولا فتَّاح، فالمفتاح هو: التيسير والفتَّاح هو: الرجل الكبير.

فإذا حصَّلت مرآة الهبات انفتح طلسم الكائنات بحقائق كنز الذات، فلا تكن ممن جحد وأنكر لفتح هذا الكنز الأكبر.

**حل معمى اللغز**: قال عارف: العلم حجاب.

قيل: مذمومه لا محموده.

قال: أقول ولا استثني.

قلنا: لا يكون إلا باعتبار التكثر بالصفة العلمية في حضرة الوحدة الذاتية.

**فتح طلسم الكنز**: إذا دخل المخصوص حضرة الذات قلبت منه الرسوم والصفات؛ لذلك لا يعرج على المقامات، ولا يكون بسبب ذلك له إليها التفات، فإن أردت ذلك فانهج نهج هذه المسالك.

ومهمـا تـرى كـل المراتـبِ تجتلـي  عليـك فحـلْ عنهـا فعـن مثلهـا حُلْنَـا

وقلْ ليس لي في غيرِ ذاتك مطلبَ  فـلا صـورةٌ تجْلَـى ولا طرفـةٌ تجْـنَى

**حل معمّى اللغز**: قال عارف: خضْنَا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله[1].

قلنا: خاض العارفون بحر التوحيد أولاً بالدليل والبرهان، وبعد ذلك وصلوا إلى رتبة الشهود والعيان، والأنبياء وقفوا بأول وهلة على ساحل العيان، ثم وصلوا إلى ما لا يعبّر عنه العرفان، فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين والسلام.

**فتح طلسم الكنز**: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «**لا يزال العبد يتقرَّب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا**»[2]

قلنا: سمْعًا بإخبار الإلهام، وبصرًا بأنواع عناية الاصطلام، ويدًا بالتأييد، ومؤيدًا بالتسديد.

**حل معمّى اللغز**: قال العارف:

وكلّ بَلاَ أيْوبِ بعض بلَّيتي

**قلنا**: بلاء أيوب في الجسد دون الروح، وبلاء هذا العارف فيهما معًا في الروح بالأوام وفي الجسد بالسقام.

**فتح طلسم الكنز**: قال عارف:

مقـــامُ النبـــوةِ في بـــرزخٍ فوَيْـــق الرســـولُ ودون الـــوليُّ

**قلنا**: هذا ينكشف بوزن الحقائق، ذلك أن النبوة تعطي الأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ أمر الله لعباد الله، ومقام الولاية أخْذٌ عن الله بالله: أي الولاية الخاصة دون العامة يا مَنْ فَهِم عن الله.

وهذه الحقائق موجودة فيمن كان رسولاً فافهم التحقيق من كلام أهل الطريق، ولا تظن أنهم يعتقدون تفضيل الولاية على النبوة والرسالة ونزّههم عن ذلك فإنه ضلالة.

**حَلّ معمى اللغز**: قال عارف:

يصل الوليّ إلى رتبة تزول عنه فيها كلفة التكليف.

قلنا: يكون الولي أوَّلاً يجد كلفة التعب، فإذا وصَل وجَد بالتكليف الراحة والطرب من

(1) القائل هو: سيدي أبو يزيد البسطامي، ويقصد بالبحر القرآن العظيم. وانظر: تأويل الشطح للشعراني (ص50).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (319/8)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (44/1).

باب قوله ﷺ: «**أرِحْنا بها يا بلال**»[1] ذلك مقصد الرجال.

**فتح طلسم الكنز**: قال عارف:

للربوبية سرٌّ لو ظهر نوره لعطل نور الشريعة.

قلنا: أي سرّ الإحاطة بجميع الأفعال بالخلق والاختراع حتى في معنى الكسب المطاع الذي هو مناط التشريع لكل عبد مطيع.

**حل معمّى اللغز**: قال عارف[2]:

توضَّأ بماءِ الغيبِ إن كنتَ ذَا سرٍّ وإلا تيمَّم بالصعيدِ وبالصخْرِ

وقدّمْ إمامًا كنتَ أنت إمامه وصلَّ صلاةَ الفجرِ في أولِ العصْرِ

فهذى صلاةُ العارفين بربهم فإن كنتَ منهم فانضح البرَّ بالبحرِ

**قلنا**: الوضوء هنا: طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية بماء غيب التوحيد الذي ليس على تطهيره من مزيد، ويريد به توحيد العيان، فإن لم تجده فتطهر بصعيد البرهان، وقدّم إمامًا كان في يوم الخطاب، ثم صرت أنت إمامه بعد سدْل الحجاب، وصلْ صلاة الفجر: أي صلاة نهار كشْف شهودك بعد حجاب ظلمة وجودك في أول العصر: أي في أوَّل زمان العمْر.

تجرَّد بفقرك ولا تتأخر عن دورك؛ لأن الحكم للوقت والتوقيت له مقت، هذا في صلاة المحققين العارفين بربهم الذين لا يخرجون عن متابعة الأحكام الشرعية في جميع مَشاهد شهود الربوبية؛ فإن كنت منهم وقمت بآدابهم، فانضح البرَّ بالبحر: أي غسيل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بدنك في بَرّ الشريعة.

ما نالَ من جعلَ الشريعةَ جانبًا شيئًا ولو بلغَ السماءَ مناره

**فتح طلسم الكنز**: قال لسان الوارد: هذه نجوم فرائد طلعت بسماء فوائد، وأشرقت بشموس مشاهد.

اعلم أيها المشاهد أن الجلال والجمال هما غيب ظاهر ما يبدو عنهما في كل حضرة من

(1) رواه الطبراني في الكبير (277/6)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (145/1).
(2) الإمام الجنيد، وقد شرح هذه القصيدة الشيخ ابن عجيبة.

حضرات التلوين والتكوين، وأطوار تجليات التعيين.

مثال ذلك في التلوين في أطوار البشرية الكاملة الموصوفة بالنبوة والرسالة ظهور خوف الإجلال للجلال، ومحبة الجمال للاتصال، وفي طور الولاية ظهور خوف العاقبة لعدم العصمة، ورجاء القرب للكرم الواسع والرحمة.

فلهذا يكون الولي فيها محرر اللسان، ميزان سيره بين الخوف والرجاء؛ حذرًا من نقصان إحدى الكفتين؛ لأن بهاتين الكفتين يصير له جناحان بهما يطير على سلسلة الاستقامة في الدنيا، ويسرع في صراط الامتحان في الآخرة، وحكمة ظهورهما تختلف بحسب كل مقامٍ.

ففي كل مقام الخلافة يظهران بالعفو والقصاص لأجل مقام الاختصاص.

قال اللسان الشريف العزيز التعريف:

له خلقُ الرحمنِ في العفوِ مثلما  له خلقُ الجبارِ حقًّا إذا اقتفى

ويظهران في مقام كرم الأخلاق العلية، والأوصاف المرضية، باللين والخشونة الأبية، لأجل نزاهة النفس من الأوصاف الدَّنية.

كريمٌ يغضِ الطرفِ فضلُ حيائه  ويرنو وأطرافُ الرماحِ دواني

حكى السيفُ إنْ لا ينْتهُ لانَ مسهُ  وحدَّاه إنَّ خاشنته خشنان

ويظهران في مقام الجبروتيه، لأجل مصلحة الحكمة في البرية بالنفع والإضرار يشهد ذلك أولوا البصائر والأبصار.

إذا أنتَ لم تنفعْ فضرْ فإنما  يرجى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ

وأمَّا ظهورهما في أسرار التكوين، ففيما يشهد من الحسن والقبيح والألكن والفصيح، والمريض والصحيح، والناقص والكامل، والقاطع والواصل، والظلام والنور، والحزن والسرور، إلى غير ذلك من الأمور.

وأمَّا ظهورهما بأطوار تجليات التعيين، فما أشهده الحق لأولي البصائر والاطلاع في حضرات شهود مشاهد الدرجات الرفاع، من حكمة التدبير، وقضاء التقدير، في كل تعسير وتيسير.

فلهذا تراهم قد استوى عندهم شهود وصف الجلال والجمال، علمًا منهم أن ذلك يورث مقام الكمال.

يَـــا حَـــاكمي وحكيمـــي أحكامُـــكَ الكـــلُّ حكمَـــه

إن أثبت بالنعمة فذلك منك فضلٌ، وإن حكمت بالنقمة فذلك منك عدلٌ، فلا تحجبنا بأحد الوصفين عن شهود الآخر فنكون من المحجوبين عنك، بل اكتشف لنا عنك بك.

يا من كل وصف لمخلوق نشأ عن وصفه، ولولا وصفك ما كان وصفنا، فصفنا من كدرنا، حتى نرى وصفك في مرآة وجودنا المستفاد من جود وجودك إنك على كل شيء قدير، فمنك بدأنا وبك قمنا وإليك المصير، أنت مولايا فنعم المولى ونعم النصير.

**حل معمى اللغز**: نزل العارف على ساحل بحر المعاني الذوقية، وشرقت عليه هناك شمس المعارف الكشفية، فصار بذلك أفق طلوعها بنور شروقها ومحل غروبها بعد بروقها، له التصرف في جواهر التحقيق، واليد الطولي في الدقيق، فيا من دخل بحر التوحيد واستغنى بشمس الذات، واستنار بنور الصفات، وقرأ سرَّه المكتوم، وفهم تعلق العلم بالمعلوم، وحل بحبوحة ذلك الفضاء الواسع في حضرات شهود النور الساطع.

أنت الغريب في الأكوان لما جمعت من حقائق العرفان، حضرة غيبك لا تفهم وأسرار حكمتك لا تعلم.

ومُـذُّ عنـك غْبنـا ذلـك العـامُ إننـا نزلنـــا علـــى بحـــرٍ وســـاحله معنـــا
وشمـسٌ علـى المعـنى تُوافـقُ أفقْنَـا فمغربهـــا فينـــا ومشـــرقها منَّـــا
ومسَّـت يـدانا جـواهرًا منـه ركبّـت نفـوسٌ لنـا لمـا صَـفتْ فتجوهرْنـا
فما السرُّ والمعنى وما الشمسُ قلْ وما جـوهرُ البحـرِ الـذي عنـه عبرنـا
حللنـا وجـودًا واسمـه عنـدنا الفضـا يضـيق بنـا وسْـقَـًا ونحـن فمـا ضـقنا
تركنـــا البحـــارَ الزاخـــرات وراءنـــا فمـن أيـن يـدري النـاسُ أيـن توجهنـا

**فتح طلسم الكنز**: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: من الآية34].

فإن قلت: السجود لغير الله حرام فكيف جاز هذا السجود.

قلنا: هذا السجود معناه خضوع الأصغر للأكبر، لا أنه سجود المربوب للرب لأن آدم عليه السلام عبدُ لا رب لكنه أكرم في الصورة الآدمية بظهور النسمة المحمدية؛ فهذا الذي أوجب السجود له في هذا المحراب، يا أولي الألباب.

وذلك أن رأس محمد ميم، ويداه حاء، وسرته ميم، وساقاه دال، ولذلك كان يكتب في الخط القديم على صورة الإنسان.

فإن قلت: هلا ظهرت اليد الأخرى حتى تقرأ يمينًا ويسري.

قلنا: وإذا كتب كذلك كان أبلغ في المدح؛ ذلك أنه ثبت عنه ﷺ أنه كان ينظر من خلفه كما ينظر أمامه، فيصير يسار الخلف يمينًا لذلك الوجه المختص به ﷺ[1].

---

(1) وأخرج مالك في الموطأ في العمل في جامع الصلاة وأحمد والشيخان عن أبي هريرة مرفوعًا: «**أَتَرَوْن**»، وفي رواية قَال: «هَلْ تَرَوْن قِبْلَتِي هَا هُنَا -: أي مقابلتي ومواجهتي في جهة القبلة فقط - فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عليَّ خُشُوعُكُمْ وَلا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

وأخرج مسلم واللفظة له النسائي وابن خزيمة في صحيحه عنه أيضًا قال: «صلَّى بنا رسول الله ﷺ يومًا ثم انصرف فقال: يا فلان ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من وراء كما أبصر من بين يدي، ولفظ ابن خزيمة في آخره: «إنكم ترون أني لا أراكم: أي والله لأرى من خلف ظهري كما أرى من بين يدى».

وأخرج عبد الرزاق في جامعه والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم من حديثه أيضًا مرفوعًا: «إني لأنظر إلى ما ورائي كما أنظر إلى ما بين يدي».

وأخرج أحمد وعبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ من حديثه أيضًا: «والذي نفسي بيده إني لأنظر - زاد في رواية في الصلاة - إلى من ورائي، كما أنظر إلى من بين يدي فسوا صفوفكم، وأحسنوا ركوعكم وسجودكم».

وفي رواية لأحمد: «إني أنظر - أو قال: إني لأنظر - ما ورائي كما أنظر ما بين يدي..» الحديث.

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إني أراكم من وراء ظهري».

وأخرج أحمد والشيخان والنسائي عن أنس مرفوعًا: «**أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي إِذَا مَا رَكَعْتُمْ وَإِذَا مَا سَجَدْتُمْ**» هكذا ذكره السيوطي في الجامع عازيًا له لمن ذكر.

وقد أخرجه البخاري في مواضع منها في باب الخشوع في الصلاة ولفظه فيه وهو لمسلم أيضًا: «أقيموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعدي»، وربما قال: «من بعد ظهري إذا ركعتم وإذا سجدتم».

ومنها في باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة، وذكر القبلة، ولفظه فيه عن أنس بن مالك قال: صلَّى =

=
بنا النبي ﷺ صلاةً ثم رقى المنبر فقال في الصلاة وفي الركوع: «إني لأراكم من ورائي كما أراكم يعني من أمامي».
ومنها في باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ولفظه فيه حدَّثنا أنس قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري».
وقد عزى في الجمع هذا اللفظ للبخاري والنسائي، وابن حبان في صحيحه عن أنس.
ومنها في الترجمة قبل هذه ولفظه فيها: «أقيموا الصفوف فإني أراكم خلف ظهرى».
وأخرجه أيضًا مسلم في الصلاة بألفاظ منها قوله عن أنس أن نبي الله ﷺ قال: «أتموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم».
قال: وفي حديث سعيد: «إذا ركعتم وسجدتم».
ومنها قوله عن أنس قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفى. ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، قالوا: وما رأيت يا رسول الله، قال: رأيت الجنة والنار».
رؤيته عليه السلام لأصحابه من وراء ظهره رؤية حقيقية، ثم الرؤية المذكورة في هذه الأحاديث مذهب الجمهور، وهو الصواب المختار أنها على ظاهرها، وأنها رؤية حقيقية، وإدراكٌ حقيقيٌّ، اختص به ﷺ، انخرقت له فيه العادة، وعلى هذا عمل البخاري، فإنه أخرج هذا الحديث في علامات النبوة، وكذا نقل عن أحمد وغيره خلافًا لمن حمل الرؤية فيه على الرؤية القلبية، وهي رؤية البصيرة، وإن صح أو على العلم إما بوحي بأن يوحى إليه كيفية فعلهم، وإما بإلهامٍ بأن يلهمه الله تعالى حالتهم وهيأتهم، فإن ذلك بخلاف ما تظاهرت عليه الظواهر التي لا يحيلها عقل، ولا يعارضها شرع، ولو كان المراد العلم لم يقيد بقوله: (من وراء ظهري).
ومنهم من حملها على أنه كان يلتفت يمينًا وشمالاً التفاتًا يسيرًا، لا يلوي فيه عنقه، يدرك به حال من وراءه، ولا يخفى ما فيه من التكلف والعدول عن الظاهر بلا موجبٍ مع ما فيه من ارتكاب ما لا يليق بالمقام، وقد أنكره أحمد على قائله، والظاهر أنها كانت من غير عضو ولا مقابلة، ولا شيء مما جرت به العادة بناء على مذهب أهل الحق، وهم أهل السُّنة من أن الرؤية لا يشترط لها عقلاً عضو مخصوص، ولا مقابلة، ولا شعاع، ولا تتوقف على ضوءٍ، ولا على قربٍ، كما لا تتوقف على الآلة المخصوصة التي هي العين، وإنما هذه أمورٌ عاديةٌ يجوز عقلاً حصول الإدراك مع عدمها، ولذا حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، خلافًا لأهل البدع بوقوفهم مع العادة.
وجوز بعضهم كونها برؤية عينية، وإنه انخرقت له فيهما العادة أيضًا، وصحَّح آخرون كونها بعين خلف ظهره يرى بها من ورائه، لا يحجبها الثياب ولا غيرها، وبعض المتكلمين أن تكون بإدراك خلق له في القفا أعم من كونه في بنية أم لا أخذًا من قوله في بعض الروايات: «إني لأبصر من قفايا كما أبصر من بين
=

=

يدي».

وقيل: كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط يبصر بهما، لا يحجبهما أيضًا ثوب ولا غيره، قاله مختار بن محمود الحنفي الزاهدي شارح القدوري من الحنفية.

ورده أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني قائلاً هذا مع ما وصف به من كمال الخلقة يشين، ولو أن إنسانًا كانت له عينان في قفاه لكان أقبح شيء، وخيال غيره هو قول مرغوب عنه بل ساقط، ونازع بعضهم فيه، وفي القولين قبله بأنها تحتاج لتوقيفٍ من الشارع.

ورواية: (من قفايا) ليست نصًّا في المراد.

وقيل: بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته، كما تنطبع في المرآة، فترى أمثلتهم فيها فيشاهد أفعالهم، ورد بأنه يحتاج أيضًا إلى توقيف، وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة.

ويؤيِّده ما أخرجه الحميدي في مسنده، وابن المنذر في تفسيره، والبيهقي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: 219]، قال: كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

ويحتمل أن يكون ذلك واقعًا في جميع أحواله ﷺ وهو الظاهر، ومذهب أهل الباطن، ومحققي أهل الباطن، ونُقل عن مجاهد أيضًا وعن جمعٍ من المتقدمين، وعللوه بأنه إنما كان يبصر من خلفه؛ لأنه كان يرى من كل جهة؛ لأنه كان كله نورًا، وقد ثبت مثله لكثيرٍ من خواص أمته، وما ذاك إلا بما أمدَّهم الله به من نور مشكاته المفاض عليهم.

وفي الفتوحات في الباب التاسع والستين في معرفة أسرار الصلاة وعمومها ما نصه:

اعلم أن النبي ﷺ كله وجه بلا قفا، فإنه قال ﷺ: «إني أراكم من خلف ظهري»، فأثبت الرؤية لحاله ومقامه، فثبتت الوجهية له، وذكر الخلف والظهر لبشريته ﷺ، فإنهم ما يرون رؤيته ويرون خلفه وظهره ﷺ، ولما ورثته ﷺ في هذا المقام، وكانت لي هذه الحالة:

كنت أصلِّي بالناس بالمسجد الأزهر بمدينة فاس، قلت: وهو المعروف الآن بمسجد عين الخيل، قال: فإذا دخلت المحراب أرجع بذاتي كلها عينًا واحدًا، فأرى من جميع جهاتي كما أرى قبلتي، لا يخفى على الداخل ولا الخارج، ولا واحد من الجماعة حتى إنه ربما يسهو من أدرك معي ركعة من الصلاة، فإذا سلمت ورددت وجهي إلى الجماعة أدعوا أرى ذلك الرجل يجبر ما فاته فيخل بركعة، فأقول له: فاتتك كذا وكذا، فيتم صلاته ويتذكر، فلا يعرف هذه الأشياء، ولا هذه الأحوال إلا من ذاقها، انتهى منها بلفظها.

وفي نزهة الزاد وبغية الحاوي للعارف بالله القطب سيدي المختار بن أحمد الكنتي في الباب الخامس في بدء الوحي والإسراء ما نصه:

ثبت عنه ﷺ أنه لما حمل على الرفرف والتمع بصره جعل يرى بجميع بدنه، فيرى من أمامه كما يرى من خلفه، وكما يرى عن يمينه وشماله، وذلك بأن صار كله بصرًا، فحينئذٍ تأهل أن يرى ربه لما أمدَّه به من وضع يده بين كتفيه حتى وجد بردها على فؤاده، فعلم بذلك علومًا شتى، ثم قطرت نقطة العلم على قلبه

=

=

وفؤاده، فازداد علمًا على علم، انتهى المراد منه بلفظه.

وقال العارف الحفني في حاشيته على الجامع الصغير في الكلام على رواية: أتموا الركوع والسجود ما نصه: قوله لأراكم أي: رؤية إدراك وكشف قلبي، فلا تتوقف على وجود البصر، ولا على وجود الضوء، فهو خرقٌ للعادة.

قال: وهذا الإدراك حاصلٌ له ﷺ من حين رأى ربه ليلة الإسراء بعين بصره، وما قيل: (كان له ﷺ حدقتان في ظهره) رد بأن ذلك مشوه للخلقة، وقد كان سيدنا موسى يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء مسيرة عشرة أيام، وقيل: فراسخ من حين كلَّمه الله تعالى، ثم قال: فذاك الإدراك ليس بحدقتين في ظهره، كسم الخياط لا يحجبهما الثياب، كما قال بعضهم فإنه لا أصل له؛ إذ هو مشوه، وليس هذا خاص بالصلاة انتهى.

وفي فيض القدير في حديث: «أتموا الصفوف» ما نصه: قال في المطامح في أبي داود عن معاوية ما يدل على أن هذا كان في أواخر عمره.

ولذا قال عياض: كان ذلك له بعد ليلة الإسراء كما كان موسى يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء من عشرة فراسخ بعد ليلة الطور، انتهى منه بلفظه.

قال الشيخ جعفر الكتاني: وعياض ذكر هذا في الشفا في فصل وفور عقله ﷺ من الباب الثاني فراجعه.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنهما أنها سُئلت عن هذا الإدراك، فقالت: «زيادة زاده الله إيَّاها في حجته»، وهو بضم الهاء، يعني في معجزته.

وضبط بعضهم لها وهو بفتحها على أن معناه أن هذه الزيادة إنما وقعت له في آخر عمره في حجة الوداع، غير صحيحٍ.

مراقبة النبي ﷺ لأصحابه، وقد ذكروا من جملة فوائد هذه الأحاديث مراقبة النبي ﷺ لأصحابه في حالة الصلاة، كما أنه كان يراقبهم في غيرها من الأحوال سرًّا وعلانيةً، ظاهرًا وباطنًا، غيبةً وحضورًا، وقد كان على قدمه في هذا كبار العارفين والأولياء، حتى كان الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ كثيرًا ما يقول لأصحابه على كرسيه: إني أراكم كالزجاجات.

وكم من مريدٍ أراد أن يرتكب بعض المحرمات وهو غائبٌ عن شيخه، فخرج عليه ومنعه من ذلك، وقضاياهم في هذا كثيرة:

**منها**: إنه وقع لعارف أن مريده أراد الزِّنا بامرأةٍ، فلما همَّ سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة يقول له: هكذا تفعل يا فلان، ففرَّ هاربًا.

ووقع لآخر مع مريده في نظير هذا أنه ما شعر إذ هم إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره، فخرج وأمر من جاء به إلى الشيخ، فقال: ادعُ الله لي أن يرد بصري، فإني تائبٌ إلى الله تعالى، فقال: نعم، ولكن لا تموت إلا أعمى، فدعى له فردَّ عليه بصره، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام.

ووقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني أنه كان له تلميذ بالعجم فهمَّ بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبقابه

=

ولهذا قال بعض العارفين: لا يصح أن يُقال له يسار؛ بل يُقال له اليمين الأول واليمين الثني أو يمين وجهه ويمين خلفه، هذا أدب أهل الحقيقة.

ويؤيد مقالنا ما قال أستاذنا:

=

مع زجر وغضب بحضرة الفقراء، فلم يدروا ما الخبر، حتى قدم الشخص العجمي بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبًا.

أمدَّنا الله تعالى بمدد أوليائه، ومنّ علينا بسلوك سبيل أصفيائه آمين.

وقد حكى بقى بن مخلد عن عائشة أنه ﷺ كان يبصر ويرى في الظلمة، كما يبصر ويرى في الضوء، وهذا أخرجه عنها البيهقي، وابن عدي، وابن عساكر، وإسناده ضعيفٌ.

وأخرج البيهقي أيضًا في الدلائل عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وهو أيضًا ضعيف ضعَّفه غير واحدٍ، لكنه حسن بشواهده، وما اشتهر من خبرٍ لا أعلم ما وراء جداري.

قال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه في فيض القدير في الكلام على حديث: «أتموا الصفوف» لا أصل له.

قال في الفيض ويعرض وروده: فالمراد به أنه لا يعلم الغيب إلا باطلاعه تعالى. انتهى وراجع ما تقدَّم في هذا الخبر، والله الهادي والمرشد بمنِّه.

وأخرج أحمد والشيخان والترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ، والنسائي، وأبو عوانة، وابن حبان في صحيحه عن جابر مرفوعًا قال: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُول:

«لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْت الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

وفي هذا انكشاف الأشياء له ﷺ عند التوجه والالتفات إليها بحقائقها وأحوالها ومتعلقاتها، ونظره بعين البصر والبصيرة إليها بحيث لا يغيب عن نظره شيء منها، وهذا واقع لغيره من أولياء الله تعالى، فكيف به ﷺ الذي كل نوال من نواله، وكل خير وفضل في العالمين منه، ومن أياديه وأفضاله.

وأخرج الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والحميدي والبخاري في مواضع منها علامات النبوة، ومسلم في الفتن، والعدني، وابن حماد في الفتن، وأبو عوانة، والحاكم في المستدرك، عن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَال: «هَلْ تَرَوْن مَا أرى إِنِّي لأَرَى مَوَاقِع الْفِتَنِ خِلاَل بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»

وفي رواية: «إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كموقع القطر».

وفي أخرى: «إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر».

وانظر: كتابنا أنوار النبي ﷺ أسرارها وأنواعها لابن سبعين بشرحنا.

لـو أبصـرَ الشـيطانُ طلعـةَ نـوره  في وجـه آدم كـانَ أولَ مَـن سـجدَ

وهو ﷺ نور كل الرسل والأنبياء، وجميع أهل الصلاح من الأتقياء.

عيسـى وآدمُ والصـدورُ جميعهم  هـــم أعـــيْنُ هـــو نورهـــا لمـــا وردْ

وذلك أنه ﷺ جمع الله له نور الأنبياء وإرشاد الرسل وهداية الأولياء، ثم اختصه بنور الختم[1].

---

(1) قلت: قال الشيخ القونوي: ختم نبوة التشريع ورسالته فلا يوجد بعده نبي مشرع أصلاً، وهو سيدنا محمد ﷺ وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40].

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين ما نصه:

اعلم أن سيدنا محمدًا ﷺ خاتم جميع الأنبياء والمرسلين، ومعنى ذلك أنه ذائق لمشرب كل نبيٍّ، وكل رسولٍ ممن تقدمه، فهو جامعٌ لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين، ولهذا جاء بتصديقهم كلهم، وأفصح عن مقاماتهم ومراتبهم، وكشف له عن أحوالهم كلها، وتنزلت أخبارهم على نفسه بما تلاه علينا من القرآن العظيم، فنبوته أصل لجميع النبوات، والنبوات فرعٌ عن نبوته، ولهذا قال عليه السلام: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين».

وبقية الأنبياء عليهم السلام إنما كانوا نبيين حين بُعثوا لا قبل ذلك، فأصل مشارب الأنبياء كلها، وهي روحانياتهم الفاضلة، كالمياة المنقسمة مجموعة في مشرب محمد ﷺ الجامع الذي هو روحانيته التي بدأ الله تعالى بها الوجود، كما ورد أنه أول ما خلق الله نور محمد ﷺ من نوره تعالى، والحديث في ذلك طويل، ثم لما خلق الله طينة آدم عليه السلام، وسواه أجرى ماء روحانية آدم من مشرب محمد ﷺ الجامع، وكذلك حين خلق طينة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وبقية المرسلين عليهم السلام على حسب ترتيب خلق طيناتهم في هذا الوجود أجرى الله تعالى مياه روحانياتهم التي هي مشاربهم الخاصة من ماء روحانية محمد ﷺ التي هي مشربه الجامع، ثم لما خلق الله تعالى طينة محمد ﷺ أجرى ماء روحانيته، الجامعة في طينته المخصوصة ﷺ، فظهر في هذا الوجود مرتين مرة بطريق التفصيل في أطوار رقائق الأنبياء والمرسلين قبله، ومرة بطريق الإجمال.

ومعلوم أن الإجمال بعد التفصيل، ولهذا ختمت به النبوة، فلا نبي بعده لتمام التفصيل بإجماله ﷺ، انتهى منه بلفظه.

وقلت: فهو ﷺ النسخة الصغرى وهي العبد الكامل الذي كان مظهرًا لكل اسمٍ إلهيٍّ من غير أن يغلب =

**وهاهنا لطيفة:** وهي أن اسم محمد، الميم الأول منه، إذا قلت ميم كان ثلاثة أحرف

=

عليه اسم من الأسماء، ويُسمَّى من وجه بالخليفة والنائب، وهو الرداء على الحق، وقد يستهلك بالحق بحيث لا يظهر له وجود عين أصلاً، فيكون حقًّا كله والانفعالات تقع منه من غير أن تنسب إلى شيءٍ من وجوده.

وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «واجعلنى نورًا»: أي حقًّا يظهر في كل شيءٍ ولا أظهر بشىء، وقد يستهلك الحق به، فكل شيءٍ يُنسب لوجوده، ويكون هو المرتدي والحق رداءه، فالمرتدي هو المستهلك فيه، فإذا كان العبد رداء كان هو الظاهر والحق باطن، وإذا كان الحق رداء فالأمر بالعكس.

وقد أشار حضرة الشيخ الأكبر إلى هذا في المسائل الترمذية بقوله: أنا البرداء، أنا السر الذي ظهرت في ظلمة الكون؛ إذ صيرتها نورًا، فهذا الخليفة مع صغر حجمه جمع مظهره وعينه كل مظهر، وعين من العلوي والسفلي، فما من شيءٍ إلا وهو تفصيله وجزء منه، بمعنى أن فيه أنموذج كل شيءٍ كما سيذكر، إلا أن الأشياء أجزاؤه حقيقة كما يتوهم، بل هو مبدأ الآثار في كل شيءٍ.

وتمام هذه النسخة المظهر المحمدي الأتم، وكون غيره من الكُمَّل متحققًا بهذه النسخة، باعتبار أنه مظهر من مظاهره ﷺ التي تفرَّعت عنها النسخة الكبرى، أعني هذا العالم الكبير الهضل، فإنه بأجمعه تفصيل مظهره ﷺ في كل مرتبةٍ.

أما في الأعيان والصور فلما قدمناه من أنه أول تعين للحق تعالى، مشتمل ومنطوٍ على كل حقيقة إلهية وكونية، فهو كجنس الأجناس لها.

وأما في الأرواح فلأن روحه العقل الأول الذي خلق الله به السماوات والأرض، بل أوجد به كل العالم، وهو مجمل كلي منطوٍ على كل روحٍ وعقلٍ ونفسٍ.

وأما في المثال فكذلك لجمع خياله.

وأما في الطبيعيات فكذلك، فإنه ظهر بصورة الهباء هيولي الكل، واستوى على العرش، ومنه تفصلت الأشياء حتى انتهى الحال إلى هذا النوع الإنساني الحسي الجامع لكل ما عداه، وهو هذه النسخة، بل هو الذي كان للحق بمنزلة إنسان العين من العين، فبه يرى جميع ما سواه، فالأمر في كل المراتب جملي ثم يتفصل.

والجملي هو النسخة الصغرى، وما تفصل منه وتفرع هو النسخة الكبرى، نظير ذلك نقطة البسملة والقرآن العظيم الجامع. وانظر: أنوار النبي لابن سبعين بشرحنا (ص137).

والحاء حرفان حاء وألف، والهمزة لا تعدُّ؛ لأنها ألف، والميمان المضعفان، كذلك ستة أحرف، والدال كذلك، دال ألف لام، فإذا عددت حروف اسمه كلها ظاهرها وباطنها حصل لك من العدد ثلاثمائة وأربعة عشر، على عدد الرسل الجامعين للنبوة، ويبقى واحد من العدد هو: مقام الولاية المفرق على جميع الأولياء والصالحين التابعين للأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

**وهاهنا دقيقة:** وهي كونه لم يبق الأولياء من العددَ إلا الفرد؛ لأن فيهم الأفراد الذين اختصوا في التحقيق بالانفراد، أولئك الآحاد، الواحد منهم يجعله الحق في كيانه جامعًا لنور زمانه، وهذه الدقيقة الفردية، من الحقيقة الجامعة المحمدية.

ولـــيس علـــى الله بمســـتنكرٍ أنْ يجمـــع العـــالمُ في واحـــدٍ

**حل معمى اللغز:** قال عارف: النبي مشرَّع للعموم، والوليّ مشرَّع للخصوص.

قلنا: أي الرسول النبي الولي مبين للعوام برسالته، ومبين للخواص بولايته، لا أن الولي يشرِّع الأحكام الشريعة لكن تتبين له الحقائق الكشفية بطريق الوراثة للأنبياء، وهذا لا ينكر على السادة الأولياء.

**فتح طلسم الكنز:** قال عارف: الخضرية مقام فأنكر عليه هذا الكلام.

قلنا: الولي المحبوب المطلع على الغيوب، يعطي من الكرامات ما كان للخضر من المعجزات، وذلك عند الوراثة الخضرية قبل الوارثة الموسوية، والوارثة مقام، فافهم يا منكر الكلام.

**حل معمى اللغز:** قال العارف: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

قلنا: إمكان الحكمة الإلهية لا إمكان القدرة الربانية، وهذا اللائق بفهم كلام هذا الإمام حجة الإسلام.

**فتح طلسم الكنز:** قال عارف: أخبرني قلبي عن ربي.

قال: مَن أنكرَ أن الله تعالىلم يكلم إلا موسى الأكبر.

قلنا: موسى عليه السلام، اختصه الله بالكلام، والولي يمنحه الله خبر الإلهام هو وحي الأولياء الذي هو دون وحي الأنبياء، ففرْق بين خَبَّر وكلَّم، يا من أنكر وتوهَّم.

**حل معمَّى اللغز**: قال عليّ بن أبي طالب ﷺ:

أتحسبُ أنَّكَ جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

قلنا: الإنسان يوازي الكيان، وذلك أن الحكيم سبحانه وتعالى لما ركَّب العالم العلوي جعل الأفلاك فيه تسع طباق بعضها فوق بعض، وجعل في كل طبقة جنسًا من الملائكة.

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:20].

وكذلك ركّب بنية الإنسان من تسع جواهر بعضها فرق بعض، وجعل في كل واحدة من القوى والحركة الدائمة كالنبض ما لا يفُتر عن الحركة إلى وفاء المدة وهي العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والشحم والجلد والشعر، وكل جوهر منها يزيد وينمو.

ولما كان الفلك مقسومًا لاثني عشر برجًا، كذلك في بنية الإنسان اثنى عشر ثقبًا مماثلة لها وهي العينان والأذنان والمنخران والثديان والسبيلان والفم والسرَّة، ولما كانت منها ستة شمالية وستة جنونية، كذلك انقسمت الأثقب ستة في الجانب الأيمن، وستة في الجانب الأيسر.

ولما كان في الفلك سبع كواكب سيارة، كذلك وجد في الإنسان سبع قوى يكون بها صلاح الجسد.

ولما كانت هذه الكواكب أعطيت من باريها الفعل بروحانيتها في النفوس، كذلك جعل في جسد الإنسان سبع قوى جسمانية وهي: القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغازية والنامية والمصورة، ثم جعل فيه سبع قوى روحانية وهي: الباصرة والسامعة والذائقة والشامة واللامسة والناطقة والعاقلة.

ولما كانت تحت فلك القمر أربعة أركان وهي الأمهات أعني: النار والهواء والماء والأرض، وبهذه قوام الأشياء المولدة في الحيوان والنبات والمعدن.

كذلك وجد في بنية جسده أربعة أعضاء هي تمام جملة الإنسان، أولها الرأس ثم الصدر ثم البطن ثم جوفه إلى قدمه، فالرأس موازن للنار، والصدر موازن للهواء، والبطن موزان للماء، وجوفه إلى قدمه موازن للأرض.

**وبيان المشابهة**: إن الرأس إنما أشبه النار لأجل أشعة البصر وما يتصاعد إليه من أبخرة أنفاسه الحارة، والصدر شبه بركن الهواء لاستنشاقه الهواء وتردده في الرئة مرة إلى داخل ومرة

إلى خارج، ومرة يسكن ومرة يتحرك.

والبطن شُبه بالماء لما فيه من الرطوبات المائعات، ومن عَانته إلى قدمه شبه بالأرض لما فيه من العظام اليابسة الجامدة التي يكون المخ فيها مخفيًّا كما أخفيت المعادن في التراب واستقرار الثلاثة عليها، كذلك الرأس والصدر والبطن مستقرة جميعها على الرجلين.

ولما كان في العالم الشمس والقمر جعل في الإنسان روح وعقل، فالروح كالشمس، والعقل كالقمر، ولما كان فيه ملائكة وشياطين جعل في الإنسان إرادته ونياته الحسنة كالملائكة، وخواطره ونياته السيئة كالشياطين، إلى غير ذلك مما يكثر جلبه، ولا يسع هذه الكراريس كتبه.

فإذا تأمل اللبيب سرَّ حكمة بنية الإنسان، وانفتح له فيها أبواب النظر بالعرفان؛ علم يقينًا أن هذه النسخة الإنسانية نسخة كمال قوبل بها الحضرة الربانية:

يـــا تائهًـــا في مهمـــة عـــن ســـرِّه ارجـــع تجـــد فيـــك الوجـــودَ بأســـرِهِ

أنـــتَ الكمـــالُ حقيقـــةً وطريقـــةً يـــا حاويًـــا ســـرَّ الإلـــه بأســـرِهِ

* * *

## الكتاب الجامع لأنواع الحكم

**فائدة جامعة:** إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وإثباتها بدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة الحلوة ترقيق، ومراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق، والسلامة فيها من الاعتراض توفيق.

حِكم القدوس ألا يدخل حضرته أصحاب النفوس، فمن تطهَّر وتقدَّس، ولج عند ذلك وتأنس.

**لا إله إلا الله:** النفي كفران، والإثبات إيمان.

**محمد رسول الله:** فرقان.

فالكفران وصف المكذبين الضالين، والإيمان نعت الأبرار أصحاب اليمين، والفرقان وراثة الخاصة من المقربين، وقد ظهر في أول مظهر آدم أبي البشر النفي والإثبات؛ فلهذا إذا نظر إلى شماله بكى، وإذا نظر إلى يمينه ضحك، وذلك من سرِّ حضرة التضاد في ظهور الأسماء بالإضلال والهدى، وامتاز محمدﷺ بعرفانه على آبائه وأقرانه.

احذر أن تخرق سور الشرع، يا من لا يخرج عن عادة الطبع، ولا تقل أنا مطلق من الحدود، بما أعطيته من حضرة الشهود؛ فالذي دعاك نهاك وهو الملك المعبود.

نعم [بالفنا] فيما دعا ونهى تكن من أهل الكمال والنهى، أحبابنا أحبى بنا، أنجابنا أنجى بنا، مَن كان أصحى بي فهو عن أصحابي.

إذا انفرد المخصوص بخصائص العرفان صار غريبًا بين أهله في الأكوان.

نعم ولعظم همته ومرغوبه يقل مساعده على مطلوبه.

غريبٌ عن الأوطانِ في كلِ بلدةٍ  إذا عظمَ المطلوبُ قلَّ المساعدُ

إذا كملت المشاكل المعنوية، تغرب صاحبها بين الأشكال الجنسية.

وما غربةُ الإنسانِ في شقةٍ  ولكنها والله في عدمِ الشكلِ

العاقل اللبيب منفرد غريب، لا يتجاوز هو وإخوته جمع القلة، في كل وقت ودين وملة:

لكلِ امرئٍ شكلٍ من الناسِ  فأكثرَ شكلاً أقلهم عقلاً

وكـلُ أنـاسٍ يـألفون لشـكلهم وأكثرهم عقلاً أقلهم شكلاً

قال النبي ﷺ: «**الأرواح جنودٌ مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[1] فموجب أخوة الائتلاف، موافقة الطبع والأوصاف سيما إذا ارتفع العناد، ووافق الإمداد:

لعمـرك مـا الإخـوان إخـوان نطفـة تصـور في الأرحـام في عـالم الجسـد

ولكنما الإخوان من كان وصفهم يطـابق وصـف الـروح في عـالم الأبـد

أخوك مَن وافقك في الأخلاق، وكان عنده ما عندك من الإشراق، فكان معك في حضرة البقاء، وموطن السعادة باللقاء.

فإن قلت: ما معنى قوله ﷺ: «**حب الوطن من الإيمان**»[2].

قلت: الموطن موطنان: موطن أهل الجنان، وموطن أهل شهود البيان، فالجناني لأهل اليمين، والعياني للمقرَّبين، وفي الأول قول بعضهم:

فحـي علـى جنـاتِ عـدنٍ فإنهـا مـا زلنـا الأولى وفيهـا المخـيمُ

ولكننـا سـبي العـدو فهـل تـرى نعـودُ إلى أوطانِنـا ونسـلمُ

وفي الثاني: نفح لسان الوارد، بنفحة من نفحات الموارد:

ومـا مـوطنُ الإنسـانِ إلا بالعـالمِ بـه الـراحُ تجلـى والحبيـبُ منـا دمٌ

بحضـرةِ أنـس الله في عـالمِ البقـا فتلك هي الأوطانُ والكونُ خادمٌ

لا أقول مَن أخلد به الطبع إلى السلفيات، ولم يَرَ بارقة من نور العلويات فقال، وعن عادته ما حال:

بـلادٌ بهـا نيطـت علـيَّ تمـائمي أوَّلَ أرضٍ مَـس جلـدي ترابهـا

ولا قول ابن الرومي الشاعر، فإنه لم يشعر بما حققناه من المشاعر؛ بل استرقته عوائد الصبا، وبعد شيخوخته حَنَّ إليها وصبا.

(1) رواه البخاري (213/3)، ومسلم (2031/4).
(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (413/1)، والقاري في المصنوع (91/1).

فأنشد:

وحبب أوطانَ الرجالِ إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهودُ الصبا فيها فحنوا لذلكا

وبهذا التقرير يندفع التحرير لأشكال سؤال القائل، إن الوطن لا يحب إذا كان محلاً للكفر والباطل، المريد يريد في بدايته الوصل، والمراد يستوي عنده الوصل والفصل:

وكنت قديمًا أطلبُ الوصلَ منهمُ فلمَّا أتاني العلمُ وارتفع الجهلُ

تيقنتُ أن العبدَ لا طلبٌ لَه فإن وصلوا فضْلٌ وإن بعدوا عدلٌ

وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن سَتروا فالسترُ من أجلهم يجلو

وهذا هو أدب العبودية بين يدي عزِّ الربوبية.

العبودية انقياد مع التسليم، ومشي على الصراط المستقيم.

العبودية وصف العبد الفاني بمحبوبه، المستعذب مُرَّ الملام لأجل قصده ومرغوبه.

وهان على اللومِ في جنبِ حبها وقولُ الأعادي إنني لخليعُ

أصمُّ إذا نُوديت باسمي وإنني إذا قيل لي يا عبدها لسميعُ

العبودية فناء أوصاف الشاهد بالمشهود، مع وصف البقاء المبقي للقيام بأدب الحدود.

والعبد من لا بَرَاح له عن الباب، ولا يزال خاضعًا على الأعتاب.

علامة العبد الذليل لمولاه أن يكون راغبًا طالبًا لرضاه، باكي العين، خشية البين.

ولما تبدَّى لي من السجفِ حاجبُ ومقلةُ ليلي من وراءِ نقابها

بعثتُ برسلِ الدمعِ بيني وبينها لتأذن في قربي وتقبيلُ بابها

فما أذنت إلا بإغماضِ طرفها ولا سمحت إلا بلثمِ ترابها

زار محبوب محبًّا، وكان المحبوب مُغبًّا، والمحب معبًّا، فأنشد العاشق سرورًا، لما أشرق له جمال المعشوق نورًا:

لو علمنا مجيئكم لفرشْنا مهجَ النفوسِ في قَوامِ القدودِ

وبسطنا على الطريقِ خدودًا ليكون الممرُّ فوق الخدودِ

ائتلاف القلوب هو علة ائتلاف المحب والمحبوب، ألا ترى من يحنو القلب عليه، كيف يحنّ ذلك إليه.

سَلُوا عن مودَّاتِ الرجالِ قلوبكم فتلك شهودُ لم تكن تقبل الرشا

ولا تسألون عنها العيونَ فإنها تشير بشيءٍ ضد ما أضمر الحشا

لما تطابقت الأرواح، وافق شنُّها طبقة الأشباح، لذلك كان من علامة هذا الذوق ودليله، دلالة الأخ على أخيه وخليله.

وإذا أردت ترى فضيلةَ صاحبٍ فانظر بعينِ البحثِ عن ندمائه

فالمرءُ مطوي على علاّتِه طيُّ الكتابِ وصحبه عنوانه

لا تغتر بصحبة المجالسة، إن لم تتفق المجانسة؛ فربما حصل الفرار بعد طول القرار.

مَن لم تُجانسه فَاحذر أنْ تُجالسه فالسَّمعُ أفتنه مِن صحبةِ الفطنِ

الرجل من عرف الزمان، ووزن أهله بالميزان، وعاملهم بقدر بضائع عقولهم، وحدثهم بحسب فهمهم ومعقولهم.

زمانُ كلُ حبٍ فيه حبُّ فطعمُ الخلِّ خَل لو يُذاقُ

له سرقُ بضاعته نفاقُ فنافق فالنفاقُ لَه نفَّاقُ

أعي نفاق المداراة بلطف العبارات.

الحكيم من يبيع التجار بضائعها، ويضع الأشياء مواضعها، ومن كان بهذا الوصف لا يندم على فعله بل يسر بجعل الشيء في محله.

وأصبحت مغبوطًا على بيعِ صفقتي كذا من يبيع الشيءَ في وقتِ سوقه

لا تستعمل ماء الحقيقة فيما تريد، يحجبك الحق عنه فيما يريد، بل استعمله فيما أمر به سبحانه ونهى، تكن من أهل الكمال والنُّهى، لون الماء لون إنائه، لا الإناء بوصف مائه صحبة الرجال بالصفاء والفتوة، والسخاء والاحتمال والمروَّة.

إذا أنت صاحبت الرجالَ فكنْ فتى كأنـــك مملـــوكٌ لكـــلِّ صـــديقِ

وكُـنْ مثـل طعـمِ المـاءِ عـذبًا وبَـاردًا علـى الكبـدِ الحـريِّ لكـلِّ رفيـقِ

شتان بين ناقص ارتفع في كفة الميزان، وبين كامل انخفض في كفة الرجحان.

قالت علاَ الناسُ إلا أنت قلتُ لها كـذاك يسـفلُ في الميـزانِ مـا رجحـا

شرف الدين أعظم مرتبة قصوى، وأكرم حسب عند الله التقوى.

لعمـرك مـا الإنسـانُ إلا ابـن دينـه فلا تترك التقوى اتكالاً على النسبِ

فقـد رفـع الإسـلامُ سـلمانَ فـارسٌ وقـد وضـعَ الإشـراكُ قـدرَ أبي لهـبِ

من ادَّعى مقام الكبار أمحن بالاختبار:

مـــن تحلَّـــى بغـــيرِ مـــا هـــو فيـــه فضـــــحته شـــــواهدُ الامتحـــــانِ

المرء مخبوء تحت لسانه، وجوهر عقله في صدف كيانه، وبعد الامتحان يكرم المرء أو يُهان.

واعلـم بـأنَّ التـبرَ في عـرقِ الثـرى خـــافٍ إلى أنْ يســـتثار بنبشـــه

وفضـــيلةُ الـــدينارِ يظهـــرُ ســـرها مِـن حكمـه لا مِـن ملاحـةِ نقشـه

مـا إنْ يضـرُّ الغضـبُ كـون قِرابـه خِلفًـــا ولا البـــاري حقـــارةُ عشـــه

وقال الآخر:

مَـا ضَـرَّنِي إنْ لم أكـنْ متقـدمًا فالســـبقُ يعـــرفُ آخـــرَ المضـــمارِ

فلـئن غـدا ربـع البلاغـةِ دراسًـا فلـــرب كنـــز في أســـاسِ جـــدارِ

لا ننتقص من جاء في آخر دورات الكيان، وقدمه فضله على الأفاضل والأقران.

فقـــد أخَّـــر الله النـــبي محمـــدًا وقدَّمَـــه في رتبـــةِ المـــدحِ والـــذكرِ

إذا اشتهرت خصوصية التعظيم والتبجيل، ولا تؤثر في مدح صاحبها أفعال التفضيل، إلا إذا قربت المساواة لا فيما يكون أقل من السموات.

أ لم ترَ أنَّ السيفَ ينقصُ قدره إذا قيلَ أنَّ السيفَ خير مِن العصا

يعدُّ من عيب المقال، مدحك المشتهر بأوصاف الكمال.

أسماؤه لم تزده معرفةً وإنما لذةُ ذكرناها

من استدل على ضرورة العيان بحجة البرهان، فذوقه سقيم، وفهمه عديم.

وليس يصحُّ فِي الأذهانِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

من رأيت طلعته منيرة، فاستدل بذلك على صفاء السريرة، سيما إذا قوبل بالقبول، من كل قائل مقبول.

وسنةُ الله مَن يخلص سريرته بأنْ يعظم بين الناسِ مشهده

فالوجه للقلبِ كالمرآةِ يظهره والقلبُ لوجه كالمشكاةِ يوقده

مرآةُ القلبِ الصافي تُخبرُ الناظرَ بالسرِّ الخافي

أصبحتُ في هيئةِ المرآةِ يخبرنا صفاؤها كل ما فينا مِن الكدرِ

البصيرُ بصيرُ البصيرةِ لا بصير الحدقةِ المنيرةِ

كم مِن بصيرٍ فاقدُ البصيرةَ إنْ كان يبصر قبله لا يبصرُ

عمرك يا هذا حقيقه، ما صحبْت فيه أهل الطريقة.

وما تفْضُل الأيامِ أخرى بذاتها ولكن أيام الملاحِ ملاحُ

أيام غفلتك ضياع، وأيام صحبتك للعارف انتفاع.

أفديك بل أيامُ دهري كلها تفدين أيامًا عرفتك فيها

أهنى العيش بصحبة أهل الوداد، بذلك يسَرُّ المرء بين العباد، فعليك بصحبة الموادد، ولو أنه واحد.

مَن لم يعشْ بين أقوامٍ يُسر بهم فدهره أبدًا همٌّ وأحزانُ

وأطيبُ العيشِ ما للنفسِ فيه هوى سَمُّ الخياطِ مع الأحبابِ ميدانُ

وأخبثُ العيشِ ما للنفسِ فيه أذى خضرُ الجنانِ مع الأعداءِ نيرانُ

الملحوظ بالتعظيم ترصده العيون بالوقار، لذلك ينبغي له صحبة الأبرار، ومباينة الأشرار، صونًا له من العثار، أهل الخصوصية مزهود فيهم في الحياة، متأسف عليهم بعد الممات.

المرءُ ما دامَ حيًّا يُستهانُ به ويعظمُ الرُّزءُ فيه حين يُفتقدُ

الغالب على أهل عصر الأفاضل، أنهم لا يثبتون لهم الفضائل، إلا إذا مات الواحد وبعدت به الدار، وشطَّ به المزار.

إذا رأيت نفسك معرضة عن أولياء الله فاعلم أنك مطرود عن الله، فلو أقبل عليك، لحببهم إليك.

أيها المعْرضُ عنا إنَّ إعراضك منَّا

لو أردناك جعلنا كل ما فيك يُرْدْنا

قال لسان حال عزة من تولىَّ، لمن أعوض عنه وتولىَّ:

قنعنا بنا عن كلِ مَن لا يُريدنا وإنْ كملت أخلاقه ونعوته

ومَن غابَ عنَّا حظه البين والعنا ومَن فاتَنَا يكفيه أنَّا نفوته

لو لم يلْقَ صاحبُ البعاد من الحسرات، إلاَّ ما فاته من القرب والملذات.

ارْضَ لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنْبٌ عقابه فيه

لو لم ينله مِن العذابِ سوى بعدك عنه لكان يكفيه

أصحاب الهمم العلية، لهم الجلب والدفع في البرية.

إنَّ الرجالَ إذا أرادوا واحدًا بعثوا الرسائلَ للقلوبِ بخاطرٍ

وكذلك هم في العكسِ يُحجَبُ عنهم بالحالِ سرًّا كل غرٍّ فاجِرٍ

عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل.

لعداوة مِن عَاقلٍ ذي فطنةٍ أحلى وأعذب مِن صداقةِ أحمقٍ

أصحاب الرخاء لهم في العدد كثرة، وصاحب الشدة لا يوجد إلا في الدرة.

وما أكثرُ الأصحابِ حين تعدهم لكـــــنهم في البائـــــاتِ قليـــــلُ

فقد القوم إخوان الوداد في سائر البلاد:

إني لأفـــــتحَ عيـــــني أفتحهـــــا علـى كثـير ولكـنْ لا أرى أحـدًا

هذا الزمان لا يوافي بصدق موافي:

وإذا صفا لـك مِـن زمانـك واحـدٌ فهـو المـرادُ وأيـن ذاك الواحـدُ

فيا أسفا على فقد الكامل الكبير، والفتى الحبر النحرير.

أتمـــنى علـــى الزمـــانِ محـــالاً أن تَـــرى مقتـــان طلعـــةُ حـــر

إذا صحبت فاصحب مولاك، ولا تعبأ بمن ناواك وعاداك؛ فإنه تعالى إن صح لك منه الوداد، أمنت به من سائر العباد.

فليـتَ الـذي بيـني وبينـك عـامرٌ وبيـــني وبـــينَ العـــالمين خـــرابٌ

إذا صحَّ منـك الـود يـا غايـةَ المـنى فكـلُّ الـذي فـوق الـترابِ تـرابٌ

إذا صحبت فتأدب مع المصحوب بالعلم، وعامله بالعفو والحلم.

اخمـد بحلمِـك مـا يذْكيـه ذو سفَهٍ مِـن نـارِ غيظـك واصـفح إنْ جَـنىَ

فـالحلمُ أفضلُ مـا ازدان اللبيبُ بـه والأخذُ بالعفوِ أحلى ما جنى جاني

كثرة اختبار الأكياس زهَّدتهم في كثير من الناس.

وزهـــدني في النـــاسِ معـــرفتي بهـــم وطولُ اختباري صاحبًا بعد صاحبِ

فلـــم تـــرني الأيـــامُ خـــلاًّ تسـرُّني مباديـــه إلاَّ ســـاءني في العواقـــبِ

التعارف سبق في الظهور قبل الظهور، لذلك ترى ميل الخاطر للخاطر قبل الكلام وائتلاف الأجسام، طال صمت الحكيم، فقيل هذا الصمت ذميم، فاعتذر عن حاله بحكمة قاله.

قالوا نراك تطيلُ الصمتَ قلتُ لهم ما طول صمتي من عيٍّ ولا خَرسِ

أأنثـرُ الـدُّرَ فـيمَن لـيس يعرفـه أم أنشرُ البَـزَّ بـين العمْـيِ في الغَلـسِ

الحكيم يطوي الغرائب عن غير أهلها، وينشرها في محلها خشية الملل، والوقوع في الزلل.

اطْوِ الغرائبَ عمَن ليس يعرفها فربمَا جرت الأقدامُ للزللِ

ولا تداو سقامًا لست تبرئه ممَن يخبّطُ تحت العيِّ والكسلِ

من طباع النفوس اللئيمة، ضَرُّ أرباب الأخلاق الكريمة، لما جبلت عليه من سوء الطباع، وعدم الندم والارتداع.

نفوسُ الأراذلِ مِن طبعها تصدُّ الأفاضلَ عن نفعِها

وردُّ العقاربَ عن لسعِها تكالف ما ليس في وسعِها

الحسنة بين السيئتين بين الإفراط الممل والتفريط المخلِّ.

توسَّط إذا ما رمت أمْرًا فإنَّه كلا طرفي قصْد الأمورِ ذميمٌ

لا تقع بكثرة الذنوب في الإياس، فهي عند العفو كالكناس.

اضرع إلى الله واسأله الوصول عني تنالُ قربًا فإنَّ الله وهَّابُ

لا تيأسُ وإنْ طَالَ الصدودُ فقد تجفى أناسٌ وهم في السرِّ أحبابُ

إذا ناديت وسمعت لا، فلا تكن ممن أعرض وسلا، بل علق رجاء أملك بمولاك، فإنه سبحانه يبلغك مناك.

استشعر اليأسُ في لا ثم يطلعني إشارةً في اعتناقِ اللامِ للألفِ

ومن هذا الباب قال بعض الأنجاب:

لما أجابَ بلا طمعتُ بوصله إذ حرفُ لا حرفان معتفقان

وكذا نعمَ بنعيمِ وصل آذَنتْ فنعمَ ولا في القولِ متفقان

كل يتكلم ملء فيه، كالإناء يرشح بما فيه.

كأنَّ فؤادي مجْمرٌ فيه عنبرُ على نارِ فكري واللسانُ يروِّحُ

ترجمُ عمَّا في ضميري مدامعي وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يرْشحُ

بِطرْقِ الفخَّارة الإنسان، تتبيَّن الأخلاق الباطنية.

المـــرءُ يختـــبرُ الإنـــاءَ بطَرقِـــه فـيرى الصـحيحَ بـه مِـن المصـدوعِ

إذا رأيت مَن يمنُّ بالفعال، ما تركه لما قال.

لنـــا محســـنٌ مـــا زالَ يتْبـــعُ بـــرَّه بمَـنٍّ وبـذْلُ الـبرِّ بـالمنِّ لا يسْـوى

تركنـــاه لا بغضًـــا ولا عـــن ملالـــةٍ ولكنْ لأجلِ المنِّ نستعملُ السلوى

مَن قابله الزمان بعبسة الإعراض، فلسوف يبسط له بشره ببلوغ الأغراض.

ألا ترى الدهر بين غيم وانقشاع، وخفض بأهله وارتفاع.

لا تخـشَ مِـن غـمٍّ كغمـيمُ عـارض فلسـوفَ يسـفرُ عـن إضـاءةِ بـدره

إنْ تمْتسُّ عـن عبـاسِ حالَـك راويًـا فكـــأنني بـــك راويًـــا عـــن بشـــره

ولقـد تمـرُّ الحادثـاتُ علـى الفـتى وتـــروحُ حـــتى لا تمـــرُّ بفكـــره

اخْش المعاداة ولو من الصغير، فمعظم النار من الشرر الصغير.

لا تحقـــرنَّ صـــغيرًا في محاربـــه إنَّ الذبابـةَ أدمـت مُقلـةَ الأسـدِ

من ازدرى الناس وقع في الباس:

وما ألباسَ إلا الناسُ فاحذر خيارَهم وجانب شرارَ القومِ ما دمت في الدهرِ

ليسَ بالحرصِ والحذقِ تنالُ الأرزاقَ بل بقسمةِ الخلاَّقِ الرزاقِ

ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحجا هلكن إذًا من جهلِهن البهائمُ

إذا رأيت مَن رُزق رزْق العلوم، وفُتحت له خزائن الفهوم؛ فلا تحاججة بنقل الطروس، ولا تحاوله بغيرة النفوس فإن المواهب تفوق المكاسب.

إذا أنكـــرَ الجهـــالُ حـــالي بقـــالهم وقـالوا طـروسُ الفقـه تشـهدُ بالنقـلِ

أقـــولُ لهـــم إنَّ العلـــومَ مواهـــبَ خصائصـها تغـني عـن النقـلِ والعقـلِ

شهد أهل العقول ماوراء النقول.

فقالوا: ليس هذا في الأسفار، فأنشدهم العارف حكمة الأشعار:

تركتُ أساطيرَ الطروسِ لمن وشي بما قلته عنه وتشهد بالزورِ

تراءى لها الواشي بما لا تريده وتظهر دعواه بظاهرِ مسطورِ

جاه الشريعة تنفيذ أقوالها بالأحكام، وجاه الحقيقة صولة أهلها بالحال على الحكام، يا من لحلاوة الأذواق ذاق، وبطيب الانتشاق شاق.

اسمع بحقِك روحَ الأمرِ عن ثقةٍ مِن مخبرِ القلبِ لا مِن مخبرِ الكتبِ

رواه ذو العلمِ عن عينِ اليقينِ كما بدا مِن الأفقِ الأعلى بلا كذبِ

تنزُّلاً مِن سمواتِ إلى أفقِ دان عن المقعدِ الأسنى مِن الرتبِ

إن قلت ما حقيقة الذوق؟

أقول لك: هو فوق الفوق، وقد حدَّه لساني، بما شهده عياني.

الذوق لطيف من الأرواح يبرزه معنى اللسان بما في القلب من حكم

خمرة الذَّوق تكسب اللطافة، وتمحو الكثافة، كؤوسها المعاني وحانها حضرة التداني، ودنّها العارف، وندمانها المعارف، وراووقها الصافي، ومرافقها الموافي، وخلاَّعها العقلاء وجلاَّسها النبلاء، بها تقلب الأعيان، وتبصر الأعيان، ويروى الظمآن، ويشبع الغرثان، ويمشي المقعد، وتنطق الصامت، ويظهر الخامل، ويحيي المائت.

ومقعدُ قومٍ قد مشى مِن شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثًا فأبصرا

وأخرسٌ لم ينطقُ ثمانين حجةً أدرنا عليه الراحَ يومًا فأخبرا

وآخرُ بين الناسِ لا يعرفُ الهوى سقى قطرةً مِن خمرنا فتحيرا

وميْتٌ دَعَا الساقي بِه فأجابه وسَبَّحَ للصهباءِ طوْعًا وكَبَّرا

فلو عاين الرهبان سرعةَ بعثه لصلوا لَه مثل المسيح وأكثرا

فخمرتنا النقوى وعاصرها الهوى وما عصرت في دن كسرى وقيصرا

صُفيت هذه الخمرة براووق التحقيق، وكافت كؤوسها على أهل الطريق، وقال خمَّارها

للأكياس، حين راقت في الكأس.

في حانتِنـــا مدامـــةٌ قـــد صـــفَت  في الكـأسِ تقـولُ هـل رأيـتم صـفتي
لـــو أبرزهـــا ديرهـــا مِـــن شـــفةٍ  كانت بدوائِها لدائي شَفتِ

مَن بالحق ذهب، فهو ذهب، إن الذي به الوله أنابه وله، من كان بالله غناه، ذهب عنه عناه، لم يجد الأفراح، من إذا وجد الإلْفَ راح، لا يستوي اللاه، وأهل الله؛ هذا بطاعته بان، وذاك بمعصيته بان.

ما كل من سلك البَر بَرّ، ولا من ركب البحر بَحْر، كن مع الحق بالحق، ومع الخلق بلاَ خلقْ، جناب الحق فسيح فسيح، إذا انتهيت انتهيت، فرْق بين قوم هم بأعمالهم أسرى وبين مدعوّ إلى حضرة القرب أسْرى، ما دامت نفسك بشهوتها تحت رق، فأنت أبدًا معها تحترق، باختلاف الأطوار، اختلفت الأوطار، نور بدرك إذا لاح، لم يَبؤ لَك مِنْ لاح، قال الجبان: الطريق مَهْمَه.

قال الشجاع: مه مه، شقان بين محب في باب ربه يتذلل، وبين محبوب على مولاه يتدلل، ألْف قِرىَ لمن أحب الفُقراء، أرقع خرقة الفقهاء، يا من بسوء ظنه مزَّقها، أيها المغتر بعقل الحجاب بنور الكشف الحجا آب، شتان بين من هو في اعتقاره فار، وبين من هو بانتقاده فار، قد سقاني مَن بَراني شرابًا شفاني به وبراني.

وهو الذي أوصى لي بصدقه على أوصالي، ولم يخيّب مَن أمَّ له فيما أمَّله، طابت خمرة الذوق، وطيَّبت النفوس لما شربها القوم بحضرة القدوس؛ لذلك تكرمت على الأرض في الطول منها والعرض.

شـــربنا شـــرابًا طيّبًـــا عنـــد طيـــبٍ  كـــذاك شـــرابُ الطيبـــين يطيـــب
شربنا وأهرقنا على الأرضِ فضلة  والأرضُ مـن كـأسِ الكـرامِ نصـيب

إذا كانت الإضافة لله سبحانه من باب إضافة الصفة للموصوف، وجب في ذلك تنزيه الذات، وإذا كانت من باب إضافة الأفعال للصفات اتسع المجال، ووجد العذر في المقال، فلا حرج إذا أضيفت صفة الملك للمالك، وصفة الخلق للخالق.

ومن باب إضافة صفة الخلق، للواحد الحق، تغزل بعضهم في صورة حسن الجمال المطلق، لا في حسن الصورة المقيَّدة بشخص من الخلق:

الـروضُ نضـرته لحسـنُك يشـهدُ والـوردُ جـاءَ لمـاءِ خـدُك يـوردُ
والآس يعشـقُ مِـن عـذارك خضـرة ويروقـــه ريحانـــه المتجعـــدُ
وعلـى قوامِـك حـين تخطـرُ مائسًـا تثـني غصـونُ البـانِ إذ تتـأوَّدُ
يـا واهـبَ الأكـوانِ عـينُ وجودِهـا وبحسـنِها شـهدت بأنَّـك موجـدُ
أشـغلتني عـني بمـا أبـديت لي فـرقيقتي بـالعلمِ لي تـتردُ
وجعلـت قلـبي منـزلاً بـك عـامرًا فإليـك طـرفي حـين يطـرفُ يسـجدُ

تنزَّهت الصفة الإلهية بالكمال والتقديس، وجلَّت عن أن يُضاف إليها وصف النقص والتدنيس، فكل مألوه اعتقد في إلهه حقيقة الكمال، وأثبت له ما يجب ونفى عنه ما يستحيل من الخلال، صيانة لنسبه جناب الربوبية، ووقاية للحضرة القدوسية، وسبب اختلاف المعتقدات، تضاد أطور التجليات بالهدى والضلال، لتتم مشيئة الفعَّال، بكثرة الصفات المؤثرات.

كثُرت صفاتُك في الورى فتفرَّقت بهـم إليـك مـذاهبُ وعقائـدُ
تـاللهِ مـا قصـدت سِـواكَ قلـوبهم بـلْ كلهـم لـك بالحقيقـةِ شـاهدُ

لكن أهل الاجتهاد في العقائد، المضيب فيهم على الحقيقة واحد، إذا كان طلب المغفرة من فرد واحد، فقد اتحدت المقاصد من كل قاصد، وإن اختلفوا في العبارات، وتباينوا في الإشارات.

بـرزوا لوجهِـك يـا كـريم بـدعوةِ ألفاظِهـا شـتى بمعـنى مفـردِ
فـاسمع بمغفـرةٍ تكـون لجمعِنـا زادًا إليـك غـداةُ يـومِ المشـهدِ

وإذا كان مقام الوصال في حضرة الاتصال يتفاوت بحسب الأحوال فقد تباين الطلب، واختلف الأرب، وتلونت العبارات بحسب الاعتبارات، وكان لكل أحد حضره، ومشاهدة ونظره، على قدر القبول في مقامات الوصول:

لَـيس مَـن لـوَّح بالوصـلِ لَـه كالـذي سـيرَ بـه حـتى وصَـل
لا ولا الواصـلُ عنـدي كالـذي قـرعَ البـابَ وللـدارِ دخـل

لا ولا الـداخلُ عنـدي كالـذي ســـاررروه وهـــو للســـرِ محـــل
لا ولا مَـــن ســـاررروه كالـــذي صـارَ إبـاهم فـدع عنـك الجـدل
فمحـــوه منـــه عنـــه فـــانمحى ثم لمـــــا أثبتـــــوه لمْ يـــــزل
ذاكَ شـــيءٌ علـــقَ القلـــب بـــه لَـــو تجلَّـــي مِنـــه للخلـــقِ قتـــل

إذا أردت التجلِّي فاحرص على الجَلاَ، تفُزْ بحلية التحلِّي بالحلا.

جَـــلالي صـــفو مـــرآةِ التجلِّـــي جمـــالاً جـــلَّ عـــن شـــبْهٍ ومَثـــلِ
فـــزاد القلـــبُ في فرحـــي ســـرورًا وحـــلاني بـــه فحليْـــتُ كلِّـــي

بحسْن سلوك مسالك التُّقى، يكون الترقي في مقامات البقا.

أما ترى بيدقَ الشطرنجِ أكسبه حســـنُ التنقـــلِ فِيهـــا فَـــوقَ رتبتـــه

السالك يترقى والجذوب يتدلَّى، كما أن الطائع يُقبل والعاصي يتولَّى، السالك يترقى درجة درجة إلى الحضرة، والمجذوب يؤخذ إليها بأول مرة، السالك يسلك على صراط مستقيم، والمجذوب عند القوم عقيم، لكن من المجاذيب مَن يردُّ إلى طرق التأديب فهذا الذي يلاقي في تدلِّية السالك في ترقيه المجذوب الصاحي أفضل من الممحوّ بصفة الماحي، السالك المجذوب له المحو والإثبات، والمجذوب عطَّله المحو عن الإثبات، المجذوب المحقق خلص بالحقيقة من الطبيعة والسالك المجذوب جمع بين الحقيقة والشريعة.

بـــينَ الحقيقـــةِ والشـــريعةِ جـــامعٌ متمســـــكٌ بـــــدعائمِ الفقهـــــاءِ

المجذوب فارق النفوس وخرج عن المحسوس، والسالك شهد حقائق الكثائف واللطائف، واجتنى من الكل ثمرات المعارف، والرجوع إلى الحسّ أوْلى في الآخرة والأولى، فالرجل من جمع بين السكر والصحو، والإثبات والمحو.

لا يجمـعُ الضـدَّ إلا مَـن لَـه قـدمٌ في الصـدقِ بـالحقِّ مِـن علـمٍ وتمكـينِ

جذب العبيد والعباد، يكون بحسب القبول والاستعداد، ربَّ مجذوب لا يدري فيم هو، وآخر مشاهد في حضرة ها هو، الجذب عناية، والسلوك ولاية، فمن حصل على أحدهما تشطَّر له النصيب، ومَن جمع بينهما كمل وقرَّبه الحبيب.

النفوس ثلاثة: أمَّارة ولوَّامة ومطمئنة.

فالأمَّارة: تماذج صاحب مقام الإسلام.

واللوَّامة: تصاحب صاحب مقام الإيمان.

والمطمئنة: تساكن سكينة صاحب مقام الإحسان.

هـذِّب الـنفسَ بـالعلومِ لترقـىَ وتـرى الكـلَّ فهـي للكـلِّ بيـتٌ

إنمـا الـنفس كالزجاجـةِ والعقـ ـل سـراج وحكمـةُ الله زيـتٌ

فـإذا أشـرقتَ فإنَّـك حـيٌّ وإذا أظلمـتَ فإنَّـك ميِّـتٌ

وحيث أطلق القوم النفس، فيريدون بذلك الروح الوضيع الحيواني، المباين للروح الرفيع الثوراني، محل الغفَلة واللهو، والفترة والسهو، مركز إشعال الطبيعة، الخبيثة النازلة الوضيعه قد علم القوم أنَّ رضا القدُّوس في مخالفة النفوس، لهذا عملوا على عداوة النفس الغبية، فأكرموا بالاطلاع على وسائسها الخفية.

إذا طالبتَ الـنفسُ يومًـا بشـهوةٍ وكَـانَ عليهـا للخـلاصِ طريـقُ

فخالف هواها ما استطعتَ فإنما هواهـا عـدوٌّ والخـلافُ صـديقُ

الروح[1] جسم لطيف مركب من الجواهر النورانية، ليس له قبل حلول الجسم صورة

(1) الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29]، وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجدة:9].

اعلم أن هذه الإضافة إضافة تشريف وإظهار بأنه خلقٌ عجيبٌ ومخلوق شريف، وإن له شأنًا لأنه جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه فصار بسبب ذلك حيًّا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

والروح اختلف العلماء هل يجوز الخوض فيها أم لا، فذهب قوم إلى أن الإمساك عنها أولى، وذهب آخرون إلى الكلام فيها، والمتكلمون فيها اختلفوا هل هي عرض أو جرم لطيف يحل بالأجرام، كحلول الماء في العود الأخضر، والحكماء يقولون هي اللطيفة المدبرة للجسد حيوانًا كان أو غيره، وهذه اللطيفة مختلفون فيها، فمنهم من قال: إنها الريح فهي عندهم في الحيوان روح، وفي الهوى ريح، فالأولى تحرك الحيوانات، والأخرى تحرك الجمادات، ومنهم من قال: إنها ماء الجسد المشتبك فيه اشتباك ماء العود الأخضر به، وهذا الماء عند الفلاسفة هو الدم، وعند غيرهم ما صحَّ منه التركيب البدني؛ لأنهم إذا ذهب ذهب تركيب البدن، وهذه الأقوال وإن كانت حقًّا فمن وراء حجاب عن حقيقتها، وحقيقتها هي التي

=

أجاب عنها تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: أي اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي هو روح البدن الإنساني، ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته، فأجيبوا بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85]: أي من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية، التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر، فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة؛ للاختصاص العلمي لا الإيجادي؛ لاشتراك الكل فيه، والمعنى أن الروح ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه للظاهرين البدنيين الذين لا يتجاوز إدراكهم عن الحس والمحسوس بالتشبيه ببعض ما شعروا به، والتوصيف بل من عالم الأمر الإبداع الذي هو عالم الذوات المجرَّدة عن الهيولي والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والأين، فلا يمكنهم إدراكه أيها المحجوبون بالكون؛ لقصور إدراككم وعلمكم، ولذلك قيل: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» إذ لا يمكن معرفتها حق المعرفة، وأقاويل العلماء والحكماء والصوفية كثيرة في ماهية الروح، وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله ﷻ وهو قول أهل السنة.

قال عبد الله بن بريده: إن الله لم يطلع على الروح ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً بدليل قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الذي استأثر به؛ لأنها من قول: (كن) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ [النحل:40].

واعلم أن الروح في الحقيقة روحان: روح القدس، وروح الأكوان، فروح القدس هو روح الأرواح، وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة (كن)، فلا يجوز أن يُقال فيه إنه مخلوقٌ؛ لأنه وجه خاصة من وجوه الحق، قام الوجود بذلك الوجه، فهو روحٌ لا كالأرواح؛ لأنه روح الله تعالى، وهو المنفوخ فيه من آدم.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:72]، فروح آدم مخلوق وروح الله ليس بمخلوقٍ، فهو روح القدس: أي أنه هو الروح المقدَّس عن النقائص الكينونية، وذلك الروح هو المعبَّر عنه بالوجه الإلهي في المخلوقات.

وهو المعبَّر عنه في الآية بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:115]، يعني هذا الروح المقدس الذي أقام الله به الوجود الكوني بوحدانيته، تولوا بأجسامكم في المحسوسات، أو بأفكاركم بالمعقولات.

فإن الروح المقدس متعين بكمالٍ فيه؛ لأنه عبارة عن الوجه الإلهي القائم بالوجود، فذلك الوجه في كل شيءٍ هو روح الله، وروح الشيء نفسه، فالوجود قائم بنفس الله، ونفسه ذاته، فتعالى الله عن المثل والشبيه، أو أن يدركه بعقله نبيه.

وروح الأكوان هو أن كل شيءٍ من المحسوسات له روح مخلوق قام به صورته، والروح لتلك الصورة كالمعنى للفظ لا يخلو منه كون ما، إلا إذا لم يدخل في كينونة (كن)، وتلك الروح كائنة من روح القدس، لا يصح كونها من غيره، ولا يصح كونها منه فافهم ثم تتعلم، وهو من أغرب ما يعلم أن الروح في دخولها في الجسد وحلولها فيه لا تفارق مكانها، ولكنها لما نظرت إلى الجسد حلَّت فيه؛ لأن من عادة الأرواح أن تحل فيما نظرت فيه من غير مفارقةٍ لمركبها، وهذا مما لا يُفهم إلا بالكشف الربَّاني، ولكني أمثله لك ليقرب من ذهنك يسيرًا، فهذا الحلول كحلول وجهك في المرآة من غير مفارقةٍ منك لموضعك وهو مجرد مثل.

وأما التفرقة فهي حاصلة من كل وجهٍ غير ذلك الحلول، وشهود تلك الروح القائمة بها الأكوان قدسًا

=

لبساطته في عالمه العلوي، فإذا حلَّ في الجسم اكتسب الصورة من المحل كذلك السعادة والشقاوة.

وهو حادث محدث لخالقه، ليس بقديم ولا يطرأ عليه فناء بعد خلقه، وهو من عالم الأمر الرباني.

قال الله تعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء:85].

والاطلاع على حقيقته عسير؛ لأنه من أسرار الله المضنون بها على الأكثرين من الخلق، وهو غريب في السفليات أهيلٌ في العلويات.

الـروحُ مـن نـور أمـر الله منشـؤها  الأرضُ منشـأُ هـذا القالـبُ البـدني

فـالروحُ في غربـةٍ والجسـمُ فِي وطـنٍ  فـارعوا زمَـامَ غريـب نـازحَ الـوطنَ

لكن نزل لتكملة العبودية في هذا العالم لعز الربوبية، فإذا حصل على المقصود عاد إلى حضرة واجب الوجود، سيما إذا أفيض عليه من نور الإشراق طار إليها بأجنحة الأشواق.

خلعـت هياكلهـا بجرعـاءِ الحمـى  فصـبت إلى المغـنى القـديمِ تشـوقا

فكأنهـا كانـتْ إضـاءةَ بـارقٍ  ثم انطـوى فكأنَّـه مـا أبرقـا

الرحلة رحلتان: رحلة الأرواح، ورحلة الأشباح.

فرحلة الأشباح: من مسافة إلى مسافة، ورحلة الأرواح: من الكثافة إلى اللطافة.

ألا أيُهـا العـاني برحلـةِ جسـمه  تـدورُ علـى الأكـوانِ في تيـه حـيرةِ

ترحـلُ إلى سِـرٍّ بـذاتِك يَـا فـتى  فأنـتَ هـو المقصـودُ مِـن كـلِّ رحلـةٍ

إذا كنت أيها الإنسان جامعًا لمعاني الأكوان، فلا تحتجب عنك بك فتهان؛ بل افهم حقائق العرفان ترقَ لخضرة العيان.

=

وكونًا هو البحر، الذي إذا شاهده الولي شاهد منه الأنبياء والأولياء والملائكة، وغير ذلك من كل روحٍ قائمةٍ في جسدها شهودًا لا تكون فيه تفرقة بين كبيرها وصغيرها، وكثيرها وقليلها، ولا ينجيه من الغرق فيه إلا سفينة الشريعة؛ لأنها ترد له كل شيءٍ إلا بما هو له ظاهرًا وباطنًا، فيحكم للكل بما حكم به ربه من وجود ظاهر وعدم باطن.

إذا كنتَ كرسيًّا وعرشًا وجنةً ونارًا وأفلاكًا تَدورُ وأملاكا
وكنتَ مِن الكلى نسخةُ كلِّه وأدركتَ هذا بالحقيقةِ إدراكا
ففيمَ التأني في الحضيصِ تثبطًا مقيمًا مع الأسرى أما آن إسراكا

غاية السير بالإسراء إلى شهود العين، بلا كيف ولا أين، وذلك إذا رفضت السوى ولم تخلط الحق بالمين.

رفضُ السوى فرضُ عين لا تخلِطُ الحقَ بالمينِ
والكيفُ بالأينِ سترٌ فاستغن عن كيفِ مع أينِ

الحضرة الإلهية مطهَّرة مقدَّسة، لا يدخلها من له أوصاف مدنسة، لم يطرقها من غير أهلها طارق، ولا تسور عليها لص ولا فاسق.

وليس جنابُ القدسِ إلا لأهله وما كُل إنسانٍ بواديه يسرحُ

تستُر أصحاب الكمال من الرجال هو الذي أوجب ظهور الجهال الأنذال.

لما أناخَ الليثُ في عرينه غنَّى البعوضُ وزمَّرَ الذبَّانُ

ومن هذا الوادي، قول من عليهم ينادي:

وإذا مَا خَلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحْده والنزالا

لما أصبح الزمان في النقص بائن كمال أهلية، وكأنه أبغض كل من حل منهم فيه، لا تلبس شهوة اللباس وتستر بما لبسه الناس، واسلك أعلى المسالك فقد قال الإمام مالك:

حسن ثيابكَ ما استطعت فإنَّها زينُ الرجالِ بها تعزُّ وتكرمُ
ودعْ التواضعَ في الثيابِ تخشنًا فالله يعلمُ ما تسرُّ وتكتمُ
فرثاث ثوبِكَ لا يزيدُكَ رفعةً عند الإله وأنتَ عبدٌ مجرمُ
وجديدُ ثوبِكَ لا يضرَّكَ بعدما تخشى الإله وتَتَّقِي مَا يحرمُ

لكن الإنكار على لبس ثوب الاشتهار.

لبس المرقع من الثياب سنة، والرضا به من الله منة.

إيَّـــاكَ والشـــهرةَ في ملـــبسٍ والـــبس مِـــن الأثـــوابِ أسمالَهـــا

تواضـــعُ الإنســـانِ في نفســـهِ أشـــرفُ للـــنفسِ وأسمـــى لهـــا

قال ﷺ: «**وإنما الأعمال بالنيات**»[1].

ولكلٍّ درجات بحسب المقاصد والمطالب لكل قاصدٍ وطالبٍ.

قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم**»[2].

لبس الخواص الجديد في التجريد، لما تجردوا عن الأخلاق الذميمة، وسلكوا الطريق المستقيمة، الإذن في ظاهر الشريعة عبارة عن اللفظ المشعر بالتخيير بين الفعل والترك دون اقتضائهما.

وقال ابن عطية: الإذن المضاف إلى الله في قوله:

(**بإذني**): هو التمكين من الشيء المأذون فيه فإن انضاف إليه قول، فهو الأمر، وفي باطن الحقيقة هو: نور يقع في القلب فيثلج له الصدر ينفرد به الخاصة، وليس بحجة لعقد العصمة.

وقد يطلق الإذن ويراد به إذن المشيئة العامة لجميع المكونات وهو ردّ الأشياء إلى مشيئة الله تعالى في الحركة والسكون بمعنى: أن لا تتحرك ذرة ولا تكن إلا بإذنه، وهذا الإذن لا تكون أحكامه حجة إذا صدرت على غير قانون الشريعة وآداب الحقيقة فافهم ذلك؛ تنْج من المهالك.

واعلم أنه بحسب السؤال يقع الجواب، وعلى قدر المخاطب يكون الخطاب.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات:164].

يا أولي الإدراك والفهوم من قبل لفظه في الأنام فقد أذن له في الكلام.

من رزق حلاوة العبارة ورشاقة الإشارة، أنستْ بكلامه الأسماع، وانطبع حبه في الطباع، إذا تدفقت جواهر المعاني من بحر الجنان، وقذفها على ساحل اللسان، تناولتها كفة ميزان

(1) رواه البخاري (3/1)، ومسلم (1515/3).
(2)رواه مسلم (1986/4)، وأحمد (284/2) بنحوه.

المنظوم والمنثور.

فتوجت بها الرؤوس ونحلَّت بها الصدور كلما مرَّ كلام المأذون له حلا، وكلما أعيد صقل وجَلا، وذلك لما اختص به من فصاحة اللسان، ودقة ذهنه في الأذهان.

ردَّتْ فصـــاحتُه ودفـــةُ ذهنِـــه وحـــشَ اللغـــاتِ أوانسًـــا بخطابـــه

كالنحـلُ ترعـى المـرُّ مِـن نبـتِ الربَـا فيصـيرُ شـهدًا مِـن طريـقِ رضـا بـه

من وجد القلب المنير، وتيسر له التعبير، فقد أذن له في المقال، عند أرباب الحال، ومن وجد المعاني ولم يجد العبارة؛ بذلك أمر بالكتمان عند أهل الإشارة، ربما اكتسى معنى المليح صورة اللفظ القبيح، فمجته آذان القوم، ونفرت منه في غد واليوم.

وقد قيل: سماع الألفاظ كمشاهدة الألحاظ، إذا انحرف الذوق عند الاعتدال لم يذق حلاوة كلام الرجال:

قـدْ تنكـرُ العـينُ ضـوءَ الشـمسِ مِـن وينكـرُ الفـمُ طعـمَ المـاءِ مِـن سـقمِ

كما يقع كثيرًا إنكار الفهم السقيم للقول الصحيح المستقيم:

وكـــمْ مِـــن عائـــبِ قـــولاً صـــحيحًا وآفتـــه مِـــن الفهـــمِ الســـقيمِ

يستطيب أجاج المحل، من لم يذق مجاج النحل، إذا رأيت في سواد الحبر خطًا، فلا توسع المقال وتمد الخطا؛ بل تأول الجميل، للرجل الجليل.

وقل كما قال فاضل من الأفاضل:

أخا العلمِ لا تعجلْ بعيبِ مصنفٍ ولم تتـــيقنْ زلـــةً منـــه تُعـــرفُ

فكـم أفسـدَ الـراوي كلامًـا بعقلِـه وكـمْ حـرَّفَ المنقـولُ قومًـا وصـحفوا

وكـمْ ناسـخ أضـحى لمعـنى منـيرًا وجـاءَ بشـيءٍ لمْ يـرده المصـنفُ

لا تنظر القذى في عير غيرك، وتترك الجذع في عينك تكن ممن سلك الطريق، واتبع السلف بالتوفيق الموفق البر، لا يؤذى الزر، يتأدب مع الكبير ويرحم الصغير.

ارحـــمْ أخـــي عبـــادَ الله كلهـــم وانظرْ إليهم بعينِ اللطفِ والشفقةِ

وقِّـــرْ كبـــيرهم وارحـــمْ صـــغيرَهم وراعِ في كـلِّ وجـه وجـه مَـن خلقَـه

الرحمة رحمتان: رحمة مختصة بوصف النعمة، ورحمة مرتبة بوضع الحكمة.

**فالأولى**: صرف جود وفضل.

**والثانية**: قد مازجها حكم حكمة وعدل.

مثال الأولى كمن أُدخل الجنة بغير حساب، والثانية كمن أُدخلها بعد العذاب، الرحمة المطلعة إحسان الربوبية لكل البرية، والرحمة الخاصة للخواص بالتوفيق على بساط التحقق الرحيم من الخلق.

من تخلق بوصف الرحمن الحق، المرحوم من العباد من حفظ في الدنيا من العار، وفي الآخرة من النار، التوكل اعتماد على الخالق، دون رؤية الخلائق.

ولا تمنع الأسباب، شهود الملك الوهاب، الحزر من الإنكار، لما لم تفهمه من الأسرار، من أنكر ما لم يجد حرم بركة ما وجد من رأيته كثير النكير، فهو فاقد للتنوير.

الاعتقاد مع التسليم صراط مستقيم، صاحب الإنكار قل أن يسلم من النار، وإن كان ولا بُدَّ، فالتسليم أسلم، لكن الاعتقاد أغنم.

المتشبه بحبه لا بُدَّ له من حبه، والمتشبه لأجل الأغراض نصيبه من الله الأغراض، طالب الدنيا بدينه محروم من الجنان وما فيها من الخيرات الحسان إذا واخذه الحكم العدل، وحرم رحمة الفضل، من نصيب شبكة الاحتيال على الدنيا بالدين، اصطاد بها خيبة الأمل عند المتقين.

العابد له حسنات هي للمقرب سيئات.

العابد في وهم وتقييد، والمقرب في فرح وتأييد.

العابد قلبه مغمور بحقائق المشاهدات.

ليس بالعبادة تنال السعادة، بل بالقسمة الأزلية، والعناية الربَّانية.

كَمْ عابدٍ قَد صَفَ أقدامه ... في الليلِ يبكي بالدموعِ السجامِ

وما لَه حظٌّ سوى أنَّه ... أشقاه مولاه بطولِ القيامِ

وكَمْ بعيد نالَ ما يُرتجى ... وحازَ في عقباه أعلى مقامِ

الوقت صار حكمة إليك، فصيِّره لك لا عليك.

إن صيَّرت وقتك تحت حكم الحال فحاله عنك ما حال.

الماضي من الوقت رمس، والمستقبل منه طمس، ولك حكم حال الوقت الذي أنت به، فيه انتبه المحبوب، ارتاح من تعب العنا بالعناية، ولبس خلع الولاء بالولاية.

يقول الله تعالى: «**يا جبريل أيقظ فلانًا فإني مشتاقٌ إليه، وأنم فلانًا فإني مشفق عليه**»[1].

تنزهت أبناء الأزل عن الوقوف مع العلل، لا تكن ممن يعبد ليعبد، ولا ممن يسود الجباه للجاه، بل اعبد الله لله، لا لعرض ولا لغرض.

أبناء الدنيا راجعوا على أهلها بالجاه والمال، وأبناء الآخرة راجوا بالحال في الحال والمآل.

الفراسة حكمية وشرعية، فالأولى تعلم بالعلامات، والثانية تكشف بالمكاشفات.

فراسة الحكيم تعليمية، وفراسة المؤمن نورانية.

قال ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[2] .

علم اليقين يحصل عن قاطع البرهان، وعين اليقين يحصل بشهود العيان، وحق اليقين تحقيق صورة العيان بالوجدان[3].

مثل ذلك: ما استفيد من العلم المتوافر علم يقين، ورؤيته عين يقين، والحلول به حق

(1) لم أقف عليه هكذا.

(2) رواه الترمذي (3127)، والطبراني في الكبير (121/8)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (94/4)، (118/6)، وأبو سعد الماليني الهروي في الأربعين كما في مجموع الأربعين للنبهاني (ص305)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (268/10)، وحسنه، وكذلك ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (305/2)، وسكت عليه الحافظ في الفتح (405/12)، والحديث من شواهده ومتابعاته تبين أنه لا يقل عن درجة الحسن لغيره، وإن كنا ضعفناه نقلاً من قبل في كتابنا أحاديث مشهورة لكنها لا تصح، وكذلك عند تحقيقنا، لسر الأسرار لأرسطاليس، والفراسة للرازي، والسياسة في علم الفراسة للأنصاري، وغير ذلك، فهو لا خلاف في صحته كشفًا.

(3) قال الشيخ الجيلي صاحب كتاب «الإنسان الكامل» قُدِّس سرَّه: «إن مقام الصادق فوق المقامات كلها سوى مقام التمكن والقربة وهو مقام حق اليقين، ومقام الصدق مقام عين اليقين، وما تحته من المقامات مقام علم اليقين».

وقال القاشاني: اليقين: هو تمييز العلم الذي لا يحتمل النقيض، وحقيقته: تصورٌ يُنزل المسموع منزلة المشهود، وغايته: استغناء النفس عن كل مسموع بما حصل به في داخل الذهن؛ لأن عين الجمع لا يعتبر الخارج؛ لاستغنائه عنه، فلا يفتقر إلى المطابقة، الأول علمه، والثاني عينه، والثالث حقه.

يقين الخواطر، واردات حق وطوارق باطل.

فالواردات: وارد بتنزيه الرب وتوحيده فرباني، ووارد يحرك لطاعة معينة بقوة وعزم فقلبي، ووارد يحرك لأنواع الطاعات فملكي، وربما يكون وارد الخير من القلب والملك والأكثر للأكثر من الملك، والأقل للأقل من القلب؛ لأن طهارة القلوب قليلة جدًّا والطوارق طارق يطرق القلب باضطراب ومسارعة لمعصية فشيطاني، وطارق يطرق بقصد جهة معينة فنفساني، وربما يكون من النفس والشيطان وعنهما تتولد المعصية فافهم.

فإذا ورد وارد الخير عقب الطاعة فخير، وإذا طرق طارق الشر عقب المعصية فشر وإذا جهل الفرق بين الوارد والطارق فيعرض على ما أمر به شرعًا، فإن وافق حكم الله فنور وإلا فظلمة.

الوارد يرد كفيله، العطاس لا يرد إذا ورد ولا يستجلب بالالتماس.

الوارد يرد من حضرة اسمه القهَّار، لهذا يمحق الأوصاف والآثار.

الوارد يكون للسالك مع الأوراد، ولأهل العناية بلا اختيار ولا مراد.

الوارد يكون من الملك والجان، ومن الحق في حضرة العيان.

الوارد ما أفاد الفوائد، وعلم غرائب الفرائد.

السيادة تكون للرجال بوصف الكمال شتان بين مسود لقضاء الأغراض، وبين مسود لصفاء جوهره من سائر الأعراض.

من طلب السيادة بتسويد العباد فقد فقَدْ الخير ووقع في العناد.

إذا أراد الحق سيادة عبد أسكن محبته الصدور، وجعله صدرًا في الصدور، فإذا تشبه به حاسد مغرور تلا عليه: ومن لك يجعل الله له نور فما له من نور، المغار عليه يخص بمقام الاصطفاء، ويسدل عليه حجاب الاختفاء لا عيش لمن لم يختف ولا هناء لمن لم يكتف، ادخل خلوة الخمول، ولا تلبس فضلة الفضول.

تهنى بالأوقات تسلم لك الأوقات ما استنبت في بطن الأرض تم له النبات، والذي ينبت قوتها لا يحصل له ثبات.

أحسن بذر الفلاح ما يبذره الفلاح المربي في أرض التراب، يفوق جميع الأتراب المربي تمازجه الحلاوة ويتكسر وصف الطلاقة ليس من ربته الكبار، كالمهمل في الدستار، بوارق

البداية عين لوامع النهاية.

من لم يلق في البداية الإذلال، لم يفرح في النهاية بالإدلال؛ أهل المكنة من الرجال يريحون المريد من التعب، ويواصلونه إلى أعلى الرتب، الرجل من إذا نظر إليك نظرة الوداد أغناك بها عن جميع العباد، إياك إياك، وعليك بك، يا كتاب الأسرار، ويا مرآة الأنوار.

أنت الكتابُ الذي أسرارَ أحرفه قامَ الكيانُ بها يسعى على المهجِ

من أطلعه الحق على دسائس النفس أمن من العكس والنكس.

اتِّباع شهوات النفوس هو الذي ينكس الرؤس، ما دامت نفسك بك حية فهي لك حية، الهمم بقدر القدم.

همة طلبت الفاني أخلدت إلى السلفيات، وهمة طلبت الباقي صعدت إلى العلويات رونق الظواهر من ظهور جمال الحق في المظاهر، الكشف حقيقة عند محقق الطريقة، ليس هو أن ترى النور والسواد في مراتب القيود للعباد، بل أن ترى الظلمة عين النور، فنشهد رفع الغطاء في الستور.

ليس الرجل من يطلب العمل من المريد، إنما الرجل من تفيض عليه من المزيد من طلب من المريد الزيادة بالإهمال، فهو خلي من تصرف الرجال، الحسد وصف المطرودين من الطائفة المبعودين.

اغبط ولا تحسد؛ فالحسود لا يسود الحاسد معاند، مَن قام بوصف الحسد انقطع عنه المدد، الحاسد للخلق مجور للحق، إياك والحسد يا إنكيس فهي معصية إبليس، يا حسود يا معبود تب إلى الله من دناءة أخلاقك قبل خسفك وانمحاقك.

طهارة القلوب مفتاح الغيوب، طهِّر حَرَم قلبك فهو بيت ربك.

القلب مرآة التجلِّي فعليك بصقال التحلِّي.

القلب عرش السر الرباني وحضرة القرب والتَّداني.

القلب لوحك المحفوظ أيها الحبيب الملحوظ، اقرأ لوح قلبك، ينبيك بأسرار ربك.

ما يفتح به على القلوب لا يدخله الحلل وما تكسبه النفوس لا يسلم من السآمة والملل، معرفة نفسك القدسية، هب باب حضرة الربوبية، من شهر في بواطن الأواني أسرار المعاني

من كسب له يعاني كان الخصيص بحضرة التَّداني؟.

المعارف مواهب، والمقامات مراتب، والأحوال تحول ما كان غاية لا يزول، مدد الخصوصية دائم لا يُسلب، وخلعها لا تنهب، من رام مزاحمة أهل الغنى؛ وقع في شرك الشر والعنا، إن أردت الوصول بلا تعب فتمسك بأهل الحسب، إساءة الأدب على أهل الرتب؛ توجد العطب أولياء الله معدن سره المصون، وهو لا يطلعك على غيبه المكنون أولياء الله عرائس الحضرة أسدل عليهم حجاب الغيرة[1]، حتى لا يعرفهم غيره.

أولياء الله كنوزه الخفية عن الكثير من البرية، أولياء الله فارقوا أهل هذا العالم بالأرواح، وساكنوهم بما ظهر من هياكل الأشباح، للأولياء قلوب نورها أضوأ من الشمس الحسيَّة فيا لها من أنوار مضيئة، ولطائف معنوية فهم نجوم الأرض لأهل السما، ونورهم لنا ولهم أسمى:

أمرتَقِبُ النجومِ مِن السماءِ نجومُ الأرضِ أبهرُ في الضياءِ
فتلك تَبينُ وقتًا ثم تخفى وهذي لا تُكدَّرُ بالخفاءِ
هدايةُ تلك في ظلمِ الليالي هدايةُ هذه كشفُ الغطاءِ

الظهور يكون للرجال، بخلعتي القبول والكمال.

وقيل: من غلب عليه النور فهو في الظهور خلعة، اسمه تعالى الظاهر فيما يظهر من المظاهر.

محبُّ الله مشهور، ومحبوب الله سبحانه مستور.

نقص الخلال من غلبة توهم الخيال.

ظهور الرجال بالتأييد، والنصر والإصابة والتسديد.

(1) إن موجب الغيرة هو الخوف من الفناء الذي يلتحق بالبقاء، وهذان شهودان في شهود واحد، ولهذا غار على الكثرة من الفناء، فلو أنه في شهودين متعددين لما كان حصلت له هذه الغيرة إذ الوجود أن ينطلق وهو كامل، وأن يتقيد وهو كامل أيضاً، فحالتي كماله في الإطلاق والتقييد لا يخاف على شيء منه الفناء لأنه لا يفنى شيء منه في حال الإطلاق لأجل كماله، فإذا لم يفنى منه شيئاً فلا خوف عليه ولا يفنى منه شيء في حال كمال تقييده فلا تصدق عليه الغيرة الناشئة عن الخوف، إذ الغيرة خوف يصحبه الشجاعة.

ظهور الأخيار من غير اختيار.

إياك وطلب الظهور ففيه قطع الظهور.

مَن كان له بالتعظيم بين العوام صورة لم يكن له بالتخصيص عند أهل التحقيق سورة.

الذكر عبادة اللسان بموافقة الجنان.

الذكر إذا دام أوجب الحضور في حضرة المذكور.

الذكر قربة للجاهل الغافل، وتقريب للعالم العاقل.

إذا استغرق العابد في العبادة لا يجد الذكر زيادة.

الهجر بالذكر يكون مع شهود الغيبة والغفلة لعوام الطريقة، والإسرار به من شأن الخواص أرباب شهود الحقيقة.

ذكر الفاني بالشهود هو غاية المقصود.

شتان بين من ذكر ليستنير، وبين من وجد قبل الذِّكر التنوير.

من زعم أنه ذاكر للمذكور فقد غفل عن الحضور.

موجب وجوب ذكرك يا إنسان؛ ما جلبت عليه من النسيان.

وإني أنا المنسي في كلِّ ذاكرٍ كما أنَّني المذكورُ في كلِّ نسبةٍ

ياالله من أمر عجيب، كيف تذكر الحاضر القريب.

الفكر ذكر الجنان وهو خاص بأهل العرفان، والأفكار نجوم سماء القلوب، بها تهتدي في طريق الغيوب.

إذا كدرت الأفكار عميت عن الأبصار الفكر، كالبصر يعطله ما يعطل النظر.

صاحب الفكر يطير، وصاحب الذِّكر يسير.

صاحب الفكر عارف يجتني ثمرات المعارف.

الفكر سراج ونوره وهاج.

العافية تكون بحسب كل إنسان وحاله وأعلاها العافية من الأوصاف البشرية، في حضرة الفناء بالكلية، وبدايتها قول بعضهم:

إيـــاك أن تأســـى علـــى فائـــت وعنـــــدك الإســـــلام والعافيـــــة

إن صـــح ديـــن المـــرء مـــع جســـمه فنعمـــــــة الله لـــــــه وافيـــــــة

العقل كرامة الله لك وأمانته عندك، فإياك أن تهين كرامته وتضيع أمانته، حقيقة العقل عزيزية يتهيأ بها قبول المعارف الكسبية والوهبية تزيد بالاستعمال وتنقص بعدمه.

وقيل: جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية، وهي عند الفلاسفة الكلمة المرددة والأنية المنفعلة ووالد النفس وصاحب الوجهين إذا أفاد واستفاد.

وقيل غير ذلك: العقل قيمة قدرك في الدنيا، والدين قيمة قدرك في الآخرة، ولا دين إلا بعقل ولا عقل إلا بدين، كل عقل يرغبك في الدنيا ويزهدك في الآخرة فهو عليك لا لك.

العاقل من عقل عن الله أوامره، وخشى عواقبه وزواجره.

العقل ما عقلك عن المضار، وفتح لك باب المسار، والذي ينفتح به باب المسار هو العقل الأكبر المتلقي عن الله الأسرار، فإن وقفت مع العقل الأصغر رماك في بحر الشهوات والشبهات، وأوقعك في شبكات المشكلات.

أمامُـــكَ هـــولٌ فاســـتمعْ لوصـــيتي عقـالٌ مِن العقلِ الذي عنه قدْ تُبنَا

أبـــادَ الـــورى بالمشـــكلاتِ وقـــبلهم بأوهامِـــه فأهلـــكَ الإنـــسَ والجِنَـــا

الوهم صفة النفس، وحجاب العقل، وغمامة شمس القلب.

إذا ارتفع حجاب الأوهام شهدت أنوار حضرة الإلهام.

الوهم يثبت أنيتك مع الحق، ويكثر لك وصف تعداد الخلق.

الوهم يوقعك في اليأس، ويخوفك من الناس، الوهم يجلب الخيال، ويمنع وصف الكمال.

ارتفاع الوهم بأسباب التنوير، والرجوع إلى التقدير، يرتفع الوهم بالتوحيد، لمن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

إذا استنار القلب بالفهم زال عنه الحجاب والوهم.

قد تزول الأوهام بمصاحبة الأعلام، فإذا جاءت العناية أزالت الوهم في البداية.

كل شيء في الوجود جود إلا المعصية والجحود.

ولولا الجود لتلاشى الوجود، ولولا الإمداد لهلك العباد، الاطلاع لأهل الإمداد بحسب الاستعداد، فمن كان مقامه أجلَى كان كشفه أحلَى، فمنهم من انطبعت له صورة المثال لما دام الصقال، فهذا إن سلم من الخيال تحقق بما يكون في الحال والمآل.

ومنهم من رُفع له النقاب، وسمع لذيذ الخطاب من يملي عليه قلم الآن من باب قوله تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:29]

ومنهم من شاهد اللوح المحفوظ وهذا هو العبد الملحوظ، ومن القوم من يطلع على البداية دون النهاية، ومنهم من يطلعه الحق على المقر المستودع وهذا غاية ما يكون من الإطلاع على المطلع.

التصريف يعطي الكامل إذنه فيما قلَّ وجلَّ من المضار والمنافع، ومن دونه يتصرف بالإذن بحب النوازل والوقائع.

من أعطى التصريف لا يخرج عن موافقة مشيئة الفاعل بالاختبار، ومن زعم غير ذلك حجب عنه المعارف والأنوار.

التصريف يكون بالهمة القلبية العالية الغيبية قال ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب**»[1]

يعني في عالم الغيوب: صرف قلبي على طاعتك، وإذا تحقق به صاحبه في المقام تصرف في الأنام بالكلام، وهذا من سير الفهوائية في الحضرة الإلهية وهي كلمة (كن) يقول الله لوليه: أنا أقول للشيء كن فيكون، وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون.

ومن هذا الوادي ما حكى عن أبي يزيد[2] أنه مرَّ بيده على ساقه فقتل نملة فعندما أحسَّ

---

(1) رواه مسلم (2045/4)، وأحمد (168/2).

(2) ذكره الشيخ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وترجمه فأحسن، وقال: ومنهم التائه الوحيد القائم الفريد البسطامي أبو يزيد تاه فغاب، وهام فآب، غاب عن المحدود وآب إلى موجد المحسوسات والمعلومات، فارق الخلق ووافق فأيد بإخلاء السر وأمد باستيلاء الذي إشاراته فانية، وعباراته كامنة لعارفيها صائنة، ولمنكريها فاتنة.

اسمه طيفور بن عيسى بن شروشان وكان جده مجوسيًا فأسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن علي الداستاني البسطامي قدس الله روحه أنه كان يخالط شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ولده وأنكر عليه صحبة شروشان، وقال له: رجل

=

مجوسي تصاحبه؟ فقال لوالده: هو رجل مرضي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجيئك ضيفًا، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلي الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان الطعام. قال له: لا آكله حتى تعطيني مرادي وتقضي حاجتي. قال: وما ذاك؟. قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده رسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبيلته وقومه في يومه وغير يومه، وفي الأجانب من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركًا واستسعادًا، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال المشايخ المتقدمون في عصره يزورونه ويتبركون بدعائه وهو عندهم من أجل العباد والزهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وسبعين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها مالاً يصح ويكون مقولاً عليه يرجع إلى أحوال سنية وفراسة حادة ورياضة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

ذكر معنى أقواله المشهورة عنه في الشطح: «سبحاني سبحاني ما أعظم شاني».

قال الشيخ أبو النصر السراج رحمه الله: وقد قصدت بسطام فسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد عن هذه الحكاية فأنكروا ذلك، وعلى تقدير صحة ذلك، فنقول: قوله سبحاني سبحاني على معنى الحكاية عن الله ﷻ أنه يقول: سبحاني سبحاني لأنا لو سمعنا رجل يقول:

لا إله إلا أنا فاعبدني، لا يختلج في قلوبنا شيء غير أنا نعلم أنه هو ذا يقرأ القرآن، أو هو يصف الله بما وصف به نفسه، وكذلك لو سمعنا دائما أبا يزيد وغيره وهو يقول: سبحاني سبحاني، لم نشك أنه يسبح الله ويصفه بما وصف به نفسه.

وكذا قال: الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف: وما يحكى عن أبي يزيد قوله: سبحاني حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى.

قال: وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قوله أنا الحق.

قيل لأبي القاسم الجنيد قدس الله روحه إن أبا يزيد يسرف في الكلام، وقال: وما بلغكم عن إسرافه في كلامه؟ قيل يقول: «سبحاني سبحاني ما أعظم شأني». فقال الجنيد:

إن الرجل مستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق تعالى فنعته، فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنًا من الحق به، ألم تسمعوا

=

=

مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه؟ فقال: ليلى، فنطق بنفسه ولم يكن من شهوده إياه فيه، وقيل له: من أنت؟. قال: أنا من ليلى ومن ليلى أنا.

وأما ما حُكي عنه قوله: «ضربت خيمتي بإزاء العرش» فإن صح عنه أنه قال ذلك فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم والكون وجميع ما خلق الله تحت العرش، أو بإزاء العرش يعني: وجهت وجهي نحو ملك العرش، ولا يوجد في العالم موضع إلا وهو بإزاء العرش، فلا سبيل للمتعنت إلى هذا الطعن.

وأما ما حُكي عنه أنه قال: «خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله» فقد تكلم الناس على مقالته هذه بأشياء على قدر أذواقهم، ونذكر هنا ما قاله الشيخ الكبير أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه فإنه أقرب إلى أفهام الناس.

قال: إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض، أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: وهذا الذي فسربه الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد قال: إن جميع ما أخذ الأولياء من ما أخذ الأنبياء كزق مُلئ عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء.

وقال: والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب.

وحُكي عنه أنه وصف له رجل بالولاية فأتى إلى زيارته وقعد في المسجد ينتظره، فجاء ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة كيف يؤمن على أسرار الله، وما جاء عن الأكابر أُولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوّلناها لهم لما علمناه من استقامتهم وحُسن طريقتهم، وقد قال ﷺ: «ولا تظنّنّ بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً» انتهى كلامه قدَّس الله سرَّه العزيز.

وأما قوله في بعض كلامه: رفعني وأقامني بين يديه، يعني: أشهدني ذلك وأحضر قلبي لذلك؛ لأن الخلق بين يدي الله سبحانه لا يذهب عليه منهمَ نفس ولا خاطر ولكن يتفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم له، ويتفاوتون في صفائهم عجب من كدورة ما يحجب بينهم وبين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة، والله تعالى أعلم. وأما قوله: قال لي وقلت له، فإنه يشير بذلك إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار في آناء الليل والنهار.

واعلم أن العبد إذا تيقن بقرب سيده منه ويكون حاضر القلب مراقب الخواطر فكل خاطر يخطر خطر

=

بها نفخ فيها الروح، فقامت تمشي بإذن الله تعالى.

وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله بمجرد النطق.

وقد رأينا من صرفه الحق بنطقه في البرية من خلفه، ومن شأنه مع مشيئة القبول ما شاء

=

بقلبه كأن الحق سبحانه يخاطبه بذلك، وكل شيء يتفكره بسره فكأنه يخاطب الله به إذ الخواطر وحركات الأسرار، ما يقع في القلوب بدؤه من الله تعالى وانتهاؤه إلى الله.

فهذا على هذا المعنى، والله أعلم. وفيما ذكرته كفاية وهذا الباب واسع، وقد شرح الشيوخ ما نُسب إليه من الكلام المغلق على أفهام بعض الناس كسيد الطائفة الجنيد والشيخ أبي النصر السراج وغيرهما قدس الله أرواحهم.

قال الجنيد قدَّس الله روحه: الحكايات عن أبي يزيد مختلفة، والناقلون عنه فيما سمعوه متفرقون، وذلك لاختلاف الأوقات الجارية عليه بما فيها والاختلاف بالمواطن المتداولة بما خص منها فكل يحكي عنه ما ضبط من قوله، ويروي ما سمع من تفصيل مواطنه.

وقال الجنيد أيضًا: وكأن كلام أبي يزيد رحمة الله عليه بقوته وغوره وانتهاء معانيه مغترف من بحر قد انفرد به، وجعل ذلك البحر له وحده.

وقال الجنيد أيضًا: كل الخلق يركضون فإذا بلغوا ميدان أبي يزيد هملجوا.

وقال أبو الحسين: ولعمري لقد كان يبدو منه الشيء بعد الشيء على سبيل الغلبة لا يجوز أن يتخذها الإنسان دعوى يدعيها. وقال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت علي بن بندار، يقول سمعت أبا بكر بن محمود يقول: بلغني أن أبا حفص قدم على أبي يزيد، فقال له: يا أبا يزيد: يبلغنا عنك في كل وقت أشياء منكرة، فقال: إنما يخرج الكلام مني على حسب وقتي، ويأخذه كل بحسب وقته ثم ينسبه إلي، والله أعلم.

وانظر في ترجمته: حلية الأولياء (33/10، 40)، وفيات الأعيان (301/1)، صفة الصفوة (89/4، 94)، المنتظم (28/5)، الرسالة القشيرية (17)، طبقات الصوفية للسلمي (8)، ميزان الاعتدال (481/1)، الكواكب الدرية (24/1)، البداية والنهاية (35/11)، مرآة الجنان (173/2)، نفحات الأنس (56)، الطبقات الكبرى للشعراني (89/1)، طبقات الأولياء (108)، النجوم الزاهرة (35/3)، جامع كرامات الأولياء (40/2)، نتائج الأفكار القدسية (104/1)، رشحات عين الحياة (14)، معجم البلدان (623/1)، درر الأبكار (ص120)، وروضة الحبور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور لابن الأطعاني (ص18) .

ينشئ، ويقول: قول القوم (قيل لي) يريدون بذلك أمورًا منها ما يسمع من هاتف الحقيقة، ومنها ما يُسمع من الملائكة من غير رؤية لهم أو مع رؤية، على غير السلام في صورة دحية الكلبي، ومنها ما يُسمع من القلب، ومنها ما يُفهم من حال الشيء بحب الواقعة كما اتفق للشبلي مع الرحى والشجر، وغير ذلك من القول فافهم.

الكشف حسي ومعنوي، فالحسي عن ظاهر الأكوان، والمعنوي عن حقائق العرفان المكاشفة تكون بمعنى المطالعة وتكون بمعنى المشاهدة، وتكون بمعنى الإطلاع على أسرار العباد، وألحق أنَّها الفِرَاسةُ.

التواضع مع وجود الرفعة مقام، والوضيع لا يثبت له ذلك إلا إذا استقام، من كان للخلق أرضًا فهو للحق أرضى، ومن تعالى فلا يُقال له تعالى.

تواضع أهل التحقيق ذهاب وصفهم في الطريق.

تواضع الباطن ذلة واعتراف، وتواضع الظاهر مع النفس استشراف من قِبل الحق بالإنصاف؛ فهو المتواضع بلا خلاف.

تواضع الشريف لا مع ذلة كالأنذال؛ بل مع نزاهة أوجبت له الكمال[1].

ذو عفــةٍ مــع قــدرةٍ وتواضــعٍ مــع عــزةٍ وشَــهَّامةٍ مــع لــينٍ

الكرامة هي الاستقامة، ما يكون من خرق العادة بسبب العبادة عده علامة، على الاستقامة السلوك على الطريق المسلوك، مَن له الكرامات له الكرمات، ومَن ألف المنامات بالمنى؛ مات السماع مهيج لأهل البداية غير مؤثر في أهل النهاية، قال تعالى: ﴿**وَتَرَى**

(1) قال ابن عياد: قال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: ويقيم بالسعادة عبدٌ عرف الحق فتواضع، وإن علم ما علم وتكبر على أهله وإن عمل ما عمل فقال رحمه الله خرجت إلى بستان مع أصحاب لي بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة وكنا ركباناً على الحمير فلما وصلنا قريباً من المدينة نزلوا وكانت طين وقالوا يا سيدي: انزل هنا وقلت: ولم؟ فقالوا: هذه المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير: قال: فثنيت رجلي فأردت موافقتهم، فإذا النداء عليّ أن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ولكن يعذب على تعب يصحبه التكبر.

**الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب﴾** [النمل:88].

ليس السماع بالأسماع وإنما السماع بالقلوب في عالم الغيوب، صاحب البداية يطلب سماع الحادي ليسكن الأشواق، وصاحب النهاية مطمئن بحضرة التلاق.

ما زلتُ أسمعُ حَادِيْكم يُشوقُني حتى التقيْنَا فلا شوقٌ ولا حَادي

الصوفي من إذا تكدّرت نَوَّرك بصفائه.

الصوفي من صفا وتخلص من الجفا.

الصوفي من آثر الاختفاء ولبس خلعة الاصطفاء.

الصوفي من سلك الطريق وسلك عليها بالتوفيق.

ليس الصوفي من لبس الصوف وادَّعى للحقوق الشريعة ما رعى.

التصوُّف هداية وبُعد عن الغواية.

الصوفي من بالشريعة اقتدى، وبالحقيقة تحقق واهتدى.

الصوفي عالم عامل سالك مسلك كامل:

تنازعَ الناسُ في الصوفي واختلفوا وكلهم قالَ قولاً غير معروفِ

ولستُ أمنحُ هذا الاسمُ غيرَ فتى صافي فصوفي فسمي في الورى

من أدب الصوفي القبض لشهود الجلال والبسط لمشاهدة الجمال؛ فتراه يطير بجناحي الخوف والرجاء على صراط الاستقامة بالتضرع والالتجاء.

اللسان المترجم عن الله شأنه التأثير في قلوب عباد الله صاحب اللسان الأعلى له المورد الأحلى والنور الأحلى.

لسان صاحب المعارف يمتع الأسماء باللطائف، إذا تكلم شفي الصدور وخضعت له الصدور، إذا تكلم بالعلوم في المعالم تأدبت معه الأرواح في العوالم.

ويا كل أرواحَ العوالِمِ إنَّه تكلمَ روحُ الله جهرًا فأنصتي

كرامة اللسان من كرامة الله للجِنان.

انفتاق اللسان بالعلوم اللدنية يدل على تقديس الطوية.

لسان التحقيق دقيق، والمصدق به صديق.

صاحب لسان المعرفة نجيب لكنه في الأنام غريب لا يسكن إليه إلا الغريب.

غريـــبٌ يســـتكن إلى غريـــبِ غريـــبُ الـــدارِ في بلـــدٍ غريـــبِ

لسان الإفادة ما أفاد الفوائد ولم يخرج عن القواعد، صاحب أبا الأرواح فهو أفضل من أبي الأشباح.

مـــنْ علَّـــمَ النـــاسَ فهـــو خـــيرُ أبٍ ذاكَ أبـــو الـــروحِ لا أبـــو النطـــفِ

المهمل للفرائض طريد، والقائم بأعبائها مريد، والمتنقل عليها سالك، والفاني عنها مع القيام بها مالك، والباقي بوصف مفيضها مدقق، والمصطلم بنوره في نوره محقق.

من أعانه الحق على القيام بحقوق الواجبات، فقد أتحفه تعالى برفع الدرجات، الإسلام استسلام، والإيمان أمان، والصلاة صلات، والصوم صون، والزكاة تزكية، والحج حجه، والنوافل قربات بها تعلو المقامات في الحياة وبعد الممات.

وإنما أمرك ونهاك؛ لتسلم لك أخراك[1].

---

(1) وقال أحمد بن الحواري ﷺ: من عمل بلا اتِّباع سنة فباطلٌ عمله.

وقال أبو حفص الحداد ﷺ: من لم يزن أفعاله وأقواله في كل وقتٍ بالكتاب والسُّنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده من الرجال.

وقال أبو الحسن النوري ﷺ: مَنْ رأيته يدَّعي مع الله حالاً يخرجه عن حدِّ العلم الشرعي فلا تقربن منه.

ومن كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي قدَّس الله سرَّه: (حصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله، وبغض الدنيا، وألا تنظر بعينك إلى ما حرَّم الله، وألا تنتقل بقدمك حيث لا ترجو ثواب الله).

وقال ﷺ: (مَنْ فارق المعاصي بظاهره ولزم حفظ جوارحه بمراعاة سره أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارسًا يحرسه من عنده، وجمعه في سيره، وأخذ الله بيده خفضًا ورفعًا في جميع أموره). والزوائد زوائد العلم واليقين والمعرفة.

وقال ﷺ: (هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدات؟ علاجه أربع: طرح النفس على الله طرحًا لا يصحبه الحول والقوة، والتسليم لأمر الله تسليمًا لا يصحبه الاختيار مع

=

الله، هذان علاجان باطنان وظاهران ذم الجوارح عن المخالفات، والقيام بحقوق الواجبات. ثم تقعد على بساط الذِّكر بالانقطاع إلى الله عن كل شيءٍ سواه بقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل:8]: أي انقطع إليه انقطاعًا).

وقال ﷺ: (أوصاني حبيبي: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله فيه، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبًا من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفِ لنفسك إلا من تزداد به يقينًا وقليل ما هم).

وقال اليافعي رحمه الله في «نشر المحاسن» بعدما نقل عبارة الجنيد المتقدمة فيمن تكلموا بإسقاط الأعمال:

قلت: قوله: (تكلموا بإسقاط الأعمال) إن كان المراد سقوط التكاليف عنهم من الأوامر والنواهي بزعمهم فهذا زندقة، ومروق من الدين بالكلية، ولا يُعد صاحبه من المسلمين فضلاً عن أن يكون من الصوفية، وإن كان المراد مجرد النوافل بحيث اقتصروا على الفرائض وتركوا الفضائل، فهو نقصٌ عظيمٌ عند المحققين الأفاضل.

ومن المشهور أن الجنيد المذكور دخل عليه بعضهم وهو في سياق الموت محضور، فسلم عليه فأبطأ في ردِّ السلام وقال: اعذرني فإني كنت في وردي، وقيل: إنه ختم القرآن في حال نزعه وكان يوم جمعة، فقيل له: مثل هذه الساعة يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى مني بذلك وقد آن أن تُطوى صحيفتي.

وقال أبو الخير الأقطع ﷺ: ما بلغ أحد إلى حالةٍ شريفةٍ إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين.

وقال في مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار: (وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفُنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار.

ثم قال: وقال يومًا لأصحابه: تدرون أين يذهب بكم وتدرون لِمَ خُلقتم وإلى ماذا تصيرون؟ فاتقوا الله تعالى، واحفظوا ساعاتكم وأوقاتكم؛ فإنها زائلة عنكم غير راجعة إليكم، والحسرة في فوتها على الغفلة، فلو بذل أحدكم ما بذل لم يرد وقتًا، فأوصلوا أولادكم تجدوا منفعتها في دار الإقامة، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا؛ فإن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة).

وقيل له: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال: اترك الدنيا وقد نلت، وخالف هواك وقد وصلت.

وقال: ما من أحدٍ طلب أمرًا بصدقٍ وجدَّ إلا أدركه، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض. وانظر: السيوف الحداد (ص50) .

=

الخشية حلية تلبسها الأبدال، وتتلبس بها الأنذال.

الخشية شعار المتقين وصفة الأولياء والصالحين.

والصالح من صلح للصلاح وظهرت عليه علامة الفلاح.

الصالح إذا صلح للحضرة وقعت عليه من الله الغيرة.

صالح الأعمال الزكية غير صالح الحضرة القدسية.

الأول مع الأبرار والثاني مع المقربين الكبار.

الفاسق مطرود محروم، والصالح محبوب مرحوم.

شتان بين من أبيح دمه بسنان، وبين من حرم ذمه على اللسان.

السكر يكون للقوم في البداية والصحو يكون لهم في النهاية.

مَن سكر بالنشأة في النشآت لم تطرقه طوارق شبهات الشهرات.

تذلل بين يدي الحي لعلة يدخلك الحي عَسى بإفاقتك تغني من فاقتك.

من وجد للتخلِّي لذات فقد فاز بالتجلِّي للذات.

سيدنا محمد ﷺ يتراءى لأصحاب الغرق في الطريق.

يا أهيل الحقيق توجه مواجهتهم لخلقه لا لحقه، لذلك حُجبوا بنور تلك المرآة الصفاتية عن شهود حضرته الذاتية.

فمَن شهده في المنام في صورة حسيَّة فتلك صورة اعتقاده المعنوية.

وأمَّا هو ﷺ ففوق ما به يتحلَّى، وأعظم ما به يتجلَّى البشائر، منها ما يكون بالمنام في حضرة السرور، ومنها ما يُسمع بالخطاب عند رفع الحجاب، وإذا سمعت البشارة.

فلا ترضَ عن نفسك حتى تعلم رضا الله عنها.

الرضا عن النفس غرور، ولو أشرق لها النور.

النفس ما لم تمت بالمخالفة حية تضر صاحبها بجرح الأخلاق، وتؤذيه ما لم يتخذ لها من

=

الموافقة والملاطفة درياق.

فيا من شهدها مالكة لمعانيها هي مملوكة لباريها، فقد تجلَّى بها الحق للإحراق كما تجلَّى بالروح للإشراق، فاحذرها يا من فهم عن الحكيم وقرأ طرسه، فقد قال تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَه**﴾ [آل عمران:28].

المستدرج يملي له فيما أراد ويتهيأ له كل المراد.

أمر الاستدراج يخفي إلا على ذي بصيرة ويدق إلا على أهل السريرة.

صاحب الدعوى مع الجهل بالأمور مستدرج مغرور الاستقامة.

المتابعة للسُنن المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية.

وإن شئت قلت: الاستقامة للعبد العليم، المشي على الصراط المستقيم.

وإن شئت قلت: الاستقامة هي الاتباع مع ترك الابتداع.

وإن شئت قلت: الاستقامة هي التخلق بأخلاق الله على ما شرَّعه رسول الله ﷺ.

الإنسان الكامل هو الموصل الواصل.

الإنسان الكبير من ظهر بمخلفات التقدير.

المحقق من لا وصف له ولا ذات ولا حيطة تحوطه في الكائنات.

المدقق من أبرز الخفيَّات من الجليَّات، وسلك في الضروريات.

العالم الوارث هو الراسخ القدم في إدراك المعلومات، المزيج بنور علمه ظلمات المشكلات.

العالم الرباني من ألحق الأصاغر بالأكابر، وفتح مقفلات جميع الأسفار والدفاتر.

صاحب العلم اللَّدني من تلقى منه القلب أسرار تجلِّيات الرب.

العالم الراسخ هو الذي حصل مواد الاجتهاد، وفهم من الشريعة المراد.

عالِم النهاية من جمع بين الرواية والدرية، لا يقنع بالروايات ولا يتشبع بالإجازات، فإن الحقائق ليست كالمجازات.

وما السيفُ إلا مستعارُ لزينةٍ إذا لمْ يكنْ أمضى مِن السيفِ حاملُه

لا تستقل العالم الفقير، ولا تجاوز نظرك عنه بالتحقير، فربما يتقدم على أهل الزمان إذا بدت خبرة الامتحان.

لا تحقـــرنَّ عالمـــا وإنْ صـــغِرت حالاتُـــــه إذا بـــــدا لرامقِـــــه
فـــانظرْ إليـــه بعـــينِ ذي مقـــةٍ مهـــــذبٍ الـــــرأي في طرائقِـــــه
المســـــكُ بيِّنًـــــا تـــــراه ممتهنًـــــا في قهـــــرِ عطـــــارِه وســـــاحقِه
إذا بـــــه حـــــلَّ عارضـــــي ملـــــكٍ وموضـــــعُ التـــــاجِ مِـــــن مُفارقِـــــه

المربي من انكشفت له طريق النجاة فسلك عليها، ثم أذن له بالتسليك والدعاء إليها.

المربي خلقه واسع، وعلمه أبدًا نافع.

المربي مخصوص بحسن البشارة، وعلم الإشارة.

المربي يتوجه الحق بالجمال مع الظرف، ويخلع عليه خلع القبول واللطف.

المربي يكشف له عن الغيوب، ويحببه الرب إلى جميع القلوب.

الزاهد معظَّم، والعالم مكرَّم، والعامل مُهَاب، والورِع مُجاب، والعارف حكيم، والمحقق يتيم، لا يقدر مقدار قدره، إلا من علم فضل أجره، وقليلٌ ما هم.

الشيخ من علمك بقاله، ونهضك بحاله.

الشيخ من أفاد الطالب وفتح المطالب.

الشيخ من كمل غي ذاته وكمل بصفاته.

الشيخ من إذا حللت حماه وجدت به الغنى عمن سواه.

الشيخ من يفيدك في الشهادة والغيب، ويطهِّر سرك بسره من العيب.

الشيخ من إذا طلبت همته لهم وجدتها سبقت لا من إذا دعوتها أدركت ولحقت.

الشيخ من تتلمذ له المشايخ، وكان له القدم الراسخ.

الشيخ من يحفظ المريد بكلاءته، ويريحه من العنا بعنايته، الشيخ سر الهوية أنحجب

بحجاب البشرية غيره على خاصة الخصوصية[1].

(1) قال الشيخ الأكبر قدس سره: (**الشيخ من أزال عنك كل حجبك**) أي: شيخك أيها السالك الطالب للسلوك والمرشد المسلك لك في الطريق إلى الحق تعالى هو الذي أزال عنك ويرفع لك ما يحجبك عن الله والوصول إليه والاشتغال به، وهذه الإزالة لا تكون إلا بالله؛ لأنه لا يوصل إلى الله إلا الله لكن الشيخ لما كان بالله يوصل المريد إلى الله بإذن الله من الله، فعطف (الشيخ) ﷺ على الجملة المذكورة قوله: (واستأذن الحق لقربك) عطف السبب على المسبب فإن استئذان الحق سبب لإزالة المحجب عن المريد، وفيه أن السبب هو إذن الحق للشيخ بالإيصال للمريد لا استئذان الشيخ من الحق لإيصال المريد، وأجيب بأن الاستئذان سبب الإذن وسبب السبب سبب، فالشيخ المسلك للمريد يزيل الحجب عنه ويرفع الغطاء عن بصره وبصيرته بسبب أنه يستأذن من الحق تعالى؛ لأن يقربه إليه تعالى برفع الحجب والأستار، فالحق تعالى يأذن للشيخ في قربه إليه تعالى، وإذن الحق في قرب المريد إذن للشيخ في إزالة الحجب عن المريد، وكذا استئذان الشيخ الحق لقرب المريد استئذان الحق لرفع الحجب عنه فلا إشكال، فحاصل الكلام أن الموصل لا يكون إلا الحق أو من يكون بالحق، فالشيخ يجب أن يكون بالحق، فالشيخ يجب أن يكون بالحق قائمًا به متحققًا بمقام كنت سمعه وبصره حتى يمكن منه الإيصال إذ لو كان بنفسه فلا يمكن منه ذلك، فثبت بهذا أن السالك بالله واجد له تعالى، والسالك بنفسه فاقد له، ولا يجده.

وبه يجمع بين قول الرسول ﷺ: «من طلب الله وجده»، وبين قول أبي يزيد البسطامي قدس سره: «السالك مردود، والطريق مسدود».

فإن السلوك والطلب بمعنى واحد، فصار مآل قول الرسول ﷺ: إلى أن الطالب واجد لله.

ومآل قول أبي يزيد: إلى أن الطالب غير واجد له، وهما متناقضان ظاهر لكن المراد في الأول الطلب بالله، وفي الثاني الطلب بالنفس فلا تناقض؛ لأن شرطه اتفاق القضيتين في الوحدات الثمانية وهنا ليس كذلك فتأمل.

ثم أكده بقوله: (الشيخ من نقلك من نار البعد وإلانفصال إلى جنة القرب والاتصال) أي: شيخك المسلك لك أيها السالك هو الذي نقلك من نار هو البعد عن حضرة القدس والانفصال عنها بوقوفك مع السوى، وشركك الخفي والأخفى إلى جنة هي القرب إلى الله، والاتصال به اتصال الفرع بأصله من حيث الوصول إلى غاية المرام عاريًا عن الوصل، والفصل المشهودين بين العوام؛ لأنهما بالمعنى المشهود مُحال في حقه تعالى حيث لا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد.

وفي لسان هذه الطائفة أن البعد هو المسمَّى بالنار وبجهنم، والقرب هو المسمَّى بالجنة، وإن البعد هو المتوهم والقرب هو المتحقق؛ لأن المقامات والمواطن كلها مراتب ظهوره تعالى، فلا بعد الإعلى سبيل التوهم فما ثَمَّ إلا قرب، فالمراد النقل من البعد المتوهم الذي يتوهمه المريد إلى القرب المتحقق الذي هو الأمر =

الأستاذ من وهب المواهب، وأراح من تعب المكاسب.

الأستاذ أكمل من الشيخ في الأحوال وأعلى منه بالمعارف والأقوال.

الأستاذ من جمع دين الأنبياء وتدبير الأطباء، وسياسة الملوك وافتقر لغناه الغني والصعلوك.

الأستاذ له تصريف التمكين، وإيضاح النبيين.

---

=

عليه في نفسه، وهذا لا يكون إلا برفع الحجاب له وكشف الأمور على ما هي عليه، فيخرج المريد عن الوهم والخيال، ويدخل في القرب والاتِّصال فنكشف له حقيقة الحال.

وبما ذكرناه تبين أنه تأكيد لما قبله ومعنى التأكيد على لسان الحقيقة أن يكون في اللاحق ما في السابق مع زيادة وفائدة جديدة؛ لأن التجلي لا يتكرر، ثم زاد الشيخ قدس سره في البيان اهتمامًا بهذا الشأن.

فقال قدس سره: (الشيخ من أمات نفسك قبل أن تموت، وجال بروحك في عالم اللاهوت) المراد بإماتة نفس المريد إخراجه عن الالتفات إلى الدنيا وتوابعها، وعن النفس وحظوظها كالميت لا شيء له مما ذكر، وهذه الإماتة إرادية كما أن الخروج مما مرَّ إرادي، والمراد بالموت الثاني الموت الطبيعي، وقد مرَّ معنى الموت بأقسامه (جال) في الحرب جولة بفتح الجيم، وجال في الطواف جولاً بفتح الجيم وضمها وبسكون الواو وجولاً بتحريك الواو، وجول بالتشديد تجوالاً واجتلال، والجال بمعنى طاف كذا في القاموس.

و(اللاهوت) عالم أعلى كما أن الجبروت عالم أو سط، والملك عالم الشهادة والملكوت عالم الغيب الإضافي والحقيقي فهو يعم الجبروت والعظموت واللاهوت.

وقيل: إن الملكوت عالم الأرواح، والمعنى الشيخ المسلك لك أيها السالك الطالب للسلوك الموصل لك إلى القدسية الكاشف لك الحجب المانعة لك من الوصل والمقرب لك إلى جناب حضرة مولاك الناقل لك من نار البعد، والانفصال إلى جنة القرب، والاتصال هو الذي يميت نفسك وهواك عن السوى، ويقطعها عن حظوظها وشهواتها كالميت قبل أن تموت بالموت الطبيعي اللازم للطبيعة الحيوانية، فتكون أنت ميتًا ماشيًا على وجه الأرض كما هو حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وشهد له النبي ﷺ بهذا الحال حيث قال:

«من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر ﷺ».

وأيضًا الشيخ هو الذي جال وطاف بروحك لا ببدنك؛ لأن الجولان في عالم الغيب بالبدن من خواص خاتم الرسل عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام، والكمَّل من ورثته يطوفون بأرواحهم لا بأبدانهم، فالشيخ يطوف بروحك في عالم اللاهوت ويعرج بك إلى العظموت، ويشهدك منازل الناسوت إلى أن يقول لك: ها أنت ومولاك، فتبلغ غاية الرضا وأقصى المنى، ولا يبقى في قلبك شيء من السوى.

الأستاذ من كمل الدوائر وانطوى في نشره الأوائل والأواخر.

الأستاذ عالم مطلق وسيد سند محقق.

الأستاذ في الأخلاق حبيب الخلاق؛ فلهذا كل أستاذ شيخ ولا ينعكس كما أن كل مريد تلميذ فلا يلتبس، المريد من فنيت حظوظه النفسية، وخمدت شهواته البشرية.

المريد من قام برسوم الآداب بعد تصحيح مقام المتاب.

المريد ميت في حضرة أستاذه منفذ لما يأمره به من مراده.

المريد في مقام التجريد.

المريد قائم بالتسديد.

المريد ميت شهيد.

المريد لا يخرج عن التجريد.

التلميذ من طلب الإفادة وهو باق مع العادة.

التلميذ يحضر ويغيب ويخطئ ويصيب.

التلميذ من حصلت له النسبة ولو بالرواية، وإن لم يحصل له تحقيق الدراية.

التلميذ واقف على الباب وواحد من جملة الأحباب.

التلميذ له فضل الانتماء والترداد ولو حصل ذلك في بعض المواسم والأعياد.

التلميذ النحرير مَن قصد التحرير.

التلميذ اللبيب مَن يحرص على التقريب.

التلميذ بين النجاء مَن يفوق الأولياء، ربما استخدم العارف اللئيم؛ استغنى به عن الكريم فقدان الكرام، ووجدان اللئام.

وخـــذْ الغـــلامَ مِـــن اللئـــامِ إذا نـــأى أهـــلُ الكـــرم

فاللَّيـــثُ يفـــترسُ الكـــلابَ إذا تعـــــذرتْ الغـــــنم

الواصل هو: صاحب الاتصال في حضرة الوصال، الذي خدمته المقامات، وطاوعته الحالات.

طالب الوصال هو المشتاق لشهود الجمال المهيم بالدلال المحجوب بالجلال القائل بلسان حاله عن مقاله بين ربوع الحي وأطلاله:

خلبلـى إنَّ الجـزعَ أضـحى ترابُـه مِـن الطيـبِ كـافورًا وأغصـانه رنـدًا
وأصبحَ ماءُ الجزعِ خمرٌ أو أصبحتْ حجارتُـــه درًا وأوراقُـــه وردًا
ومـا ذاكَ إلا أنْ مشـتْ برحابِـه أميمـةٌ أو جـرَّت بترْبتِـه بـردًا

الواصل هو الممتن عليه في جميع حالاته بمشاهدة محبوبه في سائر حضراته، وهذا الوصل الذي من فاته حصل على الندم، ولو حاز ما حاز من القدم.

مَـن فاتـه مِنـكَ وصـلٌ حظـه النـدمِ ومَـن تكـنْ همـه تسـمو بـه الهمـمُ
ونـاظرٌ في سـوى معنـاك حـقٌ لـه يقـصُ مِـن جِفنِـه بالـدمعِ وهـو دمُ
والسـمعُ إنْ جـالَ فيـه مَـن يُحدثـه سـوى حـديثُك أمسـى وقـره صـممُ
فمـا المنـازلُ لـولا أنْ تحـلُ بهـا ومـا الـديارُ ومـا الأطـلالُ والخـيمُ
لـولاكَ مـا شـاقني ربـعٌ ولا طلـلٌ ولا سـعتْ بي إلى نحـو الحمـى قـدمُ
في كـلِ جارحـةٍ عـينٌ أراكَ بهـا مـني في كـلِ عضـوٍ للثنـاءِ فـمُ
فـإن تكلمـتُ لـن أنطـقُ بغـيرِكم وإنْ سـكتُ فشـغلي عـنكم بِكـمُ
أخـــذتموني مـــني في ملاطفـــةٍ فلسـتُ أعـرفُ غـيرُ امـذ عـرفتكمُ
نسـيتُ كـلَ طريـقٍ كنـتُ أعرفهـا إلا طريقًـــا تـــؤديني لـــربعكمُ

صاحب الوقت رحمة لكل العباد، وسحابة ما طرة في سائر البلاد، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية، وبنفس نفسه يمد الله العلوية والسفلية، ذاته مرآة مجردة يشهد كل نظر فيها مقصده، حضرة صباغة تصبغ كل من أمله فيما توجه له وأم له، ما شهدته فيه خلعه عليك، وما نسبته إليك صيَّره إليك.

إياك أن تحرم احترام أصحاب الوقت، فتستوجب الطرد والمقت.

من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه.

المتسوق من بضاعة الزمان مستمد بمدد رتق الأوان، من أنكر وأكثر المرَاء، فقد منع نفسه السرى.

الكمال أيها الإنسان صفة لا تحتمل الزيادة ولا يمكن فيها النقصان المتصف به محبوب مبرأ من العيوب.

شخصُ الأنامِ إلى كمالِك فاستعذْ  مِن شرِّ أعينهم بعيبٍ واحدِ

صاحب الزمان وجود بالعين في العيان، وأصحاب دائرته من الرجال متفرقون في المدن والأودية والجبال، وهذا الرجل يسمى الفرد والقطب والغوث، وفوقه القطبية الكبرى وهي: مرتبة قطب الأقطاب والإمامان هما اللذان عن يمينه ويساره.

والأوتاد أربعة: واحد في المشرق، وآخر في المغرب، وآخر في الشمال، وآخر في الجنوب.

والبدلاء سبعة، والنجباء أربعون، والنقباء ثلاثمائة، والأفراد هم الخارجون عن نظر القطب، والأعراف هم أهل الاطلاع على المقامات والإشراف، وخاتم الأولياء هو الذي يختم الله به دائرة الولاية، كما ختم بمحمد ﷺ دائرة الرسالة.

وقد قرب له ظهور الحركة فعليه منَّا السلام والرحمة والبركة [1].

---

(1) **قال سيدنا الشرقاوي: (والأبدال)**: جمع بدل، وهو من له قدرةٌ على أن يقيم غيره بدلاً عنه إذا أراد مفارقة محله مثلاً.

**قال في «الفتوحات» في الباب الثالث والسبعين ما معناه:** اعلم أنه لما انتقل رسول الله ﷺ بعد أن حرر الدين الذي لا يبدل، وكانت الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه يكون قطب العالم الإنساني، أبقي بعده من الرسل ثلاثة متفقًا عليهم، وهم إدريس وإلياس وعيسى، وواحد مختلف فيه عند غيرنا لا عندنا وهو الخضر عليهم السلام، فهؤلاء الأربعة باقون بأجسادهم في الدنيا، واحد منهم القطب واثنان منهم الإمامان وأربعتهم أوتاد، فبالواحد: يحفظ الله الإيمان، وبالثاني: يحفظ الله الولاية، وبالثالث: يحفظ الله النبوة، وبالرابع: يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع: يحفظ الله الدين الحنيفي، ولكل واحد منهم في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه، فيتطاول كل واحد من الأمة لنيل هذه المقامات، فإذا حصلها عرف أنه نائب، فنائب القطب يعرف أنه نائب القطب، ونائب الإمام يعرف أنه نائب الإمام، وكذا نائب الوتد، فمن كرامة رسول الله ﷺ على ربه أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وارثين مقام الرسالة إلى يوم القيامة .

واعلم أن رجال الله في هذه الطريق هم المسمون بعالم الأنفاس، فهذا اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة: فمنهم من تجمع له الطبقات كلها، ومنهم من يحصل لما شاء الله منها، وما من أهل طبقة إلا ولهم اسم خاص، فمنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له.

=

=

**فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب**: وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة كما ذكرنا، وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وانفرد به عن أبناء جنسه قطبًا، وقد يُسَمَّى رجل البلد قطب ذلك البلد، وسيما شيخ الجماعة قطب تلك الجماعة، لكن القطب المصطلح عليه الذي ينصرف إليه الاسم عند الإطلاق لا يكون في الزمان إلا واحدًا وهو الغوث أيضًا، وهو سيد الجماعة في زمانه، ثم قد يكون ظاهر الحكم فيحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية، وعمر بن عبد العزيز والمتوكل، وقد يكون لا حكم له في الظاهر، وإنما حكمه في الباطن كأحمد بن هارون السبتي وأبي يزيد البسطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر.

**ومنهم رضي الله عنهم الأئمة**: وهم لا يزيدون في كل زمان على اثنين، أحدهما يُسَمَى عبد الرب، والثاني عبد الملك، والقطب عبد الله قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن:19]: يعني محمدًا ﷺ، وهذا اسمٌ إلهيٌّ يخصُّ كل واحدٍ من الثلاثة، وإن كان له اسمٌ آخر غيره وضع عليه عند ولادته، والإمامان للقطب بمنزلة الوزيرين له، أحدهما مقصورٌ على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر على مشاهدة عالم الملك، وإذا مات القطب خَلَفَهُ واحدٌ منهما.

**ومنهم الأوتاد**: وهم أربعةٌ في كل زمانٍ لا يزيدون ولا ينقصون، أحدهم يحفظ الله به المشرق، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال والتقسيم من الكعبة.

وقد يعبر عنهم بالجبال أخذًا من قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ [النبأ:6، 7]، فكما أن الجبال يسكن بها مَيْد الأرض كذلك هؤلاء في العالم، يحفظ الله بهم هذه الجهات، وليس للشيطان عليهم سلطان؛ إذ لا دخول له على ابن آدم إلا من هذه الجهات.

**ومنهم الأبدال**: وهم سبعةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليمٍ واحدٌ.

**أحدهم**: على قدم الخليل.

**والثاني**: على قدم الكليم.

**والثالث**: على قدم هارون.

**والرابع**: على قدم إدريس.

**والخامس**: على قدم يوسف.

**والسادس**: على قدم عيسى.

**والسابع**: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارفون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيّارة من الأمور والأسرار.

=

=

ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحي، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد القادر، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وباقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفةٍ إلهيةٍ رجلٌ من هؤلاء الأبدال، بها ينظر الحق إليه وهي الغالبة عليه.

فما من رجلٍ إلا وله نسبةٌ إلى اسمٍ إلهيٍّ منه يتلقى ما يرد عليه من الحضرة الإلهية. وسُمِيَ هؤلاء أبدالاً؛ لأن أحدهم إذا فارق موضعًا وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمر يريده في مصلحة وقربة كان له القدرة على ذلك، فيترك شخصًا على صورته لا يشكُّ من رآه أنه عين ذلك الرجل، وليس كذلك بل هو شخصٌ روحانيٌّ أقامه مقامه، فكل من له هذه القوة فهو من الأبدال.

أما من يقيم الله بدله شخصًا لأمرٍ ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى قولهم: (فلانٌ على قدم فلانٍ) أنه مثله في علومه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية إنما ترد على القلوب، وكل علمٍ يرد على قلب الشخص الكبير من ملكٍ أو رسولٍ فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.

**وقد يقولون:** (فلانٌ على قلب فلانٍ)، ومعناه: ما ذُكِر: أي يتقلب في علومه ومعارفه.

وقد تُطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمُّون أيضًا الرجبيين، وهم رجالٌ لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:5]، سُمُّوا رجبيين؛ لأن حالهم لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أوله إلى انفصاله، ثم يفقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السنة، وقليل من يعرفهم من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضًا، فمنهم باليمن وبالشام وبديار بكر.

**ومنهم رضي الله عنهم النقباء:** وهم اثنا عشر نقيبًا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجًا كل نقيب يعلم بخاصية برج منها، وقد جعل الله بأيديهم علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، وإبليس مكشوف لهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض، ولو حجرًا علم أنها وطأة سعيد أو شقي، كالعلماء بالآثار والقافة إذا رأوا صاحب ذلك الأثر عرفوا أن الأثر له، وبالديار المصرية منهم كثير.

**ومنهم رضي الله عنهم النجباء:** وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، وعليهم علامة القبول من أحوالهم تظهر عليهم، وإن لم يكن لهم فيهم اختيار، ولا يَعرِفُ ذلك منهم إلا من هو فوقهم، لا من هو دونهم، وهم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة والإدراك ولهم القدم الراسخة، وعلم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطلاع، لا بالطريق المعلومة عند العلماء بهذا الشأن، فهم حائزو علم الثمانية أفلاك في كل ذلك كوكب، والنقباء حازوا علم الفلك التاسع.

**ومنهم رجال الفتح:** وهم أربع وعشرون في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتح من المعارف والأسرار، وجعلهم الله تعالى على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم،

=

**فإن قيل:** هذا لم يرد به حديث ولا أثركما زعم بعض المتفقهة.

**قلنا:** كذب فيما جاء به من الإنكار؛ بل أتت بذلك أحاديث آثار، فمن ذلك ما خرجه السمرقندى في كتاب الأبدال: أن عليًّا بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ عن الأبدال؟ فقال: هم ستون رجلاً.

فقلت: يا رسول الله صفهم لي.

فقال ﷺ: «**ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة إلا بسخاء النفس وسلامة القلب والنصيحة لأئمتهم، إنهم يا عليّ في أمتي أعز من الكبريت الأحمر**»[1].

---

=

فكل من فتح الله عليه بشيء من العلوم من ساعة من الساعات كان مدده من رجل تلك الساعة، وهم مفرَّقون في الأرض لا يجتمعون أبدًا، كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح عنه، فمنهم اثنان باليمن، وأربعة ببلاد المشرق، وستة بالمغرب، والباقي في سائر الجهات.

**ومنهم رجال الغيب**: وهم عشرةٌ لا يزيدون ولا ينقصون، أهل خشوع لا يكلمون الناس إلا همسًا؛ لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائمًا في أحوالهم، وهم مستورون لا يعرفون، خبّأهم الحق في أرضه وسمائه فلا يناجون سواه، ولا يريدون غيره، دأبهم الحياء، إذا سمعوا أحدًا يرفع صوته في كلامه ترعَّد فرائسهم، ويتعجبون من ذلك؛ لأنهم يتخيلون أن التجلي الذي أورث عندهم الخشوع والحياء قائم بكل أحد.

وقد يُطلق رجال الغيب على من يحتجب عن الأبصار من الإنس، وقد يطلقون على رجال من الجن من صالحي مؤمنيهم، وقد يطلقون على الذين لا يأخذون شيئًا من العلوم والرزق المحسوس من الحس، بل يأخذون ذلك من الغيب، ومنهم ثمانية عشر ظاهرون بأمر الله عن أمر الله، قائمون بحقوق الله، يحبون إظهار الطاعات وخرق العوائد، وكان الشيخ أبو مدين منهم، فكان يقول لتلامذته: أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهرون بالمخالفة، وأظهروا ما أعطاه الله من نعمه الظاهرة: يعني خرق العوائد، والباطنة: يعني المعارف.

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]، وقال رسوله ﷺ: «التحدُّثُ بالنعمِ شكرٌ» انتهى.

هذا ما أردت إيراده من كلامه، وقد ذكر طوائف كثيرةً رضي الله عنهم، وذكر أن جميع هذه الطوائف قد يكون فيهم نساءٌ، لكن يغلب ذكر الرجال عليهن انتهى.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء (12/1).

ورُوي عن أبي ذرٍّ ﷺ أنه قال: لما ذهبت النبوة وكان الأنبياء أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض، ثلاثون منهم على قلب إبراهيم عليه السلام ولم يفضلون الناس بكثرة صيام ولا صدقة ولا صلاة؛ لكن بحسن الورع وصدق النية وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر وخير ولب وحلم وتواضع في غير مذلة.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**البدلاء أربعون**»[1].

وعن الحسن أنه قال: لولا البدلاء لخسف الله بالأرض.

وخرج أيضًا في الكتاب المذكور قال: لما قُبض النبي ﷺ شكت الأرض إلى ربها عز وجل أنه ما بقى يمشي عليها نبي من الأنبياء إلى يوم القيامة؛ فأوحى الله إليها إني سأجعل من هذه الأمة رجالاً قلوبهم كقلوب الأنبياء، وبعض هذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح والحافظ الطبراني في معجمه الكبير.

قال السمرقندي: والقطب هو المقدم عليهم.

ثم حُكي عن عبد الله الأنطاكي أنه قال: رأيت الغوث وهو القطب واسمه أحمد بن عبد الله البلخي بمكة سنة خمس وثلاثمائة، وهو على عجلة من ذهب والملائكة يجرون تلك العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب.

فقلت: إلى أين تمضي، فقال: إلى أخ لي اشتقت إليه، فقلت: لو سألت الله أن يسوقه إليك لفعل.

فقال: نعم ولكن أين ثواب الزيارة.

وأما حديث خاتم الأولياء، فقد روى ذلك الأئمة الأعلام والأستاذ الكبير محمد الترمذي في كتاب خاتم الأولياء ولا ينكر حال المهدي إلا غير مهدي، ويا لله العجب من كثير من المفقهة الذين يصدقون قول فقيه إذا قال في مسألة وربما يكون استناده فيه إلى دليل قياسي ضعيف، أو إلى شذوذ من القول وينكرون ما جمع عليه الأكابر من الأولياء من زمن الجنيد

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (261/1)، وابن حبان في المجروحين (180/2).

ﷺ[1] وإلى الآن، وما ذلك إلا لغلبة الحرمان[1].

(1) هو سيّد الطائفتين، أصله من نهاوند، ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهًا يُفتي على مذهب الإمام أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وراوى مذهبه القديم، صحب خاله السقطي والحارث المحاسبي، ومحمد ابن علي القفار، وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم، وكلامه مقبولٌ على جميع الألسنة، مات يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بها وقبره ظاهر يُزار.

كان يقول: الغفلة عن الله أشد من دخول النار.

وكان يقول: إذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق؛ فإن العلم يوحشه، والرفق يؤنسه.

وكان يقول: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله بالمحن، وحجب قلبه عن ذكره، وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع إلى الله كشف عنه المحن، وإن دام على السكون إلى غيره نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم، فيزداد مطالبه منهم مع فقدانه الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزًا وموته كمالاً وآخرته أسفًا، ونحن نعوذ بالله من الركون إلى غيره.

وكان يقول: يقول الله تعالى: لو أن ابن آدم قصدني في أوَّل المصائب لرأى مني العجائب، ولو انقطع إليَّ في أول النوائب لشاهد مني الغرائب، ولكنه انصرف إلى إشكاله فرد في إشغاله.

وكان يقول: مكابدة العزلة أشد من مداراة الخلطة.

وكان يقول: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليلزمِ الناس، فإن هذا زمان وحشة، فالعاقل من اختار الوحدة.

وجاءه مرة شخصٌ بخمسمائة دينار فوضعها بين يديه، وقال له: فرِّقها على جماعتك، فقال: ألك مال غير هذا؟ قال: نعم، قال: أتطلب زيادة على ما عندك؟ قال: نعم، فقال له الجنيد: خذها فإنك أحوج إليها منَّا، ولم يقبلها.

وكان يقول: إذا رأيت الصوفيّ يعبأ بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وسُئل عن الإنسان يكون هاديًا فإذا سمع السماع اضطرب، فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذرية في الميثاق الأوّل بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:172] استغرقت عذوبة الكلام الأرواح، فإذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

وكان يقول: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا يسمعون إلاّ عن حقٍّ، ولا يقولون إلا عن وجدٍ، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقةٍ، وعند مجازاة العلم فإنهم لا يذكرون إلا أحوال الأولياء.

=

=

وكان يقول: دخلت يومًا على السري فوجدت عنده رجلاً مغشيًا عليه، فقلت له: ما له؟ فقال: سمع آية من كتاب الله، فقلت: تقرأ عليه الآية مرة أخرى، فقرأت، فأفاق الرجل فقال السري: من أين علمت هذا؟ قلت له: إن قميص يوسف ذهب بسببه عينا يعقوب، ثم عاد بصره به، فاستحسن ذلك مني.

وكان يقول: ما رأيت أحد أعظم الدنيا فقرَّت عينه فيها أبدًا، إنما تقر عين من حقرها وأعرض عنها.

وكان يقول: من فتح على نفسه نية حسنة فتح الله عليه سبعين بابًا من التوفيق، ومن فتح على نفسه نية سيئة فتح الله عليه سبعين بابًا من الخذلان من حيث لا يشعر.

وكان يقول: ما احتشم صاحب من صاحبه أن يسأله حاجة إلا لنقص في أحدهما.

وكان يقول: إن للعلم ثمنًا فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، قيل له: وما ثمنه؟ قال: وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه، وقيل له: ما بال أصحابك يأكلون كثيرًا؟! فقال: لأنهم يجوعون كثيرًا، قيل له: فما لهم لا تهمهم قوة شهوة؟! فقال: لأنهم لم يذوقوا طعم الزِّنا، ويأكلون الحلال، قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟! قال: وأي شيءٍ في القرآن يطرب في الدنيا، القرآن حقٌّ نزل من عند حق، لا يليق بصفات الخلق عند كل حرفٍ منه واجب، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله ﷻ به، فإذا سمعن في الآخرة أطربهم، قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والأنغام والغناء فيطربون؟! فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين، قيل له: فما بالهم محرومون من أموال الناس؟ فقال: لأنه تعالى لا يرى لهم ما في أيدي الناس؛ لئلا يميلوا إلى الخلق فيقطعوا، فأفرد القصد منهم إليه اعتنائه بهم.

وسُئل: من العارف؟ فأجاب: من نطق عن سرك وأنت ساكتٌ.

وكان يقول: ما أخذنا التصوف عن القالِ والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وكان يقول: إن أمكنك ألاَّ تكون آلة بيتك إلاَّ من الخزف فافعل، فكذلك كانت آلة بيته.

وكان يقول: الطرق كلها مسدودةٌ على الخلق إلاَّ على مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتَّبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخير كلها مفتوحةٌ عليه.

وكان يقول: لو أقبل صادقٌ على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله.

وكان يقول: أكثر الناس علمًا بالآفات أكثرهم آفات.

وقال رجلٌ له: مَنْ أصحب؟ قال: من تقدر أن تُطلعه على ما يعلمه الله منك.

وقيل مرة أخرى: مَنْ أصحب؟ قال: من يَقدر أن ينسى ما له، ويقضي ما عليه.

=

=

وكان يقول: من عرف الله لا يُسرُّ إلاَّ به.

وكان يقول: من نظر إلى وليٍّ من أولياء الله تعالى فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد ﷺ وأرضاه. وانظر: الانتصار (ص411) ، وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين.

(1) قال ابن الملا عبد الجليل: في ضرر معاداتهم والوقيعة فيهم والإنكار عليهم، أي: الأولياء، وعلاج ذلك، ما نصه:

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:58].

**قال مجاهد:** يقعون فيهم، ويرمونهم بغير جُرمٍ، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.

ورُوي عن نبيَّنا ﷺ أنه قال: «المؤمنُ أفضلُ من الكعبةِ، والمؤمن طيِّبٌ طاهرٌ، والمؤمنُ أكرمُ على الله تعالى من الملائكة».

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: مَنْ عادى لِي وليًّا فقد آذنته بالحرب: أي أعلمته أنِّي محاربٌ له، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينَّه، وإن استعاذني (روي بالنون والباء) لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله ترَدُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدَّ منه» رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيِّروهم: أي لا تعيِّبوهم يعني: لا تنسبوهم إلى عيبٍ، ولا تَصفوهم بعيبٍ، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» رواه الترمذي.

وقال ﷺ: «لما عَرَجَ بِي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يُخمِّشون وجوههم وصدورهم. فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم» رواه أبو داود.

وفي الحديث الطويل لأنس ﷺ قال ﷺ: «إنَّ الله شرَّف الكعبة وعظَّمها، ولو أنَّ عبدًا هدمها حجرًا حجرًا ثم أحرقها ما بلغ جُرم مَنْ استخفَّ بوليٍّ من أولياء الله تعالى. قال الأعرابى: ومَنْ أولياء الله تعالى؟ قال: المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى.

أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿اللَّه وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:257]».

**قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني:** اعلم أن طريق القوم مشيَّدةٌ بالكتاب والسنة، وأنها مبنيَّةٌ على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وأنها لا تكون مذمومةً إلا إذا خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير، وأمَّا إذا لم تخالف فغاية الأمر أنه فهمٌ أوتيه رجلٌ مسلمٌ، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه.

=

=

ونظير الفهم في ذلك الأفعال وما بقى الإنكار في ذلك إلا سوء الظن بهم، وحملهم على الرياء، وذلك لا يجوز شرعًا، ثم أن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحَّر فيها أعطاه الله تعالى هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدٍّ سواءٍ، فيستنبط في الطريق واجباتٍ ومندوباتٍ وآدابًا ومحرَّماتٍ ومكروهاتٍ نظير ما فعله المجتهدون، وليس إيجاب مجتهدٍ باجتهاده شيئًا لم تصرِّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكمًا في الطريق لم تصرِّح الشريعة بوجوبه.

وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدولٌ في الشرع اختارهم الله تعالى لدينهم، فمن دقَّق النظر علم أنه لا يخرج شيءٌ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وسيلتهم إلى الله تعالى في كل لحظةٍ! ولكن أصل استغراب من لا إلمام له بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونهُ لم يتبحَّر في علم الشريعة.

**ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى**: عِلمُنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسنَّة.

ردًّا على مَنْ توهَّم خروجه عنها في ذلك الزمن أو غيره، وما بلغنا قطُّ عن أحدٍ من القوم أنه نهى أحدًا عن الصلاةِ أو الزكاةِ أو الصومِ أو الحجِ أبدًا، ولا تَعرَّض لمعارضة شيءٍ من الشرع، وكيف يترك الولي ما كان سببًا لوصوله إلى حضرة ربِّه؟ وإنما يحثُّ الناس على الإكثار من أسباب الوصول، فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم، وتلك أمورٌ لا تُعارض شيئًا من صريح السنَّة.

والأمر في ذلك سهلٌ، فمن شاء فليصدِّقهم، ويقتدِ بهم كمقلدي المذاهب، ومن شاء فليسكت ولا ينكر؛ لأنهم مجتهدون في الطريق، والمجتهد لا يقتدي وإن كان على مجتهدٍ آخر، وبالجملة فما أنكر على الصوفية إلا مَنْ جهلَ حالهم.

**كان الشيخ عليٌّ الخواص رحمه الله تعالى يقول**: إيَّاك أن تُصغي لقول منكرٍ على أحدٍ من طائفة العلماء والفقراء فتسقط من عين رعاية الله ﷻ، وتستوجب المقت من الله تعالى.

**وقال الشيخ محيي الدين العربي قُدِّس سرُّه**: أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربَّانية كونها خارجةً عن طور العقول، ومجيئها بغتةً من غير تفكُّرٍ ونظرٍ ومن غير طريق العقل، فتنكَّرت على الناس من حيثُ طريقها، فأنكروها، ومَنْ أنكر طريقًا من الطرق عادى أهلها ضرورةً؛ لاعتقاده فسادها، وفساد عقائد أهلها، وقد غاب عن المنكر أن الأولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله سبحانه وتعالى على حقيقة التصديق، وعلى الصدق، والتسليم، والإخلاص، والوفاء بالعهود، وعلى مراقبة النفوس مع الله ﷻ حتى سلَّموا انقيادهم إليه، وألقوا نفوسهم سَلمًا بين يديه، وتركوا الانتصارِ لنفوسهم في وقتٍ من الأوقات حياءً من ربُوبيةِ ربِّهم، واكتفاءً بقيُّوميَّتهِ عليهم، فقام لهم فيما يقومون لأنفسهم؛ بل أعظم.

وكان سبحانه وتعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

وقال قُدِّس سرُّه في باب الوصايا من «الفتوحات»: إيَّاكم! ومعاداة أهل لا إله إلا الله؛ فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة؛ فهم أولياء الله تعالى، ولو أخطأوا وجاءوا بترابِ الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئًا

=

=

فإن الله تعالى يلقى جميعهم بمثلها مغفرةً، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته، وإنما جاز هجر أحدٍ من الذاكرين الله تعالى لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه، ونزدريه، وأطال في ذلك.

قلت: ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث القدسي الطويل الذي رواهُ مسلم: «قال الله تعالى: ومَنْ لقيني بِترابِ الأرض خطيئةً لا يُشرك بِي شيئًا لقيتُه بمثلها مغفرةً».

ثم قال قُدِّس سرُّه: وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله تعالى عليه بالنار فليختمه بالتوحيد؛ فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بدَّ من ذلك.

قلت: ويؤيده ما روي عن أبي ذرٍّ أنه قال:

«يا رسول الله، أوصني. قال: أُوصيك بتقوى الله تعالى، وإذا عملت سيئةً فاتبعها بحسنةٍ تَمحُها. قلت: يا رسول الله، أمِنَ الحسنات قول لا إله إلا الله؟ قال: مِنْ أفضل الحسنات» ذكره في شروح أم البراهين.

**وكان الشيخ أبو تراب النَّخشبي رحمه الله تعالى يقول:** إذا أَلِفَ القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

**قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني:** وذلك لأنه لو كان من المقبِلين بقلوبهم على حضرة ربهم سبحانه وتعالى لشمَّ روائح أهل حضرة ربه تعالى، فتأدَّب معهم ومدحهم وأحبَّهم، وخَدمَ نِعالهم حتى يقرِّبوه إلى حضرته سبحانه تعالى، ويصير مثلهم كما هو شأنُ مَنْ يريد التقرُّب إلى ملوك الدنيا.

**وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى يقول:** مَنْ بَغَضَ وليًّا لله تعالى ضُرِبَ في قلبه بسهمٍ مسمومٍ، ولم يَمتْ حتى تفسد عقيدته، ويُخاف عليه من سوء الخاتمة.

**وكان الشيخ زكريا الأنصاريُّ رحمه الله تعالى يقول:** الاعتقاد صنيعةٌ، والانتقاد حرمانٌ.

**وقال الإمام الشافعي** ﷺ: الإنكار فرعُ النفاق.

**قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني:** وذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على رسول الله ﷺ لآمنوا به ظاهرًا وباطنًا.

**وكان الشيخ الجنيد قدَّس الله تعالى سرَّه يقول:** مَنْ قعد مع هؤلاء الفقراء وخالفهم في شيءٍ مما يتحقَّقون به نزع الله تعالى منه نور الإيمان.

وقد رُوي في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدَّس الله تعالى سرَّه بأسانيد متعددةٍ:

عن أبي سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عصرون التميمي الشافعي قال:

دخلتُ وأنا شابٌّ إلى بغداد في طلب العلم، وَكانَ ابن السقَّا يومئذ رفيقي في الاشتغال في النظامية، وكنَّا نتعبد، ونزور الصالحين، وكان يومئذٍ ببغداد رجلٌ يقال له: الغوث، وكان يقال عنه: أنه يَظهرُ إذا شاء، ويختفي إذا شاء، فقصدت زيارته أنا وابن السقَّا والشيخ عبد القادر وهو يومئذٍ شابٌّ، فقال ابن السقا ونحن في الطريق: اليوم أسأله عن مسألةٍ لا يدري لها جوابًا. فقلت: أنا أسأله عن مسألةٍ، فأنظر ما يقول فيها. فقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله! معاذ الله! أن أسأله شيئًا وأنا بين يديه، إذًا أنتظرُ بركات رؤيته.

=

=

فلما دخلنا عليه لم نره في مكانه، فمكثنا ساعةً فإذا هو جالسٌ، فنظر إلى ابن السقَّا مغضبًا، وقال: ويحك يا ابن السقا! تسألني عن مسألةٍ لا أدري لها جوابًا، هي كذا، وجوابها كذا، وإني لأرى نار الكفر تتلهَّبُ فيكَ، ثم نظر إليَّ، وقال: يا عبد الله، تسألني عن مسألةٍ لتنظر ما أقول فيها! هي كذا، وجوابها كذا، ولتأخذنَّكَ الدنيا إلى شحمتي أذنيك بإساءة أدبك. ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وأدناه منه، وأكرمه، وقال: يا عبد القادر، لقد أرضيتَ الله ورسوله بأدبك، فكأنِّي أراك ببغداد، وقد صعدتَ على الكرسي متكلمًا على الملإ، وقلتُ: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حَنوا رقابهم إجلالاً لك، ثم غابَ عنَّا لوقته فلم نرهُ بعدُ ذلك.

فأمَّا «الشيخ عبد القادر» فإنه ظهرت أمارات قربهُ مِنْ الله ﷻ، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل وليٍّ لله، وأقرَّت الأولياء بفضله في وقته.

وأما «ابن السقَّا» فإنه اشتغل بالعلوم الفرعية حتى برعَ فيها، وفاق بها كثيرًا من أهلِ زمانهِ، واشتهر بقطعِ من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسانٍ فصيحٍ، وسمتٍ بهيٍّ، فأدناه الخليفة منه، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فرآهُ الملك ذا فنونٍ، وفصاحةٍ، وسمتٍ فأُعجب به، وجمع له القسِّيسين والعلماء بدين النصرانية، وناظروه، فأفحمهم عجزًا، فعظُمَ عند الملك، ثم رأى بنتًا للملك حسناء ففُتِن، وسأل أباها أن يُزوِّجها منه، فأبى إلا أن يتَنصَّر، فأجابه، وتزوج بها فذكر ابن السقَّا كلام الغوث، وعلم أنه أُصيبَ.

وأما **أنا** فجئت إلى دمشق، وأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف فوليتُها، وأقبلتُ على الدنيا إقبالاً كثيرًا، وَصدَقَ قول الغوث فينا كلنا نعوذ بالله تعالى من غضبه، ونسأله حُسن الخاتمة، آمين.

**وذكرَ اليافعي رحمه الله تعالى في كتابه «نشر المحاسن»** قال:

أخبرني بعض الصالحين من ذرية الشيخ أبي الحسن بن حرز: أنه لما وقف أبو الحسن المذكور على كتاب «الإحياء» نظر فيه، وتأمله، ثم قال: هذا بدعةٌ مُخالفةٌ للسنَّة، وكان مطاعًا في جميع بلاد الغرب، فأمر بإحضار كل ما فيها مِنْ نسخ الإحياء، وطلب من السلطان أن يلزم الناس ذلك، فأرسل السلطان إلى جميع النواحي، ونودي فيها: لعنةُ الله على مَنْ عنده شيءٌ من كتاب «الإحياء» ولا يحضرهُ، فأحضر الناس ما عندهم من ذلك، واجتمع الفقهاء، ونظروا فيه، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة، وكان اجتماعهم يوم الخميس، فلمَّا كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه، فرأى في ركن المسجد نورًا، وإذا بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوسٌ، والإمام أبو حامد الغزالي قائمٌ وبيده كتاب «**الإحياء**»، فقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه، وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي ﷺ، فناوله كتاب «**الإحياء**»، وقال: يا رسول الله، انظر فيه، فإن كان بدعةً مخالفةً لسنَّتك كما زعم تُبت إلى الله تعالى، وإن كان شيئًا تستحسنه جُعل لي من بركتك، فانصفني مِنْ خصمي. فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقةً ورقةً إلى آخره، ثم قال: «والله إنَّ هذا

=

=

الشيء حسنٌ». ثم ناوله أبا بكر، فنظر فيه كذلك قال: «والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنه لحسنٌ». ثم ناوله عمر، فنظر فيه كذلك قال كما قال أبو بكر، فأمر رسول ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه، وضَرْبِهِ حدَّ الفترى، فجُرِّد من ثيابه، وَضُرِب، ثم شفع فيه أبو بكر ﷺ بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله، إنما فعل هذا اجتهادًا في سنَّتك، وتعظيمًا لها، فغفرَ له أبو حامد عند ذلك، فلمَّا استيقظ مِنْ منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى له، ومكث قريبًا من شهر وَجِعًا من ذلك الضرب، ثم نظر بعد ذلك في «**الإحياء**» فرأى أمرًا آخر، وفهمه فهمًا مخالفًا للفهم الأول، فرآه موافقًا للكتاب والسنة، ورأى النبي ﷺ مسحَ على ظهرِهِ بيده المباركة الكريمة، فشُفي جسمه وقلبه بعد خمسةٍ وعشرين يومًا، ثم فُتح عليه بعد ذلك، ونال من المعرفة بالله تعالى والحظ العظيم ما نال، وصحبه الشيخ أبو مدين فربَّاه، ثم قال له: قد فتحت لك ستة أقفالٍ وبقي سابعٌ يفتحه لك الشيخ أبو يعزى؛ فاذهب إليه. فلمَّا رآه الشيخ أبو يعزى قال له: قال لك الشيخ أبو الحسن أني أفتح لك القفل السابع، ها أنا أفتحه بإذنه، ففتحه له، ففتح، وكان من أمر الشيخ أبو مدين وعظم شأنه ما كان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ولولا أن هذا الشيخ أدركه اللطف والعناية بالتوبة والهداية وتشفَّع فيه الصدِّيق ﷺ لكان يموت على ذلك الحال، ويلقى العذاب والنَّكال، نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة، آمين.

**وذكر الشيخ عبد الغني الشامي في كتابه «كشف النور»** قال:

حكى الشيخ عبد الله بن زين اليابري الإشبيلي: أنه قرأ ليلةً تأليف أبي القاسم بن أحمد في الردِّ على الغزالي فعمي، فسجد لله تعالى من حينه، وتضرَّع، وأقسم أنه لا يقرأه أبدًا، ويذهبه الله سبحانه وتعالى، فردَّ الله سبحانه وتعالى بصره.

**وقد حكى الشيخ الفقيه خير الدين الرَّملي الحنفي**: أن بعض المنكرين رأى أن القيامة قد قامت ونصبت أوانٍ في غاية الكِبَر، وأغلي فيها ماءٌ تطاير منه الشرر، وجيء بجماعةٍ، فسلقوا فيه حتى تهرَّى اللحم والعظم. فقال: ما هؤلاء؟ قال: الذين يُنكرون على ابن العربي وابن الفارض رضي الله تعالى عنهما.

**وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «العهود المحمدية»** قال:

حكى لي شيخي الإمام المحدِّث الشيخ إمام الدين إمام جامع الغمري بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني: أن سراج الدين البلقيني مرَّ يومًا بـ «باب اللوق» فوجد هناك زحمةً، فقال: ما هذه الزحمة؟ فقالوا: شخصٌ من أولياء الله تعالى يبيع الحشيش. فقال: لو خرج الدجال حينئذٍ في مصر لاعتقدوه من شدَّةِ جهلهم، كيف يكون حشَّاشٌ مِنْ أولياء الله تعالى؟ إنما هؤلاء حرافيش، ثم ولَّى، فسُلب جميع ما معه حتى الفاتحة، فتنكَّرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئًا، ونسي ما قاله في حق الحشَّاش، فمكث كذلك في مدرسته بحارة «بهاء الدين» ثلاثة أيام، فدخل عليه فقيرٌ، فشكا إليهِ حاله، وأفشى له سرَّه، فقال: هذا من الحشَّاش الذي أنكرت عليه، فإن الفقراء أجلسوه هناك يُتوِّب الناس عن أكل

=

=

الحشيش فلا يأخذها أحدٌ من يده، ويعود يأكلها أبدًا حتى يموت، فأرسل: استغفر له يُردَّ عليك حالك، فأرسل له، فبمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ:

نحـنُ الحـرافيشُ لا نسـكنُ عـلالِي الـدُّور ولا نرائِـــي ولا نشـــهدُ شـــهادةَ زورْ

نقنـعُ بلقمـةٍ وخِرقـةٍ بمسـجدٍ مهجـورٍ مَـنْ كـان ذا الحـال حالـهُ ذنبـهُ مغفـورْ

فلو كنَّا عصاةً نبيع الحشيش ما أقدرنا على سلب شيخ الإسلام، ثم قال: سَلِّمْ على شيخ الإسلام، وقل: اعمل أربعة خرافٍ معاليف شواءٍ، وأربعمائة رغيفٍ، وتعال اجلس عندي كلُّ مَنْ بعته قطعة حشيشٍ زن له رطلاً، وأعطه رغيفًا.

فشقَّ ذلك على شيخ الإسلام، فما زال به أصحابه حتى فعل ذلك، وصار يزن لكل واحدٍ الرطل، ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسَّم، ويقول: نحن نحلِّيهم في الباطن، وأنت تحلِّيهم في الظاهر إلى أن فرغ.

ثم قال له: اذهب إلى الدِّيك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه، وكُلْ قلبه يُردَّ لك علمك، فبالله عليك كيف تتكبَّر على المسلمين بعلمٍ حمله الديك في قلبه، فمن ذلك اليوم ما أنكر البلقيني على أحدٍ من أرباب الأحوال. هذه حكاية الشيخ أمين الدين عن ولد الشيخ سراج الدين.

وكان قبل ذلك ينكر على سيدي عليِّ بن وفا أشد الإنكار، فلمَّا وقعت له هذه الواقعة من الحشَّاش تاب إلى الله تعالى عن الإنكار، وأوصى سيدي عليَّ بن وفا أن يصبَّ عليه الماء إذا مات، ففعل له ذلك، وقال: والله لقد رجع أمرك إلى سلامةٍ. وكان الشيخ عليٌّ الخواص رحمه الله تعالى يقول: لو أن كمال الدَّعاة إلى الله تعالى كان موقوفًا على أطباق الخلق كلهم على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام قبله صدَّقهم قومٌ، فهداهم الله تعالى بفضله، وحُرم آخرون، فأشقاهم الله تعالى بِعدلِهِ.

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل في مقام التأسِّي بهم انقسم الناس فيهم فريقين: فريقٌ معتقدٌ مُصدِّقٌ، وفريقٌ منتقدٌ مُكَذِّبٌ، كما وقع للرسل عليهم السلام؛ ليحقق الله تعالى بذلك ميراثهم، فلا يُصدِّقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا مَنْ أراد الله تعالى أن يلحقه بهم ولو بعد حينٍ.

وأما المكذِّب لهم المنكر عليهم فهو مطرودٌ عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بُعدًا.

**وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه:** ولما عَلِمَ الله تعالى ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به العلم القديم بدأ بنفسه، فقضى على قومٍ أعرضوا عنه بالشقاء، فنسبوا إليه زوجةً وولدًا وفقرًا وغير ذلك، سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، فإذا ضاق ذرع الولي أو الصدِّيق لأجل كلامٍ قيل فيه: من كفرٍ، وزندقةٍ، وسحرٍ، وجنونٍ وغير ذلك نادته هواتف الحق تعالى في سرِّه: أما ترى إخوتك من بني آدم كيف وقعوا في جنابِي، ونسبوا إليَّ ما لا ينبغي لي؟ فإن لم ينشرح لما قيل فيه نادته هواتف الحق

=

قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج:46].

واعلم يا أخي أن كل من وقف مع عادته ومعلومه دون أن يتحقق بحال أعلى من حاله وعلم أدق من علمه؛ كان منكرًا للحال، مجادلا في المقال، وهذا هو الجهل المركب الذي عن الحق تنكب.

وإياك والبحث معه والجدل؛ فإنَّ ذلك يوسع المجال.

والجاهل لا ينصف المحقق، والمماري لا يرجع إلى المدقق، لا سيما من لم يفهم وهو الكثير، ومن يدقق يقل له النصير:

قصورُ الفهمِ عَن إدراكِ ذوقٍ ... يقللُ ناصرَ الرجلِ المحققِ

يجلُّ الذوقَ عَن إدراكِ قَومٍ ... فيقضوا للمخلِّ على المدققِ

ولله در من قال حيث أعرب عن الحال:

كمْ مِن كلامٍ قد تضمنَ حكمةً ... نالَ الكسادَ بسوق من لا يفهمُ

وإذا رأيت من فقد الآداب؛ فلا تكرمه بالخطاب.

مَن لمْ يكنْ يومًا لقولِك يفهمُ ... فالرأيُّ عندي معه لا تتكلمُ

**فائدة:** لا يستوي صاحب العناية مع مكابد العناء والتعب، فالأول ينشد ويطرب والثاني في كلفة ونصب.

قسَّمَ الإلهُ الأمرَ بين عبادِ ... فالصَّبُّ ينشدُ والخُليُّ يسبِّحُ

ولعمري التسبيحُ خيرُ إجازةٍ ... للماسكينَ وذا لقومٍ يصلحُ

## خاتمة الوصية

=

سبحانه وتعالى: أما لك أُسوةٌ بي، فقد قيل فيَّ، وقيل في حبيبي محمدٍ، وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون وغير ذلك، فيسكن قلبه عند ذلك.

أيها الأخ النجيب: إن أردت التقريب فخالف الطِّباع، واتبع الإجماع، فإن الاتباع الانتفاع، وفي الابتداع الضياع.

اجعل التقوى الأساس، وراقب الخواطر والأنفاس، وكن في الطلب كثير الأدب حُلو المقال، حُسن الفِعال.

واعتمد الورع، واجتنب الطمع، واحذر الغلط، ولا تركب الشطط.

وتواضع للكبير، وتودد للصغير.

واصحب الفقراء، واترك الأمراء، وكن مع الجماعة، ولازم القناعة.

وثق بالرزاق، وخل الخلائق، واكنف بعلم الله عن سؤال خلق الله، واشتغل بالأوراد، واترك المراد، وقف على العتاب، وأقرع الباب، والزم الصمت والوقار، مع الخلوة والأذكار، واجعل الجواب بحسب الخطاب، وكل الحلال وطهر الخلال، وخالف النفس.

واحذر اللّبس ولا تغتر بالثنا وأمنية المنى، ولا تجعل العبادة من نوع العادة، ولا تكن بالسياسة تطلب الرياسة؛ بل اترك الفضول واقنع بالخمول، وانظر إلى الدنيا بعين الفناء تسترح من التعب والعناء، وتخلق بالمكارم واترك الظلم والمظالم، وقم بآداب العبودية وتذلل للسادة الصوفية، واخدم الرجال على بساط الإجلال.

وإياك والإدلال فإن في ذلك الإذلال، وإذا قربوك إليهم وأطلعوك عليهم، فلا تفش الأسرار تطرد عن الأخيار؛ فالإبعاد بعد التقريب أعظم شقاوة وتعذيب، فاستعذ بالله من السلب بعد العطية فإن ذلك أعظم بلية، وإذا رأيت نفسك غلبت عليها الشهوة، والقلب حلَّته القسوة، فقصِّر لهما الأمل، وتوقع الموت بالعجل، ومثل نفسك في القبور وتذكر يوم النشور، والوقوف للحساب وهوان العذاب وتدقيق الأوزان بتحرير الميزان وخوف زلة القدم على الصراط والندم.

فالرجل[1] من حرص على الخلاص، وطلب منه الاختصاص، لا من قنع بالحال النازل

(1) قال العالم الرباني القطب الصمداني السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قُدِّس سرَّه العزيز: الناس أربعة رجال: رجل لا لسان له ولا قلب.

وهو العامي لا خير فيه ولا وزن له إلا إن رحمه الله تعالى برحمته، ويهدي قلبه للإيمان به، ويحرك جوارحه للطاعة له تعالى، فاحذر أن تكون منه، وأن تلذ به، وأن تأخذ منه شيئًا.

=

في أخبث المنازل فهوى به الهوى في الهاوية، وحاد عن الطريق الناحية.

إذا مـا رأيـتُ المـرءَ يقتـادُه الهـوى فقـــدْ ثكلتَـــه عنـــد ذاكِ ثواكلُـــهُ

ومَن أشمتَ الأعداءَ جهلاً بنفسهِ فقــدْ وجــدتْ فيــه مقــالاً عواذلُــهُ

ولـئْ يقـرعُ الـنفسَ اللجـوجَ عـن مِـن النـاسِ إلا وافـرُ العقـلِ كاملـةٌ

## تضرع المناجاة

أحمدك يا واهب الجود، ويا واهب الوجود على نعمك التي لا تُحصى عددًا، حمدًا يستغرق طول المدى، وأشكرك شكر المعترف بعجز عن القيام بحقك، وأستوفقك بتوفيقك بين خلقك.

وأُصلي على مقبول الشفاعة، من جعلت طاعته لك طاعة، وقدمته في القدم، فكان له القدم، على كل ذي قدم، مَن عينته في التعين الأول، بالمقام الأكمل وخصصته بكمال النظام، وجعلته لبنة النمام إمام جامع الأنس، وخطيب حضرة القدس، مظهر حقيقة الوجوب المنزَّه، ومظهر إمكان الجلال الأنزه، محمد الكمال، وأحمد الجمال، وأسلم عليه سلام الخصوصية في حضرة الربوبية، وأتوسل به إليك إلهي في البُعد عن كل لاهي.

وأسألك القرب إليك، والاعتماد عليك، إلهي بسطت يد الفاقة والافتقار، وجئت بحالة الذلة والانكسار، ووقفت بالباب، وتوسلت بالأحباب، فأجب سؤالي، ولا تخيِّب آمالي إلهي بشرتني منك بشائر القبول، ببلوغ المأمول وسمعت بالصفاء نداء الوفاء، وحاشاك تخيب الأمل والرجاء، وتخجل من إليك التجأ.

إلهي جودك مبذول للسائلين، وفضلك مسبول على العاصين والطائعين، تعطى بلا

---

=

ورجل: لسان بلا قلب فينطق بالحكمة، ولا يعمل بها يدعو الناس إلى الحق تعالى وهو يفر منه، وهو الذي حذر منه النبي ﷺ بقوله: «أخوف ما أخاف على أمتي علماء السوء»، فنعوذ بالله من هذا فابعد منه لئلا يخطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه ويقتلك نتن باطنه.

ورجل: قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله تعالى عن خلقه، وبصره بعيوب نفسه، ونوَّر قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم النطق، وتيقن أن السلامة في الصمت في الحديث: «من صمت نجا».

سؤال، فكيف من طلب النوال.

إلهي أخجلتني الذنوب، وحجبتني العيوب، فأنَّ لي بالخلاص، وحصول الاختصاص.

إلهي كرمك دلني على الطلب، والجناية ردتني إلى الأدب، فحرت بين وصف الجواد، وأدب الشهود.

إلهي انظر إلَيَّ بعين العناية، ووقفني لسبيل الهداية، واخلع علي خلع الولاية، واعصمني بعدها من الغواية.

إلهي أذقني حلاوة الوصال، وأجل لي حضرة الجمال وامنحني سطوة الجلال، وحققني بحقيقة الكمال.

إلهي املأ قلبي بالعارف، ولا تحجبني بها عنك في المواقف، واجعلني بك لك شاهدًا، واجعل همومي بك همًّا واحدًا.

إلهي جعلت كوني من الطين اللازب، ودعوتني إلى أعلى المراتب، وسلطت علي الشهوة والهوى، وطلبت مني حقيقة التقوى فأعنِّي على ما أمرت، دبرني فيما دبرت.

إلهي أنت الذي اصطفيت، وأنت الذي أعطيت، وأنت الذي وفقت وهديت، فوفقني بتوفيقك وأهدني إلى سواء طريقك.

إلهي كيف أصل وعجزي بالذات، وكيف لا أصل وأنت صاحب الجود والهبات.

إلهي سرك سري في الأكوان، ونورك عطل العيون عن العيان، وقربك المحيط أقرب إلَيَّ مني، وغيبتي عنك أشهدتني غيبتك عني، فارفع لي الحجاب، يا من ليس له حجاب.

إلهي أنت الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، والظاهر فوق كل ظاهر، والباطن دون كل باطن أحطت بالكائنات، ولم تحط بك الجهات، وتجلَّيت بأنواع التجلِّيات، ونطق بتنزيهك جميع اللغات، فناجتك فطابت لها المناجاة، أنست بك الوحوش والأطيار، وسبحك أهل القفار والبحار وأهل السموات والأرض، في الطول منها والعرض.

فيا خيبة من غفل عن ذكرك، ويا شقاوة من لم تلهمه شكرك.

إلهي لا تجعلني من الغافلين ولا تكتبني من الممهلين المهملين، واجعلني من العالمين العاملين، الكاملين المكلمين.

إلهي لو لم يرد القبول ما علمتني السؤال، ولو لم تشأ العطاء ما أطلقت المقال، فأجب اللهم الدعاء وعجل الإجابة، وصوب هذا السهم لغرض الإصابة.

إلهي فك أسر النفوس، ونجنا من البؤس، وأدخلنا حضرة الامتنان بالأمان، وأشهدنا مشهد الإحسان بالإحسان، لنا ولجميع الأحباب يا كريم يا وهاب، آمين آمين مع العافية إلى الأبد، بدوام المدد، على توالي المدد.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم، تسليمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *